مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م٦ ، ص ص ١-٢٠٢ بالعربية ، ص ص ١-٢٦ بالإنجليزية (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ردمد ١٣١٩-٠٩٨٩

مجلة جامعة الملك عبد العزيز

الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ٦

١٤١٣هـ
١٩٩٣م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
جدة

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م٦ ، ص ص ١-٢٠٢ بالعربية ، ص ص ١-٢٦ بالإنجليزية (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ردمد ١٣١٩-٠٩٨٩

رقم الايداع ١٤/٠٢٩٤

مجلة
جامعة الملك عبد العزيز
الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ٦

١٤١٣هـ

١٩٩٣م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
ص ب ١٥٤٠ - جدة ٢١٤٤١
المملكة العربية السعودية

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م٦ ، ص ص ١ - ٢٠٢ بالعربية ، ١ - ٢٦ بالإنجليزية (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) .

المحتويات

القسم العربي

القسم الإنجليزي

JKAU: Arts and Humanities, **vol. 6**, pp. 1-26 Eng., pp. 1-202 Arabic (1413 A.H. / 1993 A.D.) ISSN 1319-0989

Journal of

KING ABDULAZIZ UNIVERSITY

Arts and Humanities

Volume 6

1413 A.H.
1993 A.D.

Scientific Publishing Centre
King Abdulaziz University
P.O. Box 1540, Jeddah 21441
Saudi Arabia.

عام

● مجلة سنوية تصدرها الجامعة في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية وينشرها مركز النشر العلمي بالجامعة . يُقبل للنشر فيها البحوث المبتكرة ، مقالات المراجعة ، خطابات إلى المحرر ، وعرض الكتب . ترسل المواد إلى :

رئيس هيئة التحرير : كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبد العزيز - ص . ب ٩٠٣٢ جدة ٢١٤١٣ - المملكة العربية السعودية

● لا تنشر المواد إلا بعد التحكيم . ● المواد المقدمة للنشر يجب ألا يكون قد سبق نشرها أو مقدمة للنشر في جهة أخرى ، وإذا قبلت للنشر ، لايُسمح بنشرها بنفس الشكل وبأية لغة في أية جهة أخرى إلا بتصريح كتابي من رئيس هيئة التحرير .

التقديم للنشر

● تقدم المواد من أصل وصورتين باللغة العربية أو الإنجليزية منسوخة على الآلة الكاتبة على مسافتين وعلى وجه واحد فقط ، وعلى ورق مقاس A4 ، مع ترك بوصة لكل هامش ، مرقمة ترقيما مسلسلا بما في ذلك الأشكال والجداول . ● يشترط أن تقدم المستخلصات ، والهوامش ، والجداول ، والتعليق على الأشكال والمراجع في صفحات مستقلة .

الكتابة

● يبوب المقال على النحو التالي :

١ - عنوان المقال ويكون مختصرا ومعبرا عن مضمون المقال . ٢ - اسم المؤلف (المؤلفين) . ٣ - عنوان المؤلف (أو المؤلفين بنفس الترتيب) . ٤ - المستخلص لايتجاوز مائتي كلمة . ٥ - المتن : ويُقسم إلى عناوين رئيسة محددة وفق المنهج البحثي المتبع (على سبيل المثال ، المقدمة ، التجارب ، النتائج ، المناقشة ، الاستنتاجات ، المراجع ، الملاحق) ، مع مراعاة أن تكون العناوين الفرعية ذات المستوى الواحد مكتوبة بالطريقة نفسها .

● يكون لكل بحث مستخلصان أحدهما بالعربية والآخر بالانجليزية ، ويتبع في كتابتهما القواعد الدولية لكتابة المستخلصات على ألا يتجاوز عدد كلمات أي منهما ٢٠٠ كلمة ، يراعى أن يتضمن المستخلص أهم الحقائق والاستنتاجات ، وأن يكون مستقلا بذاته ويغني عن قراءة المقال ● يستخدم النظام المترى والاختصارات المقننة (SI) ● التذييلات : تكون مرقمة ترقيما مسلسلاً خلال المتن وعند الإشارة إلى مرجع للمرة الأولى يكتب كاملا على أن يكون المدخل بالاسم الأول متبوعاً باسم العائلة . عند تكرار الإشارة إلى المرجع نفسه تستخدم اصطلاحات الإحالة المقننة . لايغني ذكر المراجع كاملة في التذييلات من إعداد مراجع كاملة في نهاية المتن ● يجوز أن يستخدم المؤلف ، بدلاً من التذييلات ، نظام اسم/تاريخ/صفحة في المتن ، وعليه في هذه الحالة مراعاة القواعد المتبعة في هذا المنهج . ● المراجع : ترتب هجائياً حسب اسم عائلة المؤلف ، تكون جميع العناصر البيليوجرافية للمرجع كاملة ، مع اتباع القواعد الدولية لكتابتها ، تكتب جميع أسماء المؤلفين ، ولا يقبل «وآخرون» . يجب التأكد من أن جميع المراجع الواردة بالمتن مذكورة بالقائمة ، كما أنه يجب ألا تكون هناك مراجع بالقائمة لم يشر إليها في المتن .

الجداول

● ترقم الجداول ترقيما مسلسلاً خلال المتن ، ويكون لكل منها عنوانه أعلى الجدول ، ومصدره أسفله . ● تحدد أماكن الجداول في هامش المتن . ● يراعي تنسيق كتابة الأرقام تحت بعضها البعض .

الأشكال

● تقدم في علاقة منفصلة مع مراعاة عدم طيها . ● يشار إلى مواضع الأشكال في هامش المتن أو لصق صورة منها في أماكنها المحددة بالمتن . ● تقدم الأشكال الخطية مرسومة بالحبر الصيني على ورق كلك أو لماع مقاس ١٢×١٨ سم أو أضعافه أو أنصافه ، مع مراعاة سمك الحروف والرموز والخطوط . ● تقدم الصور الظلية (الفوتوغرافية) من نسخ أصلية مطبوعة على ورق لماع مقاس ١٣×١٨ سم أو أضعافه أو أنصافه . ● لاتقبل الصور الملونة إلا إذا كان للون دلالة علمية .

تجارب الطبع

● يراجع المؤلف تجربتي الطبع الأولى (سلخ) والثانية (صفحات) ، على ألا تستغرق المراجعة أكثر من ٧٢ ساعة . ● ولا يجوز له الإضافة أو الحذف أو التعديل وخاصة على التجربة الصفحات .

المستلات

● يحصل مؤلف (مؤلفو) كل بحث على ٥٠ مستلة من كل بحث بدون مقابل . ● يتحمل المؤلف (المؤلفون) بتكاليف مازاد على ذلك طبقا لما يقرره المركز ، وعلى المؤلف (المؤلفين) طلب المستلات الإضافية قبل الإحالة للطبع ويكون السداد مقدما .

بسم الله الرحمن الرحيم

■ الاشتراك السنوي ■

- ■ داخل المملكة ٥ ريالات سعودية
- ■ خارج المملكة ٥ دولارات أمريكية (بما في ذلك البريد)

■ البيع والاشتراك ■

مركز النشر العلمي - جامعة الملك عبد العزيز
ص.ب ١٥٤٠ - جدة ٢١٤٤١ - المملكة العربية السعودية

■ التبـادل ■

عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك عبد العزيز
ص.ب ٣٧١١ - جدة ٢١٤٨١ - المملكة العربية السعودية

مطابع جامعة الملك عبد العزيز

القسم العربي

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م٦ ، ص ص ٣ - ٣٦ (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) .

اتجاهات الزواج في مدينة جدة في ضوء عقود الزواج فيما بين ١٣٩٨ - ١٤١٠هـ/١٩٧٩ - ١٩٩٠م

أبو بكر أحمد باقادر
أستاذ علم الاجتماع ، قسم الاجتماع ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،
جامعة الملك عبد العزيز - جدة ، المملكة العربية السعودية

المستخلص : يدرس هذا البحث عقد الزواج عند الفقهاء : تعريفه وأركانه وشروطه وموانعه ، ثم يدرس عقود الزواج في التاريخ الإسلامي من حيث النشأة والتطورات التي أدخلت عليها والصياغة التي ظهرت بها . ويدرس أيضا مراسم حفل الزواج ومايرتبط بها من عادات وتقاليد في مجتمع جدة ، ثم تحليل ودراسة عينة من عقود الزواج خلال عقد من الزمان للوصول إلى بعض النتائج العامة عن الزواج في جدة .

يلعب النظام الفقهي دورا أساسيا في تشكيل صورة الأسرة العربية المسلمة ، رغم أن الأسرة تتأثر بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي في بيئتها ، مما ينتج عنه تغيرات بنائية في شكل وتركيب الأسرة(١) . على أننا نزعم - كما سنوضح في هذه الدراسة - أن الجانب الفقهي/القضائي التشريعي هو أكثر الجوانب قدرة على البقاء والاستمرار ومقاومة - أو على الأقل توجيه - هذه التغيرات بما يتناسب وروح التعاليم الإسلامية(٢) . ولتوضيح زعمنا فإننا سنقوم بدراسة عينة من عقود زواج من مدينة جدة لنتعرف من خلالها على أهم الاتجاهات الاجتماعية والثقافية التي يمر بها الزواج ومن ثم الأسرة في جدة في الوقت الحاضر . ومقارنة ذلك بما يقول به الفقهاء من ناحية ، وماكان عليه الوضع تاريخيا .

لكن قبل الشروع في التعرف على هذه الوثائق (عقود الزواج) سندرس ، بإيجاز ، عقد الزواج في كتابات الفقهاء : تعريفه وأركانه وشروطه وموانعه وصيغه . كذلك سندرس ، بإيجاز ، فكرة «عقود الزواج» في التاريخ الإسلامي : كيف نشأت ؟ وماهي التطورات التي جرت عليها وهل

تتوافق مع آراء الفقهاء ؟ وغيرها من أسئلة . إضافة إلى التعرف على صياغاتها عبر التاريخ . كذلك سنقدم فكرة مختصرة عن مراسم حفل عقد الزواج ومايرتبط به من عادات وتقاليد ولكن بإيجاز شديد . وفي ضوء البُعد الفقهي والتاريخي والاثنوجرافي ، سندرس «العقود» التي بين أيدينا ، مجرين عليها بعض التحليلات العلمية التي من شأنها أن تمكنا من التوصل إلى بعض النتائج العامة عن الزواج في مدينة جدة ، ومن ثم المجتمع العربي السعودي .

عقود الزواج في الفقه الإسلامي

يعرف بعض الفقهاء الزواج ، بأنه «عقد يفيد حل استمتاع كل من العاقد بالآخر على الوجه المشروع»[٣] ويعرفه أبو زهرة : «عقد يفيد حل العشرة بين الرجل والمرأة بما يحقق مايتقاضاه الطبع الإنساني وتعاونهما مدى الحياة ويحد ما لكليهما من حقوق ، وماعليه من واجبات»[٤] ولأن عقد الزواج عقد هام وخطير جعلت له مقدمات ضرورية تمهد له وتسهل تحقيقه . وتسمى أهم مقدمة للزواج بـ «الخطبة» ويقصد بها : «طلب الرجل يد امرأة معينة للتزوج منها ، والتقدم إليها أو إلى ذويها ببيان حالة»[٥] .

وللخطبة شروط هي : أن تكون المرأة صالحة لأن يعقد عليها في وقت الخطبة ، كأن لاتكون زوجة لغيره ، أو معتدة من طلاق رجعي وأن لاتكون من محارمه . كذلك أن لاتكون مخطوبة لغيره[٦] . والخطبة ، في الفقه الإسلامي ليست بعقد ملزم والعدول عنها لايكون سببا موجبا للتعويض[٧] .

ولاتمام عقد الزواج شروط هي : شروط الانعقاد وشروط الصحة وشروط النفاذ وشروط اللزوم . وشروط الانعقاد هي التي يتوقف عليها سلامة الأمور الأساسية في العقد ، وهي العاقدان والصيغة والمحلة . وإذا تخلفت هذه الشروط أو بعضها لحق العقد خلل في أساسه ، ويعبر عن هذا الخلل بالبطلان ويصبح عندها العقد عقدا باطلا . أما شروط الصحة فهي التي يتوقف عليها صلاحية العقد لترتيب الآثار الشرعية عليه . وإذا تخلفت هذه الشروط أو بعضها كان العقد غير صالح لترتب تلك الآثار عليه . ويعبر عن هذا الخلل بالفساد ، ويسمى العقد عقدا فاسدا . أما شروط النفاذ فهي التي يتوقف عليها ترتيب الآثار على العقد بالفعل . وتخلف هذه الشروط يجعل العقد موقوفا . وأخيرا ، شروط اللزوم هي التي يتوقف عليها بقاء العقد مرتبا عليه آثاره ، فلايكون لأخذ الخيار في فسخه أو رفعه من أساسه[٨] .

ولانعقاد الزواج شروط : منها مايرجع إلى العاقد ، ومنها مايرجع إلى الصيغة ، ومنها مايرجع إلى محل العقد ، كما أوضحنا . فما يرجع للعاقد : (١) أن يكون كل من العاقدين أهلا لمباشرة العقد بأن يكون مميزا ، سواء كان كامل الأهلية كالبالغ أو ناقص الأهلية كالصبي المميز . (٢) أن يعلم كل من العاقدين ماصدر من الآخر ، سواء بسماعه أو رؤية إشارته ويعرف مُراده منها . أما مايرجع

للصيغة «الإيجاب والقبول» ، ونقصد بالإيجاب : مايصدر عن أحد العاقدين معبرا به عن إرادته ، معلنا فيه عن رغبته في إيجاد الرابطة الزوجية والقبول : مايصدر عن الآخر للتدليل على موافقته ورضاه بما أوجبه الطرف الأول ، فيجب تحقيق الشروط التالية : (١) اتحاد مجلس الإيجاب والقبول ، أي ألا يصدر من العاقدين أو أحدهما مايلغي الإيجاب بعد صدوره . (٢) أن يوافق القبول الإيجاب حتى يتلاقيا على شيء واحد ، ويتحقق اتفاق الإرادتين . (٣) أن تكون الصيغة منجزة ، بأن تكون مقيدة لمعناها في الحال غير معلقة على أمر سيحدث في المستقبل . أما مايرجع إلى المحل (أي المرأة المعقود عليها) فيشترط فيها : (١) أن تكون أنثى محققة الأنوثة ، فلو عقد على غير الأنثى كالخنثى المشكل ، إلا إذا غلب فيها علامات النساء ، لاينعقد العقد لعدم المحلية ، ويكون العقد باطلا . (٢) ألا تكون المرأة محرمة عليها تحريما قطعيا لاشبهة فيه[٩] .

ولاينعقد عقد الزواج إلا بالألفاظ الدالة عليه ، سواء كانت حقيقة لغوية في دلالتها عليه ، أم كانت مجازا مشهورا وصل إلى درجة الحقيقة اللغوية ، أو على الأقل له قرينة يستبين بها المعنى . ومن ألفاظ الإيجاب المتعارف عليها : زوجتك وانكحتك واعطيتك ووهبتك وملكتك ونحوه ، وألفاظ القبول المتعارف عليها : قبلت ورضيت ووافقت وأجزت ونفذت وأمضيت ونحوه . وهذه الصيغ يشترط أن يكون أحدها بصيغة الماضي والآخر بصيغة المستقبل ، ويمنع أن تكون صيغة الإيجاب صيغة المستقبل لأن ذلك يحتمل المساومة ، والصيغة ، كما اشترطنا ، يجب أن تكون منجزة . كذلك يجب ألا تكون الصياغة دالة على التأقيت ، أي محددة بفترة زمنية للزواج[١٠] وينعقد باللغة التي يفهمها المتعاقدون ، وإن كان الشافعي يرى وجوب استخدام العربية في هذا العقد الخطير[١١] .

ويشترط لصحة العقد : (١) أن تكون المرأة محلا للعقد (للزواج)[١٢] أي ألا تكون محرمة عليه مؤقتا أو مؤبدا[١٣] . حضور شاهدين[١٤] لقوله ﷺ «لانكاح إلا بشهود»[١٥] ولقوله ﷺ «لانكاح إلا بولي وشاهدي عدل»[١٦] .

وعقد الزواج عقد شكلي ، ويقصد بالعقد الشكلي هو ذلك النوع من العقود التي لايعترف بها القانون ولا تترتب أحكامها ويظلها بحمايته بمجرد التراضي عليها ، بل يشترط شروطا أخرى لترتيب الأحكام وحمايتها . وعقد الزواج ، كما أوضحنا ، ينفي الشارع اعتباره ، ولايرتب أحكامه ، أو حمايته ، بمجرد تراضي الطرفين عليه ، بل لابد من الشهر والإعلان بالشهادة ، على مذهب الجمهور . وإن كان الرضى أساسا فيه[١٧] .

ويشترط لنفاذ العقد ، أن يكون الذي يتولي إنشاءه له ولاية أنشأ به فإذا كان الذي تولى عقد الزواج كامل الأهلية ، وعقد لنفسه فعقده صحيح نافذ ، وكذلك إذا عقد لمن هو في ولايته أو من وكله في إنشاء العقد . أما إذا لم يكن للعاقد ولاية الإنشاء ، إما لأنه ليس كامل الأهلية ، أو لأنه لم ينب عن العاقد أو يوكل عنه ، فإن العقد لايكون نافذاً بل يكون موقوفا . ويشترط في النفاذ أن يكون العاقد بالغا عاقلا حرا في تصرفاته ليعقد لنفسه أو لمن هو في ولايته أو لمن وكله[١٨] .

وعقد الزواج في أصل حقيقته عقد لازم ليس لأحد أن ينفرد بفسخه ، أي نقضه من أصله[١٩] . على أن لهذا الإلزام شروط هي : (١) ألا يكون الولي الذي يزوج فاقد الأهلية أو ناقصها – غير الأب والجد والابن[٢٠] . (٢) ألا يكون المهر أقل من مهر المثل[٢١] . (٣) ألا تزوج البالغة العاقلة نفسها من غير كفء ، فإن فعلت كان لوليها حق الاعتراض على زواجها وطلب فسخه . (٤) ألا يكون في العقد تغرير بالزوجة ، كما لو أن نسب الزوج نفسه لغير قبيلته ثم تبين أنه دونها نسبا . فإنه في هذه الحالة أيضا يكون للزوجة ، كما لوليها حق الفسخ[٢٢] .

ويمكن للمتعاقدين أو أحدهما أن يشترط شروطاً تقرن بالعقد ، والشروط الصحيحة تكون جزءا من مقتضى العقد ، مثل اشتراط مسكن يليق بها وبه . وهي واجب الوفاء بها ، لقوله ﷺ «أن أحق الشروط أن توفوا بها ما استحللتهم به الفروج»[٢٣] ويرى أحمد بن حنبل أن الشرط الصحيح هو الشرط الذي لم يقم دليل من النصوص على بطلانه ولم يناقض مقتضى العقد الثابت بالنصوص مثلا شرط أن لايتوارثا مع اتحاد الدين ، أو يتوارثا مع اختلافه[٢٤] . وذلك لقوله ﷺ «كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، وإن كان مائة شرط» ولقوله ﷺ «المسلمون عند شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا»[٢٥] . ولقد حدد بعض الفقهاء أن لاتكون الشروط : (١) شروطاً تؤثر في صحة العقد ، فتبطله ، لأنها تجعل الصيغة غير صالحة للإنشاء ، مثل الشروط التي تعرف لفظ الموافقة على طلب الزواج بذكر مدة معينة ، كأن تقول مثلا «تزوجتك على أن تطلقني بعد شهر» . (٢) أو شرط فاسد ، كشرط ورد فيه نهي الشارع ، أو ناقض لمقتضى العقد الذي ورد به نص الشارع ، كأن تشترط المرأة عند الزواج طلاق ضرتها[٢٦] . فإن مثل هذه الشروط لاتلغي العقد ولاتؤثر فيه .

وحتى تترتب الحقوق الشرعية بمقتضى العقد ، يجب أن يكون قد استوفى عند إنشائه شروط انعقاده وشروط صحته ، لكن قد يحدث بالعقد غير المستوفي للشروط علاقة بين العاقدين ، لذلك يعمل الشارع على تنظيمها ، فيضع أحكاما لها ، من حيث إنها أمر واقع ، فيعطي حكما لحسم الخلاف ومنع النزاع . ويفرق الفقهاء بين : عقد صحيح وعقد موقوف وعقد غير لازم وعقد غير صحيح .

والعقد الصحيح هو العقد المستوفي أركان وشروط صحته . فإذا أجرى العقد من هو أهل له ، بأن كان عاقلا بالغا ، واستوفى شروط صحة الإيجاب والقبول ، كان العقد صحيحا ، وترتبت عليه أحكامه وآثاره ، كواجب المهر ، والنفقة على الزوج للزوجة ، ووجوب الطاعة على الزوجة فيما هو مباح شرعا ، وثبوت حق التأديب للزوج على الزوجة ، وثبوت نسبة الأولاد وثبوت التوارث بينهما حين وفاة أحدهما[٢٧] .

وإذا تولى عقد النكاح ذو أهلية ليست له ولاية إنشاء ، بأن تعقد لغيره ، وليس له عليه ولاية شرعية ، ولم يستمد الولاية منه بوكالة ، مثلا تزويج الولي البعيد مع وجود القريب ، وإمكانه أن

يتولى هو العقد ، وكذلك تزويج ناقص الأهلية نفسه بمهر المثل والكفء ، فإن مثل هذا العقد وإن كان عقدا صحيحا ، لكنه غير نافذ ، فإن أجازه من له الشأن التحقت الإجازة بالإذن السابق على العقد ، وإن رفض يعد العقد باطلا ويعتبر ملغي . أما إذا كان الدخول قبل الإجازة ، ثم كانت الإجازة كان عقد صحيحا وإذا كان الدخول قبل الإجازة ، وأعقبه الرفض والإبطال ، فإن الدخول يكون مع شبهة قوية تسقط الحد وتمحو الجريمة فيثبت المهر والعدة والنسب . أما إذا كان الدخول بعد الرفض والعلم به ، فإنه لاشبهة تسقط حدا وبالتالي لايترتب شيء من مهر أو عدة أو نسب . والعقد الموقوف ، على أي حال ، لايثبت توارثا إذا حصلت وفاة في مدة وقفه ، كما أنه لايثبت حرمة مصاهرة إذا لم يجز لأن البطلان أزاله من أصله[٢٨] .

والعقد غير اللازم هو العقد الذي استوفى شروط الصحة وشروط النفاذ لكنه لم يستوف شروط اللزوم ، فيجوز لمن له حق الفسخ أن يفسخه في الحدود التي رسمها الشارع له : كأن يغرر بالزوجة . وإذا حصل دخول في العقد غير اللازم قبل فسخه ، فهو دخول في نكاح صحيح لاشك فيه . وهو حلال من كل الوجوه إذا العقد قائم ومقرر الأحكام ومنتج كل آثاره إلى أن يفسخ . فهو موجب النفقة ، وإذا مات أحدهما قبل الحكم بالفسخ ، ولو بعد طلبه ، يكون للآخر أن يرثه[٢٩] .

أما عقد النكاح غير الصحيح فهو الذي به خلل في ركن من أركان العقد أو خلل في وصفه . وهو لايترتب عليه شيء مطلقا ، لأن الأصل في العلاقة بين الرجل والمرأة هو التحريم ، حتى يقوم سبب شرعي يثبت الحل وهو العقد الصحيح ، الذي في حالة وجوده تنتقل تلك العلاقة من التحريم إلى الحل . أما إن وجد غير مستوف لشروط الصحة ، فهو غير معترف به من الشارع ولايرتب عليه حكما شرعيا ، ومن ثم لايثبت عليه نفقة ولاطاعة ولا توارث بأي حال ، ولاحق لأحدهما قبل صاحبه . وإذا حصل دخول في هذا العقد غير الصحيح ، فإنه حينئذ يثبت النسب وتثبت العدة وتكون ، أحيانا ، الشبهة مسقطة للحد[٣٠] .

يتضح من عرضنا السابق الموجز مدى اهتمام الشرع الإسلامي بالتدقيق في مسألة عقد الزواج لما لهذا العقد من آثار هامة مترتبة عليه ، وسنرى كيف أن ماذكره الفقهاء من شروط واحتياطات هي الأصل في الصورة المعمول بها عند المسلمين ومنذ فترة مبكرة جدا في تاريخ الإسلام .

عقود الزواج في التاريخ الإسلامي

يؤكد الفقهاء على أن عقد الزواج هو عقد مدني صرف ذو طابع علني بالنظر لخطورته . ويبدو من القرائن التاريخية المتاحة أن عقود الزواج في الإسلام لم تكن مكتوبة بل كانت شفهية في بداية الإسلام . والدليل على ذلك أن كافة زيجات الرسول ﷺ لم تكن مكتوبة ، وكذلك زواج علي ابن أبي طالب من فاطمة – رضي الله عنها –[٣١] (أو على الأقل لم تصلنا أخبار تؤكد كتابتها) .

وأقدم عقد زواج مكتوب يرجع تأريخه إلى نهاية القرن الثاني للهجرة[٣٢] ، ويوجد العديد من عقود الزواج في دار الكتب والوثائق بالقاهرة والتي يعود تأريخها إلى عصور زمنية تنحصر فيما بين القرن الثالث والخامس الهجريين ، مما يدل في نظرنا على أن بداية كتابة العقود كانت في فترة متأخرة عن نشأة الإسلام ، لكنها انتشرت بعدها بين فئات اجتماعية معينة[٣٣] .

ويلحظ الدارس لهذه العقود تغيرا وتطورا واضحا في صيغها بل وفي شكلها أيضا ، على أن المضمون ظل ثابتا لم يتغير ، وهو الإيجاب والقبول . فنجد مثلا في العقود المنسوبة إلى عصر صدر الإسلام أنها تبدأ بخطبة تتضمن بعض الآيات القرآنية وبعض الأحاديث النبوية التي ترغب في الزواج وتعدد مزاياه وتبين الحكمة من مشروعيته ، وتعرف «بخطبة النكاح» . وهذه الخطبة كانت من عادات العرب وعرفهم قبل الإسلام ، وكان يلقيها وكيل الزوج يبين فيها مكانة العريس في قومه ويعدد مميزاته وصفاته وسجاياه وكريم خلقه وجانبا من عاداته وحياته ، وفي بعض الأحيان كان العريس نفسه يلقي هذه الخطبة[٣٤] .

أما صيغة العقد ، فتكاد تكون واحدة ، تبدأ عادة بالبسملة ، وتأتي بعدها الصيغة القانونية للعقد من حيث أداء الصداق المترتب على الإيجاب والقبول ، ثم يذكر بعدها النسب (وذلك لتحقيق الكفاءة بين الزوجين)[٣٥] ويذكر اسم المدينة التي يسكن فيها الزوج ، ثم يلحق اسم العروس صاحبة الصداق واسم أبيها أو وليها في الزواج ، ويبين حالتها إن كانت بكرا أم ثيبا ، ويذكر قيمة الصداق ويحدد المعجل فيه (وهو الذي يدفع للزوجة عن طريق وليها أو على الأقل يعلن عنه ساعة العقد أمام الشهود) كما يحدد المؤجل منه ، ويبين كيفية سداده ، وهل سيؤديه الزوج إلى زوجته بالتقسيط أو دفعة واحدة بعد أجل معلوم . ثم تتوالى أسماء الشهود[٣٦] .

والصداق (المهر) شيء أساسي في عقد الزواج وليس في الشرع تحديد لمقداره ، فهو يختلف من شخص لآخر حسب الحالة الاجتماعية والاقتصادية ، وبحسب مايتفق عليه أطراف الزواج . ويشترط مالك بأن لايقل عن ثلاثة دراهم ، وعند الشافعي عن عشرة دنانير .

ويلاحظ أن رضى وموافقة الزوجة مهم ومنصوص عليه ، وأن تكون موافقتها معلومة عند شاهدي عدل على ذلك الزواج ، ورضاها بالمبلغ المقدر للصداق ، وتوضح العقود دقة المأذون في كتابة العقود وفي تحري صحة العقد . فيأخذ المأذون شهادة مكتوبة بتوقيع عدد من الشهود يثبت فيها أنهم يعرفون العروس فاطمة بنت أبي بكر بن علي الروبني – كما يرد في أحد العقود – وأنها بكر وبالغ وحرة ومسلمة وخالية من موانع الزواج ، ولم يسبق لأحد أن عقد عليها بالزواج حتى تاريخ العقد (٦٤٠/١٢/٧هـ) وأن شقيقها أحمد هو ولي تزويجها ، وأن الزوج الراغب في عقد زواجها وهو عبد الملك بن شجاع بن طرخان كفء لها[٣٧] .

وقد أوجب الشرع على ولي الزوجة أن يسلمها صداقها ولايأخذ منه شيئا لنفسه[٣٨] ، ومن المسلم به أن وكيل الزوج في العقد ليس إلا سفيرا أو معبرا عن رغبة الزوج ، وليس للزوجة أن تطالبه

بالمهر ، بل عليها أن تطالب الزوج بذلك مالم يكن الوكيل ضامنا له . ويعتبر المؤجل من الصداق دينا على الزوج لابد من أدائه إلى الزوجة نفسها حسب اتفاق يتم بينهما . ويلاحظ في العقود التي بدار الكتب والوثائق أن المؤجل عادة مايقسط إلى سنوات قد تصل إلى (١٢ سنة) وعادة ماتوقع الزوجة بتسلمها المؤجل ، ولم تتنازل منه عن شيء لزوجها أو أبيها ويشهد بذلك شهود[٣٩] .

ويلاحظ كذلك أن العقود غالبا ماتشمل شروطا اشترطتها الزوجة على زوجها منها : أن يسدد لها مؤجل الصداق خلال أيام قليلة بعد الدخول بها ، وفي حالات أن يؤدي مؤجل الصداق بعد الطلاق . ويتضمن عدد غير قليل من عقود الزواج المدونة على ورق البردى شروطا خاصة لمصلحة الزوجة كحرية التصرف لما تملك ، وعدم تدخل الزوج فيما تتصرف فيه ، وكذلك أن يسمح لها بزيارة أهلها وأن يزورها في بيتها . ولقد وجد في بعض العقود أنها تنص على أن تكون العصمة بيد الزوجة (تمليك المرأة أمرها) ، بل وجد في أحد العقود أن اشترطت الزوجة أن أية زوجة أخرى يتزوجها زوجها تكون عصمتها بيدها هي ، فإن شاءت أبقتها وإن شاءت طلقتها ! ويلاحظ بصفة عامة أن غالبية عقود الزواج تنص على وصية الزوج بزوجته وحسن معاملته لها ، ووجود طاعة الزوجة للزوج ، مدعمة بآيات قرآنية وأحاديث نبوية في هذا المعنى[٤٠] .

حفلة عقد الزواج في جدة

يميز معظم أهالي جدة بين حفلة عقد الزواج أو النكاح وحفل الزفاف . ويطلقون على الأولى «الملكة» والثانية «الدُخلة» . وتتفاوت الفترة التي تفصل بين الحفلتين بحسب الظروف الثقافية والتاريخية والفروق الاجتماعية (الطبقية) . فقديما كانت هذه الفترة وجيزة جدا ، أما في الوقت الحاضر فلاتقل عن عدة شهور ، ويختلف الاهتمام بالحفلة الأولى بحسب الطبقة الاجتماعية ، إذ نجد أن الطبقة الحضرية العليا والوسطى تعطي اهتماما متزايدا للحفلة الأولى ، وتجعل الفترة بين «الملكة» و «الدخُلة» طويلة وتعتبرها مرحلة هامة تساعد على تعرف طرفي الزواج على بعضهما البعض . بطبيعة الحال لاتتم هذه الحفلات إلا بعد أن تتم الخطوبة ، وتسمى «قراءة الفاتحة» وهي غالبا ماتأخذ شكل زيارة خاصة ، مقصورة على ولي أمر الخاطب وبعض أخلائه ، وذلك بعد أن تكون بعض الترتيبات قد تمت بين الأسرتين وضمن نوع من الموافقة أو القبول المبدئي . وتعتبر زيارة «قراءة الفاتحة» تتويجا رسميا وتأكيدا على الجدية وفاتحة لتحديد موعد قريب لعقد الزواج[٤١] .

ومما يميز حفلة «الملكة» أنها تميل إلى أن تكون حفلة خاصة ، تقتصر غالبا على الأهل والأقارب والأحباب فقط وفي حدود ضيقة . وهي غالبا ماتتم في بيت أهل العروس ، بعد أن يتجمع «ضيوف» أهل العريس في دار أهله أو مكان يحدد للتجمع ليصلوا إلى بيت أهل العروس في شكل جماعي ما أمكن . وفي الحفلات التقليدية ، يقبل أهل العريس ومعهم البواخر والمعاشر التي بها علب الحلاوة التي ستوزع على الحاضرين عقب الانتهاء من حفل عقد الزواج[٤٢] ، إضافة إلى منشد[٤٣]

يلقي بصوت منغم جميل بعض أبيات الشعر المحضة على الزواج والتي يمتدح فيها عائلتي العروسين .

وفي السنوات الأخيرة ، أصبح التقليد بين الأسر ذات الأصول الحضرية تقديم مايعرف بـ «الشبكة» وهي عبارة عن «تبسى» أو «عربية»[٤٤] تحمل هدايا قيمة للعروس ، تشمل : عباءة وطرحة وقطع قماش وملابس خاصة بالعروس ، إضافة إلى طقم «مكياج» وعطورات وبعض العود وجنيهات ذهب والمهر ودبل العروسين[٤٥] .

وبؤرة هذه الحفلة مراسم عقد الزواج ، الذي يقوم به مأذون شرعي مرخص له بذلك من وزارة العدل ، يعتمد في إجراء العقد ومن ثم تسجيله لدى السلطات والجهات المسؤولة في الدولة . وهو بطبيعة الحال فإن الحفل لايبدأ إلا بعد أن يكتمل عقد الضيوف ، بعد أن يكون قد جمع كل المعلومات الضرورية وتأكد من عدم وجود أي موانع تحول دون إجراء عقد الزواج – كما سنرى لاحقا – وتأكد من رضى الفتاه بالزواج والموافقة على إمضاء الزواج ، وتسجيل شروط العروسين إن كانت هناك شروط وخلافه ، وبعد أن يكون قد تأكد من كافة هذه الإجراءات فإنه عندها يبدء بتلاوة خطبة النكاح والتي تشمل معاني جميلة في الترغيب والحض عليه وذكر محاسنه وشيء من أحكامه ، وذلك بصوت منغم شجي ثم يأخذ بيد ولي أمر الفتاه ويد العريس أو من يتولى أمره ، ليكرروا خلفه عبارات القبول والإيجاب بألفاظ صريحة واضحة . وبمجرد الانتهاء من ذلك يوقع كل من ولي أمر الفتاه والعريس وشاهدي عدل على إتمام إجراءات عقد الزواج توزع بعدها المرطبات و «علب الحلاوة» لجميع الحاضرين ويمضون بعدها بعض الوقت في الأحاديث ، وخاصة أحاديث التعارف بين أفراد الأسرتين . وغالبا مايدعى بعدها الضيوف إلى العشاء ، وإن لم يكن ذلك ضروريا .وتختار بعض الأسر إتمام حفلة الزواج في الحرم المكي أو في إحدى المساجد وذلك لإضفاء شيء من الروحانية على حفلة العقد .

يقتصر الحفل على الرجال إذا كانت «الملكة» بدون «شبكة» . أما في حالة الشبكة ، فإن الحفل يشمل بعض النساء ، وخاصة أهل العريس ، بالطبع دونما اختلاط بين الجنسين . وبتأكد وجود حفل يستمر لوقت متأخر يتم فيه تناول العشاء للضيوف . وبعد العشاء ومغادرة معظم الضيوف يطلب من العريس زيارة قسم النساء لرؤية العروس ، ربما كانت هذه الرؤية هي لأول مرة وإن كان معظم الأهالي من الطبقة الوسطى لم يعودوا يمانعون من رؤيتها عند زيارة العريس لقراءة الفاتحة ، يقاد العريس إلى منصة أعدت لهذه المقابلة ، حيث يجلس على كرسي بجوار العروس ، ليقوم بإلباسها دبلة أو خاتم الزواج – وهي عادة أصبحت واسعة الانتشار ، رغم أنها عادة ليس لها مقابل في التقاليد الإسلامية الأصيلة – ولتفعل مثله العروس ويتبادلا الأحاديث الداعية لتعارفهما ويتناولا بعض المرطبات . وفي هذه الأثناء يتم استعراض هدايا العريس «التبسى» أو «العربية» إلى العروس تحت أنظار السيدات الحاضرات[٤٦] .

وبعد أن يقضي العريس بعض الوقت في أحاديث مع عروسه ، وربما التقاط بعض الصور

التذكارية ، يغادران إلى مائدة عامرة بأنواع مختلفة من الطعام «بوفيه» حيث يقومان بقطع كعكة الحفل ، ويتناولا بعض اللقيمات ليغادر بعدها العريس ومن ثم تدعى بقية المدعوات والحاضرات لتناول الطعام وهكذا تنتهي الحفلة بدعاء الجميع للعروسين .

أما حفلة الزفاف ، فإنها غالبا ماتكون حفلة عامة يدعى إليها المعارف والأصدقاء والجيران وليس بها أي إجراءات فقهية ، وهي عادة ماتنتهي في ساعة متأخرة من الليل يأخذ فيها العريس عروسه إلى بيت الزوجية لتبدأ حياتهما المشتركة .

عقود الزواج في مدينة جدة

توضح لنا الخلفية الفقهية والتأريخية وحفلة عقد الزواج أهمية هذه العقود والتطورات التي مرت بها ، وكيف أنها تحقق المتطلبات الشرعية وتكفل لطرفي الزواج حقوقها وواجباتها . وهي وإن كانت تعكس بصدق حصيلة التطورات التاريخية في المجتمع الإسلامي ، فهي نتاج وحصيلة قيمه وعاداته وتجاربه . لذا فإنه لايدهشنا على الإطلاق احتفاظ هذه العقود بالعديد من العناصر الأساسية المكونة لها ، كما سنرى .

والعقود التي بين أيدينا هي عقود قام بها مأذون في مدينة جدة ، ولقد تمت هذه العقود مابين عام (١٤٠٣ – ١٤١٠هـ) وهي بذلك تعكس ظروف الزواج في فترة محددة . ولقد بلغت العقود تحت الدراسة (٢١٥٥) عقدا ، والزيجات التي تسجلها العقود ليست محددة بحي معين داخل جدة – وإن كان يغلب عليها منطقة وسط مدينة جدة – وهي ليست محدودة بمجموعة عرقية معينة ، على أن غالبيتها العظمى لسعوديين ، إلا أنها شملت عقودا فيها زيجات متعددة الجنسية وأخرى لغير السعوديين ، مما يعطينا فكرة موسعة عن عقود الزواج في جدة ، وجميع هذه العقود لمسلمين بالغين من الجنسين[٤٧] .

وتشمل صحيفة أو استمارة «طلب عقد الزواج» التي يقوم على أساسها عقد الزواج – والتي يجب على المأذون تعبئتها قبل إمضاء عقد الزواج في صورته النهائية – على المعلومات التالية :

اسم الخاطب كاملا ، تاريخ ميلاده ، رقم هاتفه (إن وجد) ، جنسيته ، رقم حفيظته ومصدرها . اسم المخطوبة كاملا ، جنسيتها ورقم حفيظتها (أو حفيظة ولي أمرها) وتاريخها ومصدرها وتاريخ ميلادها وهل هي بالغة أم غير بالغة ، وهل هي بكر أم ثيب ، وإذا كانت ثيب ، فما اسم زوجها السابق وتاريخ الطلاق أو الوفاة . كذلك إن كانت مطلقة فهل هي مدخول بها أم لا ؟ وإن كانت متوفي عنها زوجها هل أكملت العدة ؟ وهل هي حامل ؟ وان كانت مطلقة يذكر رقم صك الطلاق وتاريخه وجهة مصدره ويرفق عقد الطلاق بالاستمارة . وهل توجد قرابة رضاع بين الطرفين . كذلك يطلب اسم ولي المخطوبة وجنسيته ورقم حفيظته وتاريخها ومصدرها ونوع القرابة

ورقم الوكالة وتاريخها إن كان وكيلا عن وليها ومقدار المهر كاملا ، ثم يعين مقدار معجله ومؤجله والشروط التي في صلب العقد وتاريخ إجراء العقد وذلك بتحديد اليوم والساعة والتاريخ ، وعنوان المكان الذي سيتم فيه العقد ورقم الهاتف ثم توقيع الخاطب والمخطوبة وولي أمرها على صحة المعلومات الواردة وإعلان مسؤوليتهم عن صحتها ودقتها .

ويتضح من دراسة مفردات المعلومات المطلوبة أنها تمكن المأذون من تحقيق كافة الشروط الواجب توافرها في صحة عقد الزواج ، مثل مسألة الطلاق والعدة والحمل والقرابة والرضاعة وخلافه . ويتوخى المأذون من خلال هذه الاستمارة أيضا الحصول على رضى وموافقة المخطوبة والتأكد من مسألة الكفاءة وموافقة وليها على تحقيقها ، وذلك قبل الشروع في المرحلة النهائية من هذا العقد ، ونقصد الإيجاب والقبول والشهادة على ذلك وإعلانه أمام جمع من الحضور . كذلك تأخذ الصحيفة في حسبانها التأكيد على المهر وشروط العقد وتحديد تاريخ إجرائه وذلك لضمان حقوق وواجبات جميع أطراف الزواج . هذا ويقوم المأذون ليلة الخطبة بإتمام إجراءات العقد ليصبح نافذا وملزما بعد أن تأكد من شروط إمكان انعقاده وصحته .

ومن خلال دراستنا للعقود ، وجدنا أن المأذون لايمضى في إتمام إجراءات الحالات التي قد تكون عرضة لشبهة أو بها عوارض قد تحول دون إتمام العقد ، كذلك لايتم عقد زواج لغير بالغ أو من ليس لها ولي أو وكيل لوليها ، إضافة إلى تحري رضى وموافقة وعلم طرفي الزواج ، وخاصة المخطوبة . كذلك لم نجد في كافة العقود المدروسة شروطًا تحل محرم أو تحرم حلال ، أي شروط فاسدة أو باطلة .

ولقد ركزنا في تحليلنا ودراستنا على المتغيرات التالية : جنسيات الزوجين ، سنهما ، والبكارة وحال الزوجة الزواجية (المدينة) قبل العقد ومقدار المهر وصفته وشروط العقد وقرابة ولي أمر الزوجة . ولقد اتجهنا في تحليلنا إلى دراسة التوزيعات الأساسية لعينة البحث بحسب المتغيرات المذكورة أعلاه ، ثم دراسة بعض الارتباطات الأساسية التي قد تسهم في فهم وتفسير الاتجاهات العامة للزواج في مدينة جدة .

وقبل أن نبدأ بتحليل العقود قيد الدراسة ، علينا أن نوضح أن دراستنا ليست مهمة فقط لأنها تمكننا من فهم شريحة من مجتمع جدة ، وإنما هي مهمة أيضا لأنها تعطينا صورة عن ماحدث فعلا دونما «تزويق» في الإجابة لتحسين صورة الوضع المستقبلي أو تكوينها . فالعقود معلومات عن حقائق «وقعت بالفعل» وسجلت دونما معرفة من المدروسين على أنها مادة علمية يمكن تحليلها ، ومن ثم تكون مصداقيتها عالية جدا ، وبذلك فإنها تصور «فعلا» مايفعله الناس في حياتهم العامة : مايرغبون ومايكرهون ، لهذا فإن تحليل ودراسة هذه العقود تعطينا موقف المدروسين الرسمي إزاء هذا العقد الهام ، دونما خوف من تحسين أو تزويق تقديم الذات .

ولقد قام الباحث من قبل بدراسة عينة من هذه العقود للفترة مابين (١٣٩٨ – ١٤٠٢هـ) لمدينة جدة ومن نفس المأذون ، وتوصل في تلك الدراسة إلى نتائج من أهمها :

١ – تفضيل الرجال الاقتران بأبكار من جنسياتهم ، يصغرنهم في السن وألا يكون المهر مرتفعا ، وأن لاينص العقد على شروط ، وأن يجرى العقد مع والد الفتاة .

٢ – تفضيل النساء الاقتران بشباب من جنسيتهن وأن لايكبرهن في السن كثيرا (في حدود خمس سنوات) وأن يشترطن شروطا في العقد ، وإن كان معظم هذه الشروط تتعلق بالاستقلال بوحدة سكنية وحق العمل أو الدراسة ، وأن يجري العقد مع والدهن .

٣ – لم توجد – في العقود المدروسة – أي معاملة خاصة بالأبكار تميزهن عن غير الأبكار – سوى تفضيلهن في الزواج – فيما يتعلق بالمهر أو صفته أو شروطه .[٤٨]

وهذه الدراسة هي استمرار للدراسة السابقة ومتابعة لها على طول عقد من الزمان ، حتى نتمكن من التعرف على الاتجاهات السائدة ، إن كانت هناك اتجاهات ، في الزواج في مدينة جدة . وفي الوقت نفسه ستوضح الدراسة ما إذا كانت المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية لها تأثير خلال هذا العقد الذي تمت فيه العقود ، ومدى استمرار بعض اتجاهات التغير في أنساق العلاقات الزواجية مثلا : القسم قبل الدخول ، معدلات زواج المطلقات والأرامل ، وكبيرات السن ، نوعية الشروط الملحقة بالعقد ، ومسألة مؤجل الصداق وكل هذه الأمور الجديدة نوعا ما على الحياة الزوجية في جدة .

خصائص العينة كما توضحها المعلومات التي تم جمعها

ذكرنا أن حجم العينة (٢١٥٥) عقد للفترة (١٤٠٣ – ١٤١٠هـ) وسنضيف إليها (٢٠٦) عقد للفترة (١٣٩٨ – ١٤٠٢هـ) جمعت ودرست من نفس المأذون في مدينة جدة ، أي أن حجم العينة التي تتناولها الدراسة الحالية هي (٢٣٦١) عقد للفترة مابين (١٣٩٨ – ١٤١٠هـ) .

(أ) جنسية العروسين

يوضح لنا الجدول (١) الغالبية العظمى من الذكور الذين تم تسجيل عقود زواجهم هم من السعوديين (٩٤٪) في مقابل (٦٪) من غير السعوديين ، وهي نسبة تقل عما كانت عليه أوضاعهم إلى حدود عام ١٤٠٤هـ ، لكن بعدها أصبحت نسبتهم تتجاوز في المتوسط ٩٤٪ بينما تمثل نسبة السعوديات في المتوسط هي (٩١٪) وهي في عامي ١٤٠٣ و ١٤٠٤هـ تتدنى لتصل إلى ٨٢٪ و ٨٦٪ بالترتيب ، وعلى أي حال فواضح من الجدول أن هناك حالات محدودة لزيجات مشتركة الجنسية . إضافة إلى زيجات بين غير سعوديين . ويبدو أن معظم الزيجات المشتركة إنما هي زيجات بين أقارب أصلا ، حصل بعضهم على الجنسية السعودية ، وبقى البعض على جنسيته الأصلية ، على

أن هناك حالات نادرة يكون فيها الزواج بين أشخاص من جنسيات مختلفة وليست بينهم أي جذور مشتركة على الإطلاق ، لكنها حالات نادرة جدا .

الجدول (١)
توزيع عينة البحث بحسب الجنسية

جنسية الزوج

الجنسية/العام	١٤٠٢/١٣٩٨	١٤٠٣	١٤٠٤	١٤٠٥	١٤٠٦	١٤٠٧	١٤٠٨	١٤٠٩	١٤١٠	المجموع
سعودي	١٩١ ٪٩٣	٢٧٩ ٪٩٠	٣٣٨ ٪٩١	٣١٠ ٪٩٥	٢٤٦ ٪٩٩	١٨٢ ٪٩٨	٢٢٠ ٪٩٦	٢١٩ ٪٩٥	٢٤٠ ٪٩٤	٢٢٢٥ ٪٩٤
غير سعودي	١٥ ٪ ٧	٣١ ٪١٠	٣٢ ٪ ٩	١٧ ٪ ٥	٢ ٪ ١	٣ ٪ ٢	١٠ ٪ ٤	١١ ٪ ٥	١٥ ٪ ٦	١٣٦ ٪ ٦
المجموع	٢٠٦	٣١٠	٣٧٠	٣٢٧	٢٤٨	١٨٥	٢٣٠	٢٣٠	٢٥٥	٢٣٦١
جنسية الزوجة الجنسية/العام										
سعودية	١٩٠ ٪٩٢	٢٥٣ ٪٨٢	٣٢٠ ٪٨٦	٣٠٢ ٪٩٢	٢٤٣ ٪٩٨	١٧٨ ٪٩٦	٢١٨ ٪٩٥	٢٠٧ ٪٩٠	٢٣٣ ٪٩١	٢١٤٤ ٪٩١
غير سعودية	١٦ ٪ ٨	٥٧ ٪١٨	٥٠ ٪١٤	٢٥ ٪ ٨	٥ ٪ ٢	٧ ٪ ٤	١٢ ٪ ٥	٢٣ ٪١٠	٢٢ ٪ ٩	٢١٧ ٪ ٩
سعودي	٢٠٦	٣١٠	٣٧٠	٣٢٧	٢٤٨	١٨٥	٢٣٠	٢٣٠	٢٥٥	٢٣٦١

(ب) سن الزوجين

ويتناول الجدول (٢) توزيع سن الأزواج كما تذكرها عقود الزواج ، ونلاحظ أن أكثر الفئات العمرية في العينة هي فئتا (٢١ – ٢٥ سنة) و (٢٦ – ٣٠ سنة) في جميع الأعوام ، وهي تمثل في المتوسط (٣٤٪ و ٣٤,٩٪) بالترتيب أي حوالي (٦٨,٩٪) لهذه الشريحة العمرية مجتمعة (بغض النظر عن الجنسية) . وتفسير ذلك يبدو واضحا ، إذ غالبا مايكون من هم في هذه المرحلة العمرية قد حصلوا على الثانوية العامة أو من خريجي الجامعة ، وهم بذلك ممن يستطيعون القيام بتحمل الأعباء المالية التي تتطلبها الحياة الزوجية .

هذا وتوضح هذه النسبة العالية ، مقارنة بنسبة من هم دون العشرين في جميع الأعوام والتي لاتتجاوز (٢٪) وفي المتوسط (١,٧٪) أن هناك تأخرا ملحوظاً في متوسط عمر الزوج عما كانت عليه الصورة التقليدية ، التي كانت تشجع الزواج المبكر ، رغم سماح قانون العديد من الأقطار الإسلامية بالزواج في سن مبكرة (دون العشرين) ويشكل من يتزوجون بعد أن بلغوا من العمر ثلاثين عاما في المتوسط (٢٠,٤٪) وهي نسبة عالية في مجتمع تقليدي كمجتمع موضوع الدراسة . وتوضح البيانات أن ظاهرة تأخر الزواج هذه تميل إلى الازدياد ، مما يوضح أن تكاليف الحياة الاجتماعية والانخراط في التعليم ولسنوات طويلة ، ربما كانت الأسباب الرئيسة خلف بروز هذه الظاهرة .

ويوضح الجدول رقم (٣) أعمار الزوجات عند عقد الزواج . ومما يسترعى الانتباه أن الفتيات اللائي يتزوجن دون العشرين أخذت حالتهن في النقصان ، وأن غالبية الفتيات يتزوجن وهن بين (٢١ – ٢٥) سنة من العمر (٣٨٪) ، كذلك نلحظ ازدياداً بطيئًا للفتيات اللاتي تتراوح أعمارهن بين (٢٦ – ٣٠) سنة . وهذا الاتجاه يوضح أن الأسر أصبحت تغلب عوامل أخرى كالتعليم على أمر التعجيل بالزواج ، إذ غالبا مايرفض بعض الآباء تزويج بناتهم قبل حصولهن على شهادة الثانوية العامة . على أن الجدول يوضح في الوقت نفسه أن أعمار الفتيات عند الزواج غالبا ماتكون أدنى من أعمار الشباب ، وهذا غير مستغرب ، خاصة في مجتمع شرقي محافظ تقوم على الزوج فيه أعباء مالية واجتماعية كبيرة في إطار الأسرة ، مما يجعله يتأخر في الزواج ليؤمن كافة المتطلبات الضرورية لإنجاح الزواج . على أن تأخر سن الفتاة يدل على مايمر به المجتمع السعودي من تغيرات ، خاصة فيما يتعلق بمفهوم الزواج ومسؤولياته . على أنه ورغم ذلك ماتزال (٦٧٪) من الفتيات يتزوجن دون (٢٥ عاما) ، ومايزال المجتمع عزوف عن الاقتران بكبار السن ، من الجنسين ، وإن كان حال الإناث أصعب . لكن وكما يوضح الجدول هناك حالات زواج بكبيرات السن ، مما يوضح تغير تدريجيا وتحول في النظرة إلى المرأة ، سواء كانت بكرًا أو ثيبًا ، إذ هناك حالات كثيرة تنخرط فيها المرأة في مهنتها أو دراستها بحيث ترفض الزواج مؤقتا مما يؤدي إلى «عنوستها» ، لكن هذا لايحول دون زواج البعض في هذه المجموعة التي أصلا هي محدودة .

الجدول (٢)
توزيع عينة البحث بحسب عمر الزوج عند عقد الزواج

العمـــر	١٣٩٨/١٤٠٢	١٤٠٣	١٤٠٤	١٤٠٥	١٤٠٦	١٤٠٧	١٤٠٨	١٤٠٩	١٤١٠	المجموع
لم يذكر عمره	٦	٣٩	٣٩	٣٧	١٠	١١	٢١	٢٣	٢٢	٢٠٨
	٪ ٣	١٢,٧	١٠,٥	١١,٣	٤,٠	٥,٩	٩,١	١٠	٨,٦	٨,٨
أقل من ٢٠ عاما	٣	٢	٧	١٢	٣	٤	٢	٣	٣	٣٩
	٪ ١	٠,٦	١,٩	٣,٦	١,٢	١,٢	٠,٨	١,٣	١,٢	١,٧
٢١ – ٢٥	٧٩	١٢٠	١٤٤	١٠٢	١٠٣	٥٤	٦٦	٧٠	٦٨	٨٠٦
	٪٣٨	٣٨,٧	٣٨,٩	٣١,٢	٤١,٥	٢٩,٢	٢٨,٧	٣٠,٣	٢٦,٧	٣٤,١
٢٦ – ٣٠	٧٨	٩٩	١١٤	١١٣	٨٦	٧٩	٧٧	٨٣	٩٧	٨٢٦
	٪٣٨	٣١,٩	٣٠,٨	٣٤,٦	٣٤,٧	٤,٧	٣٣,٥	٣٦	٣٨	٣٥,١
٣١ – ٣٥	٢٣	٢٤	٣٨	٣١	٢٦	٢٢	٣١	٣١	٣٩	٢٤٧
	٪١١	٧,٧	١٠,٤	٩,٥	١٠,٥	١١,٩	١٣,٥	١٣,٧	١٥,٣	١٠,٥
أكبر من ٣٥	١٧	٢٦	٢٨	٣٢	٢٠	١٥	٣٣	٢٠	٢٦	٢١٧
	٪ ٨	٨,٤	٧,٥	٩,٨	٨,١	٨,١	١٤,٤	٨,٧	١٠,٢	٩,٢
المجموع	٢٠٦	٣١٠	٣٧٠	٣٢٧	٢٤٨	١٨٥	٢٣٠	٢٣٠	٢٥٥	٢٣٦٠

الجدول (٣)
توزيع عينة البحث بحسب عمر الفتاة عند عقد الزواج

فئة العمر	١٤٠٢/١٣٩٨	١٤٠٣	١٤٠٤	١٤٠٥	١٤٠٦	١٤٠٧	١٤٠٨	١٤٠٩	١٤١٠	المجموع
لم يذكر عمره	١٥	٣٩	٤٨	٣١	٨	١٢	٢٠	٢١	٢٣	٢١٧
	٪ ٧	١٢,٦	١٣,١	٩,٥	٣,٢	٦,٥	٨,٧	٩,١	٩,١	٩,٢
أقل من ٢٠ سنة	٩٥	١٠٢	١٤١	١٠٩	٨٥	٤٠	٦٥	٦٢	٧٢	٧٧٢
	٪٤٦	٣٢,٩	٣٨,١	٣٣,٣	٣٤,٣	٢١,٦	٢٨,٣	٢٧	٢٨,٢	٣٢,٧
٢١ – ٢٥ سنة	٧٥	١٢٦	١٢٧	١٣٦	١٠٣	٧٠	٨٨	٩٠	٩١	٩٠٨
	٪٣٦	٤٠,٦	٣٤,٢	٤١,٦	٤١,٥	٣٧,٨.	٣٨,٣	٣٩,١	٣٦,٥	٣٨,٥
٢٦ – ٣٠ سنة	١٢	٢٢	٣٥	٣٢	٣١	٤٢	٢٨	٣١	٣٥	٢٦٨
	٪ ٦	٧,١	٩,٥	٩,٨	١٣,٠	٢٢,٧	١٢,٢	١٣,٥	١٣,٧	١١,٤
٣١ – ٣٥ سنة	٩	١٦	٧	١١	١٣	٧	١٧	١٩	٢١	١٢٠
	٪ ٤	٥,٢	٢,٠	٣,٤	٥,٢	٣,٨	٧,٤	٨,٣	٨,٢	٥,١
أكبر من ٣٥ سنة	—	٥	١٢	٨	١١	١٤	١٢	٧	١١	٧٧
		١,٦	٣,٢	٢,٤	٣,٢	٧,٦	٥,٢	٣,٠	٤,٣	٣,٣
المجموع	٢٠٢	٣١٠	٣٧٠	٣٢٧	٢٤٨	١٨٥	٢٣٠	٢٣٠	٢٥٥	٢٣٦١

(جـ) حالة العروس من ناحية البكارة والحالة الاجتماعية قبل الزواج

يفضل الزواج من الأبكار بصفة عامة في المجتمعات الإسلامية وكما يتضح لنا من الجدول (٤) أن (٨٦,٨٪) من عقود الزواج المدروسة توضح أنها لزواج أبكار ، بينما تبلغ نسبة من تزوجن من قبل (١٣,٢٪) والصورة تكاد تكون واحدة في غالبية الأعوام المدروسة ، وإن كانت نسبة زواج غير الأبكار قد ازدادت في المتوسط بحوالي (٥٪) عما كانت عليه الحالة حتى ١٤٠٤هـ . ورغم أن الشرع الإسلامي لم يحرم الطلاق ولم يفرض على المطلقة ألا تتزوج مرة أخرى ، لكن يبدو أن المرأة التي سبق لها الزواج (سواء كانت مطلقة أو أرملة) تقل فرصتها في الزواج ، وذلك إما بسبب تفضيل الذكور للأبكار ولكبر سن المطلقة أو الأرملة عموما ، أو لعدم رغبة الذكور الزواج من سيدة لها تجربة زواج سابق خاصة إن كانت أم أطفال ، أو لرغبة هؤلاء النساء البقاء دون زواج لرعاية أطفالهن أو حتى لكرههن تجربة الزواج بسبب تجربة فاشلة أو قاسية أو لأسباب أخرى ، وبصورة عامة يبدو أن هناك نوعا من رفض الاقتران بالمطلقة والأرملة في ثقافة المجتمعات العربية .(٤٩)

على أن تفضيل البكر في الزواج وإن كان مؤكدا ، كما اتضح لنا من مراجعة الجدول (٤) فإن هذا لايعني أن هذه أول مرة يواجهن الزواج في حياتهن ، فهناك نسبة صغيرة جدا من الأبكار هي في المتوسط (٠,٧٪) سبق وأن عقد بهن للزواج (أي أنهن من الناحية الشرعية قد تزوجن) لكن لم يدخل بهن ، لسبب أو آخر ثم وقع الطلاق . وهذه الظاهرة ، وتسمى فسخ عقد الزواج ، وإن كانت جديدة على الأسرة في جدة إلا أنها – رغم نسبتها المتدنية في الوقت الحاضر – تعكس تطورا نوعيا في مفهوم مرحلة مابعد الملكة ، والذي أصبح عند العديد من الأسر الفرصة المناسبة لتعرف طرفي الزواج على بعضهما البعض عن كثب ، تحت رقابة الأسرة ، وهما قد عقدا عقد الزواج . فإن وجدا أنهما غير مناسبين لبعضهما البعض ، أو أن فرص نجاح اقترانهما ببعضهما البعض ضئيلة ، ربما اختارا الانفصال قبل الدخول الفعلي في الحياة الزوجية .

ويظهر من الجدول (٥) أن الفتيات اللائي يمررن بمثل هذه التجربة يتقدم لطلب أيديهن شباب للزواج مما يدل على أن مسألة فسخ عقد الزواج ، قبل الدخول في الحياة الزوجية ، أصبح من الأمور المعروفة في مجتمع جدة ، وهو مالم يكن يسمح به في الماضي ، إذ كان فسخ عقد الزواج يعني أن الفتاة قد ارتكبت جرما أو عملا لا أخلاقيا أو أن سمعتها – لاقدر الله – سيئة للغاية بحيث لم يكن أمام الزوج أو أسرته سوى الإصرار على طلب الطلاق ، لكن تكرار وقوعه ، واحتمال زواج التي فاسخت يدل على أن الصورة اختلفت عن ذلك المفهوم السابق(٥٠) .

كذلك يوضح لنا الجدول أن معظم المتزوجات ممن سبق لهن الزواج هن في الواقع من المطلقات (١٢,٨٪) ويحتمل ألا يكن من ذوات الولد وهن في الغالب من صغيرات السن ، أما الأرامل فنسبتهن لاتتجاوز (٠,٦٪) . وهذا يعني أن الثيبات اللائي يتزوجن هن في الغالب من

المطلقات ، أما الأرامل فربما لاتزال العادات والتقاليد تحبذ لهن البقاء دون زواج ، لرعاية أطفالهن ، خاصة وأنه يغلب أن يكن من كبيرات السن .

الجدول (٤)

توزيع عينة البحث بحسب حالة الفتاة : البكارة وعدمها

الحالة	١٤٠٢/١٣٩٨	١٤٠٣	١٤٠٤	١٤٠٥	١٤٠٦	١٤٠٧	١٤٠٨	١٤٠٩	١٤١٠	المجموع
بكر	١٩٠	٢٩٣	٣٣٥	٢٨٥	٢٠٤	١٥٥	١٨٢	٢٠٠	٢٠٥	٢٠٤٩
	٪٩٢	٩٤,٥	٩٠,٥	٨٧,٢	٨٢,٣	٨٣,٧	٧٩,١	٨٦,٩	٨٠,٤	٨٦,٨
ثيب	١٦	١٧	٣٥	٤٢	٤٤	٣٠	٤٨	٣٠	٥٠	٣١٢
	٪ ٨	٥,٥	٩,٥	١٢,٨	١٣,٧	١٦,٣	٢٠,٩	١٣,١	١٩,٦	١٣,٢
المجموع	٢٠٦	٣١٠	٣٧٠	٣٢٧	٢٤٨	١٨٥	٢٣٠	٢٣٠	٢٥٥	٢٣٦١

الجدول (٥)

توزيع عينة البحث بحسب الحالة الاجتماعية عند كتابة عقد الزواج

الحالة الاجتماعية	١٤٠٢/١٣٩٨	١٤٠٣	١٤٠٤	١٤٠٥	١٤٠٦	١٤٠٧	١٤٠٨	١٤٠٩	١٤١٠	المجموع
لم تتزوج من قبل	١٨٦	٢٩٠	٣٣٣	٢٨٥	٢٠٤	١٥٣	١٧٩	١٩٦	٢٠٢	٢٠٢٩
	٪٩٠	٩٣,٦	٩٠	٨٧,٢	٨٢,٣	٨٢,٧	٧٧,٨	٨٥,٣	٧٩,٢	٨٥,٩
مطلقة	١٥	١٥	٣٤	٤١	٤٣	٣٠	٤٣	٢٩	٥٠	٣٠٢
	٪٧,٥	٤,٨	٩,١	١٢,٥	١٧,٣	١٦,٢	١٨,٧	١٢,٦	١٩,٦	١٢,٨
أرملة	١	٢	١	١	١	—	٥	١	—	١٣
	٠,٥	٠,٧	٠,٣	٠,٣	٠,٤	—	٢,٢	٠,٤	—	٠,٦
فسخ	٤	٣	٢	—	—	٢	٣	٤	٣	١٧
	٪٢	٠,٩	٠,٦	—	—	٠,١	١,٣	١,٧	١,٢	٠,٧
المجموع	٢٠٦	٣١٠	٣٧٠	٣٢٧	٢٤٨	١٨٥	٢٣٠	٢٣٠	٢٥٥	٢٣٦١

(د) المهر : صفته ومقداره

المهر (الصداق) ركن من أركان عقد الزواج وهو كما أوضحنا حق للزوجة ويوضح لنا الجدول (٦) أن بعض الأسر في جدة كانت تنظر إليه باعتباره شيء رمزي أو على الأقل موضوع لايثار مقداره بصورة علنية في عقد الزواج ، وذلك حتى عام ١٤٠٣هـ ، حيث وجد أن (٥٢٪) من عقود الزواج حتى ١٤٠٢هـ و (٣٩٪) من عقود الزواج في ١٤٠٣هـ لم تذكر مقدار المهر ، لكن الاتجاه العام بعد ذلك كما يبدو من العقود المدروسة الميل نحو إعلان مقداره ، كذلك يوضح الجدول أن غالبية العقود (٥٢٪) تميل إلى تحديد المهر في المتوسط بين ١٠,٠٠٠ – ٣٠,٠٠٠ ريال سعودي . وأن نسبة من حددوا المهر بأقل من عشرة آلاف ريال لاتتجاوز نسبتهم في المتوسط (٥٪) بينما كانت نسبة من يتجاوز مقدار المهر بينهم عن ثلاثين ألف ريال لايتجاوز (١٤٪) أيضا . على أن العقود توضح أيضا بروز ظاهرة تحديد المهور بالفضة والذهب ، إذ إن (١٧٪) من العقود تشير إلى تقدير المهر بالريالات الفضية على وجه التحديد (وربما كان ذلك بسبب الصحوة الإسلامية والتوجه بالاتباع الدقيق للسنة النبوية المطهرة في الزواج) . ويتضح كذلك مسألة تحديد المهر بالجنيهات الذهبية .

أما بالنسبة لصفة المهر فلا تزال الغالبية (٨٨٪) من العقود لاتحدد سوى مقدار المهر المقدم (أو مايعرف أيضا بالمعجل) فقط على أن (١٢٪) من العقود تذكر إضافة إلى ذلك مؤجل صداق (أو مايعرف أيضا بمؤخر الصداق) ، وذلك كما هو واضح في الجدول (٧) ورغم أن موضوع مؤجل الصداق موجود في الفقه الإسلامي ، إلا أن انتشارها في العقود يعتبر ظاهرة جديدة ، وغالبا مايذكر المؤجل باعتباره نوعا من الضمان المالي للزوجة في حالة الطلاق أو الوفاة ، بحيث يمكنها في مثل تلك الحالات من تأمين وضعها المالي ولو لوقت قصير . على أن بعض الأسر تغالي في مقدار المؤجل باعتباره وسيلة رادعة ضد الطلاق أو الإساءة للزوجة ، وغالبا مايوافق على المؤجل ، رغم ارتفاع مقداره ، على اعتبار أنه لن يحصل وليس على الزوج دفعه سوى عند وفاة الزوج ، لكن يبدو أن هذا القبول سيلقى مقاومة ، نظرا لأن طلب مؤجل صداق سينتشر ، لما له من قبول في الوقت الحاضر وبسبب زيادة وعي المرأة بحقوقها ولتوجه العديد من الأسر في التعامل مع الجوانب القانونية من عقد الزواج بقدر أكبر من الدقة والحرص ، دونما ترك ذلك على ماقد يكون بين الناس من عادات أو تقاليد (٥١).

الجدول (٦)
توزيع عينة البحث بحسب مقدار الصداق

مقدار الصداق	١٤٠٢/١٣٩٨	١٤٠٣	١٤٠٤	١٤٠٥	١٤٠٦	١٤٠٧	١٤٠٨	١٤٠٩	١٤١٠	المجموع
لم يذكر	١٠٦	١٢٠	١٥	١٠	٢	٢	١	٢	١	٢٥٩
	٪٥١,٥	٣٨,٧	٤	٣,١	٠,٨	١,١	٠,٤	٠,٩	٠,٤	١١
أقل من ٣,٠٠٠ ريال	١	٦	٣	١	١	٢	—	٢	—	١٦
	٪٠,٥	٢	٠,٨	٠,٣	٠,٤	١,١	—	٠,٩	—	٠,٧
٣,٠٠٠ – ٤,٠٠٠ ريال	٣٣	١٩	١٢	٥	٣	٦	٨	٦	٨	١٠٠
	٪١٦	٦,٢	٣,٢	١,٥	١,٢	٣,٢	٣,٥	٢,٦	٣,١	٤,٢
١٠,٠٠٠ – ٣٠,٠٠٠ ريال	٤٣	١٣١	٢٠٩	١٩٠	١٥٦	٨٥	١٢٨	١٣٣	١٥١	١٢٢٦
	٪٢٠	٤٢,٣	٥٦,٥	٥٨,١	١٢,٩	٤٥,٩	٥٥,٧	٥٧,٨	٥٩,٢	٥١,٩
أكثر من ٣٠,٠٠٠ ريال	٢٣	٣٠	٦٩	٤٤	٢٣	٣٠	٣٩	٣٥	٤١	٣٣٤
	٪١٢	٩,٦	١٨,٧	١٣,٦	٩,٣	١٦,٢	١٧,٠	١٥,٢	١٦,١	١٤,١
ريالات فضية	—	٣	٥٧	٧١	٦١	٥٨	٥٠	٤٩	٤٨	٣٩٨
	—	٪,٩	١٥,٤	٢١,٧	٢٤,٦	٣١,٣	٢١,٧	٢١,٣	١٨,٨	١٦,٨
جنيهات ذهبية	—	—	٣	٥	٢	١	٤	١	٥	٢١
	—	—	٪٠,٨	١,٤	٠,٨	٠,٦	٠,٧	٠,٤	٢,٠	١,٠
عملة أجنبية	—	١	٢	١	—	١	—	٢	١	٨
	—	٪٠,٣	٠,٥	٠,٣	—	٠,٦	—	٠,٩	٠,٤	٠,٣
المجموع	٢٠٦	٣١٠	٣٧٠	٣٢٧	٢٤٨	١٨٥	٢٣٠	٢٣٠	٢٥٥	٢٣٦١

الجدول (٧)
صفة المهر في عقود الزواج

صفة المهر	١٤٠٢/١٣٩٨	١٤٠٣	١٤٠٤	١٤٠٥	١٤٠٦	١٤٠٧	١٤٠٨	١٤٠٩	١٤١٠	المجموع
مقدم مؤخر	١٩٨ ٪٩١,٧ ٪٨,٣	٢٧٣ ٨٨,١ ١١,٩	٢٩٧ ٨٠,٣ ١٩,٧	٢٩٩ ٩١,٤ ٨,٦	٢٣٤ ٩٤,٤ ٥,٦	١٥٨ ٨٥,٤ ١٤,٦	٢٠٢ ٨٧,٨ ١٢,٢	١٩٩ ٨٦,٥ ١٣,٥	٢٢٥ ٨٨,٢ ١١,٨	٢٠٧٦ ٨٨ ١٢
المجموع	٢٠٦	٣١٠	٣٧٠	٣٢٧	٢٤٨	١٨٥	٢٣٠	٢٣٠	٢٥٥	٢٣٦١

(هـ) شروط العقد

وكما ذكرنا في مراجعتنا الفقهية والتاريخية لعقود الزواج ، فإن إمكانية تضمين عقد الزواج شرطا أمر وارد . يرى أحد طرفي العقد أهميتها وأنها أساسية يرغب في التأكيد عليها ، وأن لايتركها لظروف مابعد الزواج أو لتقدير الطرف الآخر أو تعاونه ، وغالبا ماتكون المرأة هي التي تضع هذه الشروط . ورغم أن الأسرة تستعيض عن وضع شروط محددة في متن العقد بالتدقيق في الاختيار ، وأن يكون موضوع الاختيار هذا من الأمور العائلية الهامة ، وأن لايتخذ بصورة عاجلة أو فردية . لكن لما كان الزواج في مجتمعنا المسلم المحافظ زواجا مرتبا ، يتم عن طريق وسطاء ، كان الزواج المفضل هو ماقام على معلومات تفصيلية دقيقة تضمن أن يكون الزواج زواجا ناجحا ، مما جعل الاختيارات في الماضي محدودة في الغالب بالقريبات والجيران ، إذ يسهل دراسة طباع وأخلاق طرف الزواج ومن ثم معرفة ماستؤول إليه أوضاع الزواج بصورة تفصيلية في الغالب . لكن مع انفتاح المجتمع وتوسع شبكة الوسطاء ، أصبحت خيارات الزواج من فتيات/أو شبان لسن بالضرورة من القريبات أو من نفس الحي بل حتى ليس بالضرورة من نفس المدينة ، مما قلل من إمكانية تكوين فكرة تفصيلية دقيقة عن الفتاة أو الفتى المرغوب في الزواج . إضافة إلى توسع فرص التعليم والعمل للمرأة في المملكة ، ومن ثم تمتعها بحريات لم تكن متاحة لها في الماضي ، ولظروف أخرى عديدة لهذه الأسباب تميل بعض الأسر (٤٦٪) إلى تقييد شروط محددة في متن العقد يلزم الزوج بتنفيذها ، علما بأن غالبية الأسر تناقش موضوع ماستكون عليه الأوضاع بعد الزواج ، خاصة مايتعلق بالسكن وخلافه ، لكن البعض يكتفي بالاتفاق غير المقيد أو المكتوب ، لكن على مايظهر من الجدول (٨) أصبحت الأسر تميل إلى عملية التأكيد على كتابة ماترغب في متن العقد نفسه زيادة في التأكيد وضمانا للتنفيذ . وأكثر الشروط تكرارا في العقود مسألة الاستمرار في الدراسة أو العمل (وهما في غالب الأحيان مسألتان مرتبطتان ببعضهما البعض) (١٦٪) يلي ذلك التأكيد على سكن مستقل (أي أن لاتسكن في نفس الوحدة السكنية التي يعيش فيها والديه أو أسرته على الإطلاق) (١٣٪) ، هذا وتوضح العقود بنسبة ضئيلة جدا (٠,٣٪) لكنها ذات دلالة هامة ، ضمنت العقد بشرط أن تكون «العصمة» في يد الزوجة (يقصد بذلك أن يكون لها الحق في تطليق نفسها من زوجها وقتما شاءت) . ورغم تدني هذه النسبة ، إلا أنها تعبر عن تغيرات هامة جدا في مفهوم العلاقة الزوجية ، إضافة إلى أن القبول بمثل هذا الشرط (رغم انتشاره في العديد من الأقطار العربية والإسلامية) يعبر عن مدى تأثر الحياة الزوجية (أو على الأقل عقود الزواج منها) بالتيارات الفكرية الوافدة من البلدان العربية من ناحية ، ومدى التغيرات الاجتماعية والثقافية في تعريف وتحديد العلاقة بين الزوجين ، بطبيعة الحال لهذا الشرط مرجعية شرعية ، لكن غالبا مايمانع الرجال في قبول مثل هذا الشرط ، وعلى مايبدو فإن لزيادة تعليم المرأة ولعبها أدوار حديثة إضافة إلى زيادة تفهم الرجل لمكانة المرأة ، وأحيانا بسبب زيجات غير متكافئة لصالح المرأة تتم الموافقة على مثل هذه الشروط .

الجدول (٨)
شروط عقد الزواج

الشـــــرط	١٤٠٢/١٣٩٨	١٤٠٣	١٤٠٤	١٤٠٥	١٤٠٦	١٤٠٧	١٤٠٨	١٤٠٩	١٤١٠	المجموع
بدون شروط	١٧٩	٢٢٧	٢٦٢	١٨٩	١٧٤	١٢٤	١٩٣	١٥٥	١٦١	١٦٦٤
	٪٨٧	٦٥,٨	٧٠,٨	٥٧,٨	٦١,٩	٥٦,١	٦٠,٣	٥٩	٥٦,٥	٦٣,٦
سكن مستقل	٧	٤١	٤٧	٦٤	٤٢	٣٣	٣٨	٣٥	٤٠	٣٤٧
	٪ ٣	١١,٨	١٢,٧	١٩,٦	١٤,٩	١٤,٩	١١,٩	١٣,٣	١٤	١٣,٢
تعليم وعمل	٢٠	٥٠	٤٠	٥١	٥٢	٤٨	٦٣	٥٥	٦٨	٤٢٧
	٪١٠	١٤,٦	١٠,٨	١٥,٦	١٨,٦	٢١,٧	١٩,٧	٢٠,٩	٢٣,٨	١٦,٣
شروط أخرى	—	٢٧	٢٠	٢٣	١١	١٥	٢٤	١٨	١٥	١٧٣
	—	٪٧,٨	٥,٤	٧	٣,٩	٦,٨	٧,٥	٦,٨	٥,٣	٦,٦
العصمـــة	—	—	١	—	٢	١	٢	—	١	٧
	—	—	٠,٣	—	٠,٧	١,٥	٠,٦	—	٠,٤	٠,٣
المجموع	٢٠٦	٣٤٥	٣٧٠	٣٢٧	٢٨١	٢٢١	٣٢٠	٢٦٣	٢٨٥	٢٦١٨

(و) ولي أمر العروس

وأخيرا ، فإن من شروط العقد قيام القبول والإيجاب (كما أوضحنا ذلك في مراجعتنا الفقهية) ، وعادة مايقوم ولي أمر الفتاه بالوكالة عنها (مع تحقق رضاها) بإبرام عقد الزواج . ويوضح لنا الجدول (٩) أن حوالي (٧٩٪) من عقود الزواج كان ولي أمر الفتاه فيها هو «والدها» . وغالبا ماينوب أخ الفتاة (خاصة الأخ الأكبر) عنها في إبرام العقد في حالة غياب الوالد (بعذر كالمرض وخلافه أو وفاته) ويتضح من الجدول السابق أن (١٨٪) من العقود قام فعلا بإبرامها أحد إخوة العروس ، وأحيانا في حالات استثنائية يقوم أحد الأقرباء بولاية أمر الفتاة ويبرم عقد زواجها ، وغالبا مايكون ذلك في حالة عدم وجود الأب ، أو أخ كبير ، وفي الواقع لم يقابل الباحث حالات تكون فيها الفتاة ولية أمر نفسها (مثل هذه الحالات النادرة جدا تتم في المحاكم الشرعية ويكون القاضي في بعض الحالات ولي أمر الفتاة) ، وغالبا مايكون القريب من أسرة والد العروس كأن يكون عم أو جد الفتاة .

ويمكن تلخيص الجداول السابقة إجمالا ، بأن معظم الزيجات هي بين سعوديين وإن كانت بعض الزيجات مختلطة أو بين غير سعوديين ، وأن أعمار الفتيات في المتوسط أقل من أعمار الشباب المتقدم للزواج ، ومتوسط أعمارهن هو (٢٣,٢٥ سنة) بينما متوسط أعمار الشباب (٢٧,٢١ سنة) وغالبية الفتيات من الأبكار ، وغالبية من سبق لهن الزواج هن المطلقات ، ولقد لوحظ ازدياد بطيء لعدد حالات فسخ عقد الزواج ، إضافة إلى ميل الأسر إلى تحديد الصداق وهو في المتوسط يميل إلى أن يكون بين ١٠,٠٠٠ – ٣٠,٠٠٠ ريال) ، وغالبا مايكون معجلا فقط مع ازدياد في الاتجاه إلى طلب مؤخر صداق وبروز ظاهرة استخدام الريالات الفضية والجنيهات الذهبية في المهر ، وتميل عقود الزواج إلى تدوين شروط محددة على الزوج أهمها شرط السكن المستقل للزوجة أو مواصلة التعليم أو العمل ، هذا وهناك حالات محدودة جدا أصبحت الفتاة تشترط فيها أن يكون «أمرها في يدها» أو بعبارة أخرى أن تكون العصمة في يدها (أي أن يكون لها حق تطليق نفسها) ، على أن الغالب على العقود أن يتولى إبرامها والد الفتاة .

الارتباطات بين المتغيرات

لانرى وجود ارتباط سببي بين متغيرات البحث ، لكن تقدم لنا دراسة الارتباطات فهما وتفسيرا أعمق لمسألة تنفيذ «قرار الزواج» في مدينة جدة . واختصارا وجدنا أن غالبية الأزواج السعوديين يقترن بسعوديات (٩٥٪) بينما الأزواج غير السعوديين يقترنون بسعوديات (٤٥٪) . بمعنى أن الشاب السعودي إذا ماأراد الزواج في مدينة جدة ، فإنه غالبا مايتزوج بسعودية ، بينما الفتاة السعودية قد تتزوج من غير سعودي ، خاصة إذا تذكرنا أن للعديد من الأسر أقرباء غير سعوديين ، ممن تشربوا الثقافة المحلية في المملكة . هذا ويميل الأزواج عامة إلى تفضيل أن يكون الفرق بين عمر

الزوج والزوجة في حدود عشر سنوات لصالح الزوج (للسعوديين وغير السعوديين) ، على أن غير السعوديين أكثر قبولا للزواج من الزوجة التي قد يكون عمرها أكبر من الزوج أو أن تكون في سنه ، وكذلك وجد أن غير السعوديين يتزوجون من فتيات يصغرنهم كثيرا (أي بأكثر من عشر سنوات) (٥٢) .

ويمكننا أن نعلل هذه الاتجاهات ، بأن توقعات الانسجام بين الزوجين ، إذا كانت الفروق في السن بين الزوجين لصالح الزوج ، ممكنة جدا ، فهم يعتبرون من جيل واحد ، إضافة إلى الاعتقاد بأن المرأة إذا كانت أصغر عمرا من الزوج تكون أقدر على البقاء مقبولة نضارة وجمالا في نظر الزوج . هذا وتوضح عقود الزواج المدروسة ، عدم تفضيل الرجال الاقتران بمن هن أكبر منهم سنا أو من هن أصغر منهم بأكثر من عشر سنين ، ويبدو لنا أن تبرير عزوف الرجال عن الاقتران بمن هن أكبر منهم سنا يعود إلى الاعتبارات الاجتماعية والثقافية السائدة والتي تميل إلى تأكيد أن يكون فرق السن لصالح الزوج ، حتى تكون له القيادة والسيطرة على مجريات أمور الأسرة ، كذلك لما قد يثيره من تساؤلات من قبل أفراد المجتمع . والزيجات التي تمت بنساء يكبرن أزواجهن في العمر ، غالبا ماكانت لأسباب شخصية وخاصة جداً . على أن مايلفت النظر هو تقلص عدد حالات زواج كبار السن بفتيات صغيرات في السن ، وربما كان السبب في ذلك تعليم الفتاة ومن ثم تحسن مكانتها الاجتماعية بما يمكنها من رفض مثل هذه الزيجات ، إضافة إلى تحسن الوضع الاقتصادي عموما ، بحيث لم يعد العديد من الآباء في حاجة إلى إجبار بناتهم بقبول مثل تلك الزيجات ، والتي بسبب تغير الظروف الثقافية في القيم والآراء والاهتمامات بل والتطورات بين الأجيال تجعل احتمالات مثل هذه الزيجات أقرب إلى الفشل .

ولايزال تفضيل الزواج من الفتاة البكر (والتي لم يسبق لها الزواج) هو المفضل ، وهذا التفضيل لايدهشنا ، إذ للبكر في التراث العربي الإسلامي قيمة اجتماعية وثقافية بل ودينية رمزية هامة تجعل الزواج منهن مما يحث عليه . أما غير الأبكار فإن المطلقات هن الاختيار الأمثل ، وربما كان التفضيل للمطلقات ممن ليس لهن أطفال، وذلك لأسباب واضحة . ويبدو أن الرجال يعزفون عن الاقتران بالأرامل ربما لأنهن في الغالب كبيرات سن ولهن أطفال . هذا وتوضح العقود ظهور فسخ عقد الزواج بين السعوديين فقط ، إذ إن إجراءات زواج غير السعوديين تحد من هذا الاتجاه ، وكما ذكرنا من قبل ظاهرة الخلع ، رغم تدني نسبتها فإن استمرارها وقبولها اجتماعيا يوضح تغيرات نوعية في معنى ومفهوم الزواج في جدة . وفي الواقع يعطي هذا البُعد فرصة للفتاة والفتى معرفة بعضهم البعض عن كثب ، قبل الدخول الفعلي ، والذي قد يؤدي عدم الانسجام فيه إلى طلاق ، آثاره مؤلمة كفقد البكارة وولادة أطفال يجدون أنفسهم دون حياة أسرية مستقرة والعداء بين الأسرتين الخ . إننا نرى أن استمرار هذه الظاهرة وزيادة نسبتها في المجتمع سيؤدي إلى إدخال العديد من الشكليات المهمة في خطوات قرار الزواج في مدينة جدة .

أما فيما يتعلق بالمهر فكما يتضح من عقود الزواج ، يميل الأزواج – بغض النظر عن الجنسية – إلى أن يكون مقدار المهر معلنا وفي حدود ٢٥,٠٠٠ ريال في المتوسط ، على أن زيجات السعوديين يذكر فيها إضافة إلى المقدم ، مؤخر صداق . ورغم خلو عقود زواج غير السعوديين من شروط ، نجد أن عقود السعوديين تشترط شروطا على الزوج مثل الاستقلال بالسكن ومواصلة التعليم والعمل ، وهناك حالات نادرة تشترط فيها العصمة بيد الزوجة . وربما كانت التغيرات الاجتماعية السريعة التي يمر بها المجتمع العربي السعودي هي التي يمكن أن تفسر بها هذه الظاهرة ، إذ رغم أن التفاهم والود بين الزوجين هو المعول عليه ، لكن أهل الفتاة غالبا مايرغبون في التأكيد على بعض الحقوق لابنتهم . وأبرز هذه الطلبات مايتعلق بضمان استقلال الفتاة المادي عن طريق التعليم والعمل ، ورغم أن الزواج في الغالب هو الهدف الذي تنشده الفتاة كضمان لحياتها الاجتماعية ، فإن إمكانية أن يكون لها دخل شهري مستقل أصبح في غاية الأهمية . هذا وترغب الأسرة ضمان وحدة سكنية مستقلة (أي تشجيع بروز الأسرة الزواجية) لابنتهم .

(يشكر الباحث مساعدة أ . محمد عبد القادر ولي الذي ساعد في جمع البيانات والشيخ محمد سعيد المعبي الذي قدم له يد العون للقيام بهذه الدراسة) .

الجدول (٩)
ولي أمر الفتاة في عقد الزواج

ولي الأمر	١٤٠٢/١٣٨٩	١٤٠٣	١٤٠٤	١٤٠٥	١٤٠٦	١٤٠٧	١٤٠٨	١٤٠٩	١٤١٠	المجموع
الأب	١٥٨	٢٥٠	٢٩٥	٢٦٣	١٩٤	١٣٥	١٨٩	١٧٦	١٩٦	١٨٥٦
	٪٧٦,٧	٨٠,٦	٧٩,٧	٨٠,٤	٧٨,٣	٧٣	٨٢,١	٧٦,٥	٧٦,٩	٧٨,٦
الأخ	٤٠	٥٤	٦٢	٥٢	٤٥	٤٣	٣٥	٤٣	٤٤	٤١٨
	٪١٩,٤	١٧,٤	١٦,٨	١٥,٩	١٨,١	٢٣,٢	١٥,٢	١٨,٧	١٧,٣	١٧,٧
قريب	٨	٦	١٣	١٢	٩	٧	٦	١١	١٥	٨٧
	٪ ٣,٩	٢	٣,٥	٣,٧	٣,٦	٣,٨	٢,٧	٤,٨	٥,٨	٣,٧
المجموع	٢٠٦	٣١٠	٣٧٠	٣٢٧	٢٤٨	١٨٥	٢٣٠	٢٣٠	٢٥٥	٢٣٦١

الجدول (١٠)
العلاقة بين جنسية الزوج والمتغيرات الأخرى

	جنسية الزوج	
	سعودي	غير سعودي
١ – جنسية الزوجة	٪	٪
سعودية	٩٥	٤٥
غير سعودية	٥	٥٥
٢ – الفرق بين عمر الزوجين		
عمر الزوجة أكبر	٥	١٠
عمر الزوجين متساو	٤	١٥
الفرق لصالح الزوج (١ – ٥ سنة)	٣٧	٤٦
الفرق لصالح الزوج (٦ – ١٠ سنة)	٤٨	٢٠
الفرق لصالح الزوج (١١ – ١٥ سنة)	٤	٨
الفرق لصالح الزوج أكثر من ١٥ سنة	٢	١
٣ – البكـــــار		
بكر (لم يسبق لها الزواج)	٨٥	٩٠
مطلقـــــة	١٣	١٠
أرملـــــة	١	—
فســـــخ	١	—
٤ – المهـــر		
لم يحدد	٩	١٠
٣٠,٠٠٠ ريال فأقل	٦١	٧٠
أكثر من ٣٠,٠٠٠ ريال	١٣	٢٠
عملة فضية أو ذهبية	١٢	—
٥ – صفة المهر		
معجل فقط	٨٠	٩٥
مؤجـــــل	٢٠	٥
٦ – شروط المهر		
بدون شروط	٦١	١٠٠
الاستقلال بمنزل	١٤	—
التعليم والعمل	١٧	—
العصمـــــة	١	—
شروط أخرى	٧	—

التعليقات

١ – نقصد هنا أنه رغم أن الأسرة تتأثر بعوامل التغير الاجتماعي والثقافي ، وأنها تتأثر بما يمر به المجتمع ، إلا أن الركيزة الأساسية للأسرة هي الركيزة الفقهية .

٢ – نقصد هنا أن أي تغير لايجد له مايبرره في الفقه الإسلامي ، حتى وإن شاع بين الناس ، فإنه لايكتب له المشروعية . إضافة إلى أن بعض التغيرات قد يكون مصدرها من خارج المجتمع الإسلامي ، لكن يمكن تبريرها فقها لوجود ركيزة شرعية لها . مثل مسألة رؤية الخطيبة ، إذ كانت العادات والتقاليد تعارض ذلك ، والموافقة الراهنة ربما كانت بتأثير الحياة العصرية المتأثرة بأوروبا لكن يمكن تبريرها على أساس شرعي .

٣ – انظر **محمد أبو زهرة** : محاضرات في عقد الزواج وآثاره ، بيروت : دار الفكر العربي ، د . ت ، ص ٤٣ .

٤ – المرجع السابق ، ص ٤٤ .

٥ – المرجع السابق ، ص ٥٥ وكذلك **حسن خالد وعدنان نجا** ، أحكام الأحوال الشخصية : في الشريعة الإسلامية ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٢ ، ص ٢١ . وكذلك **محمد مصطفى شلبي** ، أحكام الأسرة في الإسلام ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٧ ، ص ٥٠ .

٦ – **محمد أبو زهرة** ، مرجع سابق ، ص ص ٥٦ – ٦٦ ، وكذلك **حسن خالد وعدنان نجا** ، مرجع سابق ، ص ص ٢٢ – ٢٤ . وكذلك **محمد مصطفى شلبي** ، مرجع سابق ، ص ص ٥٠ – ٦٨ .

٧ – **محمد أبو زهرة** ، مرجع سابق ، ص ص ٦٤ – ٧٦ وعلى وجه الخصوص ص ص ٧٥ – ٧٦ . وكذلك **محمد مصطفى شلبي** ، مرجع سابق ، ص ص ٦٥ – ٧٣ . وذلك على عكس ماهو متبع في الشرع المسيحي بين المسيحيين العرب ، انظر **توفيق حسن فرج** ، أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ، بيروت : الدار الجامعية ، ١٩٨٢ ، ص ص ١٥٢ – ١٧٦ ، إذ الخطبة ملزمة وتستوجب في حالة العدول عنها إلى تعويض .

٨ – إذ الطلاق مثلا ليس نقض العقد أو رفع لأحكامه ، ومن ثم فإن العقد قائم وتترتب عليه حقوق وواجبات .

٩ – انظر **محمد أبو زهرة** ، مرجع سابق ، ص ص ٩١ – ٩٨ . أما فيما يتعلق بالمحارم (المحرمات) فهي على ثلاثة أنواع : محرمات بسبب القرابة ، ومحرمات بسبب المصاهرة ، ومحرمات بسبب الرضاعة . للتفاصيل ، انظر **محمد أبو زهرة** ، مرجع سابق ، ص ص ١٠٤ – ١٤٢ وكذلك **محمد مصطفى شلبي** ، مرجع سابق ، ص ص ١٦١ – ٢٥٠ .

١٠ – الإشارة هنا لزواج «المتعة» والقول بتحرّيمه عند كافة فقهاء السنة ، على خلاف الشيعة الذين يقولون بعكس ذلك ، انظر . **محمد مال الله** ، الشيعة والمتعة ، الكويت : دار الصحوة الإسلامية ، ١٩٨٦ .

١١ – انظر **محمد أبو زهرة** ، مرجع سابق ، ص ٧٩ . على أن هذا الرأي لم يأخذ به ، انظر رد ابن تيمية في **فتاوي ابن تيمية** ، الجزء الثالث ، ص ٢٧٠ .

١٢ – انظر **محمد أبو زهرة** ، مرجع سابق ، ص ٩١ .

١٣ – انظر ماذكر في الهامش (٩) .

١٤ – يناقش الفقهاء تفاصيل عدد الشهود ، وجنسهم ومايجب أن يتحقق فيهم من عدالة وشروط بالتفصيل ، انظر مثلا **محمد أبو زهرة** ، مرجع سابق ، ص ص ٩٢ – ٩٦ . ويبرر العديد من الفقهاء الشهادة بأنها عبارة عن الإعلان والإشهار للزواج . ويرى الشافعية والحنابلة والمالكية ، أنه لايجوز شهادة النساء في عقد الزواج ، انظر **حسن خالد وعدنان نجا** ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

١٥ - انظر نصب الراية ١٦٧/٣ .
١٦ - انظر سنن الدار **قطني** ٢٢٥/٣ ، السنن الكبرى ١٢٥/٧ ، تلخيص الحبير ١٥٦/٣ .
١٧ - انظر **محمد أبو زهرة** ، مرجع سابق ، ص ص ٩٨- ٩٩ .
١٨ - المرجع السابق ، ص ٩٩ .
١٩ - انظر الهامش (٨) .
٢٠ - فيما يتعلق بالولاية في الزواج ، انظر على سبيل المثال **محمد أبو زهرة** ، مرجع سابق ، ص ص ١٥٣ - ١٧٨ .
٢١ - وهذا بطبيعة الحال يقرره عرف المجتمع وعاداته وماتعارف عليه الناس . والمهر عادة مايقرر في بعض المجتمعات العربية الإسلامية على أساس الكفاءة .
٢٢ - انظر **محمد أبو زهرة** ، مرجع سابق ، ص ١٠١ . ومايتعلق بمسألة الكفاءة بصورة عامة ، انظر ص ص ١٨٥ - ١٩٨ .
٢٣ - أخرجه البخاري ومسلم في حديث بربرة ، كذلك انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١٢٩/٢ .
٢٤ - انظر **محمد أبو زهرة** ، مرجع سابق ، ص ص ٢١٢ - ٢١٧ .
٢٥ - سنن أبي داود ، ٣٠٤/٣ ، والحاكم في المستدرك ٤٩/٢ ، **والبيهقي** في السنن الكبرى ٧٩/٦ .
٢٦ - انظر **أبو زهرة** ، مرجع سابق ، ص ص ٢١٤ - ٢١٥ .
٢٧ - **حسن خالد وعدنان نجا** ، مرجع سابق ، ص ص ٣٥ - ٣٦ .
٢٨ - **محمد أبو زهرة** ، مرجع سابق ، ص ص ١٩٩ - ٢٠٥ وكذلك **حسن خالد وعدنان نجا** ، مرجع سابق ، ص ٣٦ - ٣٧ .
٢٩ - **محمد أبو زهرة** ، مرجع سابق ، ص ص ٢٠٥ - ٢٠٨ .
٣٠ - المرجع السابق ، ص ص ١٩٩ - ٢٠٦ .
٣١ - انظر **أحمد الشامي** ، التطور التاريخي لعقود الزواج في الإسلام ، القاهرة : ، ١٩٨٢ ، ص ١١.
٣٢ - المرجع السابق ، ص ١٣ وكذلك انظر **Grohmann**, Der Islam, B.XXII, 5.45 h.1935
٣٣ - يغلب عليها أنها من الجماعات الحضرية ، والترية وكذلك على الزيجات التي من خارج دائرة الأقارب حرصا على عدم حدوث مشاكل أو خلافات .
٣٤ - **الشامي** ، مرجع سابق ، ص ص ٢٦ - ٢٧ وكذلك ، انظر **عبد السلام الترمانيني** ، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام ، الكويت ، عالم المعرفة (٨٠) ١٩٨٤ ، ص ص ٧٤ - ٩٤ .
٣٥ - هذا مما يؤكد أهمية موضوع الكفاءة ، التي طلبها الفقهاء ، وتأكيد على مسألة حسن الاختيار وكما هو معلوم يشترط الفقهاء في الكفاءة الأسس التالية : النسب والإسلام والحرية والمال والديانة والحرفة . والكفاءة تعني عند الفقهاء المساواة بين الزوجين أو على الأقل أن لاتتزوج المرأة من هو دونها مكانة اجتماعية إلا برضاها ، حتى لايلحقها ضرر . انظر الهامش (٢٢) .
٣٦ - سنرى كيف أن هذه الصيغة بقيت إلى يومنا هذا مع بعض التعديلات الطفيفة .
٣٧ - انظر **الشامي** ، مرجع سابق ، ص ص ٢٦ - ٢٧ .

٣٨ – انظر **محمد أبو زهرة** ، مرجع سابق ، ص ص ٢٣٠ – ٢٣١ . رغم أن بعض الآباء لايتورعون عن أخذه .

٣٩ – **الشامي** ، مرجع سابق ، ص ص ٢٦ – ٢٧ .

٤٠ – انظر ملحق الدراسة نموذج من هذه الخطب .

٤١ – تسمى هذه الزيارة بقراءة الفاتحة ، لأنه يطلب من الحضور قراءة الفاتحة بعد إعلان الموافقة تيمنا ودعاء للعروسين ، وبطبيعة الحال لايذهب أهل الخاطب إلى بيت الخطيبة إلا بعد حصولهم على تأكيدات أولية من خلال اتصالات بين النساء لكنها جميعها غير رسمية ، وتبدأ الرسميات من هذه الزيارة .

٤٢ – البواخر من الباخرة وهي السفينة ، والمقصود هنا عبارة عن وصف لباخرة تحمل فيها هدايا وخاصة فواكه وسكاكر رمزا للاهتمام وأنها مجلوبة من بلدان بعيدة . أما المعاشر وهي جمع معشر فعبارة عن صحن كبير مغطى وتحمل فيه أيضا علب الحلاوة ، وهي عبارة عن آنية من الزجاج أو الخزف توضع فيها بعض الحلوى والشيكولاتة توزع لذكر العقد . وهذه الأمور تكلف أموالا طائلة للأسف ، ويتم توزيعها مباشرة على الحضور من الضيوف ، أما البواخر فتدخل للنساء .

٤٣ – المنشد هو شخص يتمتع بصوت جميل يقوم بإلقاء مجموعة من المواويل والأناشيد الملحونة أمام دار الخاطب ، وكذلك أمام بيت الخطيبة للإشهار وللطرب والمتعة .

٤٤ – التبس عبارة عن صحن من الحديد أو الألمونيوم الغالي الثمن وأحيانا من الزجاج وتوضع عليه ماذكر في المتن من هدايا . أما العربية فهي «عربية» مخصصة لذلك وجميعها تزركش وتضاء وغالبا مايتفنن فيها حتى تصبح تحفة فنية . ولذلك فهي غالية الثمن .

٤٥ – عادة ماتكون الدبل للعروس من الذهب وللعريس من الابلتين وعادة الدبل عادة غربية من العادات الوافدة على المسلمين .

٤٦ – غالبا ماتختفي النساء الأجنبيات في وقت حضور العريس ، ومن يبقى منهن يلبس عباءة أو مايستر أجسامهن ، وإن كان هناك للأسف من لايفعل ذلك .

٤٧ – بطبيعة الحال لا أعرف عقوداً مختلطة الأديان أو المذاهب (سني/شيعي) فيما درسته أو سمعت عنه من عقود .

٤٨ – **أبو بكر أحمد باقادر** ، «اتجاهات الزواج في مدينة جدة في ضوء عقود الزواج» مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المجلد الخامس ، ١٩٨٥ ، ص ص ١٩٥ – ٢٢١ .

٤٩ – صورة المرأة المطلقة النمطية في الثقافة العربية عموما وفي الوقت الحاضر تحتاج إلى دراسة ، إذ يعزف العديد عن الاقتران بها ، مما يستدعي ضرورة التعرف على الأسباب الكافية خلف ذلك العزوف دينيا وثقافيا واجتماعيا بل وأسريا .

٥٠ – بالنسبة للفسخ راجع **أحمد الحجي الكردي** ، فسخ الزواج ، دمشق : اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت . هذا وتستحق هذه الظاهرة الاهتمام لما قد يترتب عليها من تغيرات جذرية في معنى الزواج في المجتمعات العربية ، انظر في هذا المجال ، **زهير حطب** ، تطور بني الأسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة ، بيروت : معهد الإنماء العربي ، ١٩٨٠ ، ص ص ٢٢٠ – ٢٢٥ .

٥١ – إن هذا التحول لاشك يعكس تحولات اجتماعية وثقافية كبرى ، وهذا يجعلني أرى ضرورة الاهتمام بالجوانب القضائية ومشاكلها في المحاكم الشرعية ودراستها . إذ ربما كان هذا الاتجاه رد فعل لمشاكل وقعت فعلا من جراء عدم التحديد ؟ للمقارنة انظر جهود :

Ziba Mir-Hosseini, "Contrast between Law and practice for the Moroccan Family: Patriarchy and Matrifocality" Morocco:*Journal for Moroccan Studies,* Vol. 1,1991, pp.39-52.

Lawrence Rosen, *The anthropology of Justice: Law as culture in Islamic society,* Cambridge: Cambridge Univeristy Press, 1990.

٥٢ – هذا الاتجاه يستحق الإشارة ، فكما هو معروف الآن أن من يريد الزواج من كبار السن ، غالبا مايضطر للزواج من خارج البلاد لعدم موافقة البنات وأولياء أمورهن على مثل هذه الزيجات ويرجع الفضل في هذا إلى ماوصلت إليه المرأة السعودية من رقي وتعليم .

المراجـــــع

أولاً : المراجع العربية

ابن تيمية ، أحمد ، فتاوي ابن تيمية ، الرباط ، مكتبة المعارف ، د . ت .

أبو زهرة ، محمد ، محاضرات في عقد الزواج وآثاره ، بيروت ، دار الفكر العربي ، د . ت .

باقادر ، أبو بكر أحمد ، «اتجاهات الزواج في مدينة جدة في ضوء عقود الزواج» ، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية** ، مج (٥) ١٩٨٥ ، ص ص ١٩٥ – ٢٢١ .

البيهقي ، أبو أحمد بن الحسين بن علي ، السنن الكبرى ، حيدر آباد الدكن ، دار المعارف النظامية ، ١٣٤٤هـ .

حطب ، زهير ، تطور بنى الأسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة ، بيروت ، معهد الإنماء العربي ، ١٩٨٠ .

خالد ، حسن وعدنان نجا ، أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٢ .

الدار قطني ، علي بن عمر ، سنن الدار قطني ، القاهرة ، دار المحاسن للطباعة ، د . ت .

الشامي ، أحمد ، التطور التاريخي لعقود الزواج في الإسلام ، القاهرة ، نشر المؤلف ، ١٩٨٢ .

شلبي ، محمد مصطفى ، أحكام الأسرة في الإسلام ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٢ .

العسقلاني ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي ، التلخيص الحَبير في تخريج أحَاديث الرافعي الكبير ، المدينة المنورة ، نشر السيد عبد الله هاشم اليماني ، ١٣٨٤هـ .

فرج ، توفيق حسن ، أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ، بيروت ، الدار الجامعية ، ١٩٨٢ .

الكردي ، أحمد الحجي ، فسخ الزواج ، دمشق ، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت .

مال الله ، محمد ، الشيعة والمتعة ، الكويت ، دار الصحوة الإسلامية ، ١٩٨٦ .

ثانيا : المراجع الأجنبية

Grohmann, *Der Islam,* B. xxll, s.4sh, 1935.

Haeri, Shahla, *Law of Desire: Temporary Marriage in Iran,* London, I.B. Tauris & Co.Ltd, 1989.

Mir-Hosseini, Ziba, "Contrast between Law and practice for the Moroccan Family: Patriarchy and Matrifocality" Morocco:*Journal for Moroccan Studies,* Vo1. 1,1991, pp.39-52.

Rosen Lawrence, *The anthropology of Justice: Law as culture in Islamic society,* Cambridge: Cambridge Univeristy Press, 1990.

Trends of Marriage in Jeddah in the Light of Marriage Contracts Conducted in Jeddah from (1398-1410 A.H./1979-1990 A.D.)

ABUBAKER A. BAGADER
Professor, Department of Sociology, Faculty of Arts and Humanities
King Abdulaziz University, Jeddah – Saudi Arabia

ABSTRACT. The paper presents the juristic perspective of marriage contract. It will discuss its legal definitions, principles, conditions and limitations. It will too present a short historical account of marriage contracts in Muslim history. It then present a brief ethnography of marriage parties. Finally a presentation and analysis of a sample of marriage contracts will be presented.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م٦ ، ص ص ٣٧ - ٧٥ (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) .

أساليب التنشئة الاجتماعية للطفل السعودي
دراسة مقارنة بين جيل الأمهات والجدات في مدينة الرياض

سلوى عبد الحميد أحمد الخطيب

أستاذ مساعد بقسم الدراسات الاجتماعية - كلية الآداب

جامعة الملك سعود - الرياض - المملكة العربية السعودية

المستخلص : تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن آثار الطفرة الاقتصادية على أساليب التنشئة الاجتماعية في مدينة الرياض ، وذلك بإجراء مقارنة بين جيل الأمهات العاملات وجيل الجدات في مدينة الرياض . وقد استخدمت في جمع البيانات استمارة البحث والمقابلة مع ٩٥ إمرأة عاملة وأمها للحصول على معلومات كيفية أكثر . وقد ركزت هذه الدراسة على مواقف معينة في التنشئة كالرضاعة ، والفطام ، والقماط ، والإخراج ، والنوم ، والعدوان ، والفروق بين الجنسين ، والتأديب ، والرعاية . وكانت أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة هي :

أن هناك اختلافاً بين الأمهات والجدات في بعض مواقف التنشئة الاجتماعية وإن كان هذا الاختلاف ليسْ كبيراً كما هو متوقع ، فالجوانب المادية كالرضاعة والإخراج ، كانت أكثر تغيراً من الجوانب اللامادية في التنشئة الاجتماعية كالنظرة للجنسين .

إن الاختلاف بين الأمهات والجدات اختلافاً في الدرجة وليس في النوع ، ودرجة التغير ليست واحدة في جميع المواقف . فعلى سبيل المثال نجد أن طريقة الرضاعة السائدة في المجتمع السعودي التقليدي هي الرضاعة الطبيعية ، في حين أن الرضاعة السائدة في المجتمع السعودي المعاصر هى الجمع بين الرضاعتين الرضاعة الطبيعية والرضاعة الصناعية ، وذلك لتوافر الحليب الصناعي وسهولة استخدامه وتوافر الإمكانيات المادية لشرائه . كما أن سن التدريب وطريقة التدريب على الإخراج اختلفت عن الماضي ، إذ تميل الجدات في الماضي إلى التعجيل في عملية

النظافة ، في حين تميل الأمهات في الوقت الحاضر إلى تأخير سن التدريب على النظافة وذلك لتوافر الحفائض الجاهزة ورخص ثمنها ، كما أن طريقة تدريب الأمهات لأطفالهن على النظافة تعتمد على النصح والإرشاد ، في حين يلاحظ ارتفاع نسبة التهديد والتخويف والضرب بين الجدات عنه بين الأمهات .

يلاحظ ميل الجدات في المجتمع السعودي التقليدي إلى استعمال العقاب البدني أو التهديد باستخدامه بدرجة أكبر من الأمهات ، خاصة في بعض المواقف مثل العدوان ، سواء كان هذا العدوان موجه إلى الإخوة أو إلى الأصدقاء والجيران ، وإن كانت نسبة استخدام العقاب البدني في حالة الاعتداء على الإخوة أعلى منه في حالة الاعتداء على الأصدقاء كما تميل الجدات إلى استخدام العقاب البدني أو التهديد والتخويف في حالة التأديب والتهذيب . كما أوضحت الدراسة أن علاقة الأم بالأبناء قوية ومتينة ، ومازالت الأم هي الشخص الأول الذي يلجأ له الإبن أو الإبنة في حالة مواجهة أي مشكلة ، ومازال الأب يحتفظ بالمكانة الرأسية له في الأسرة ، وإن ازدادت مشاركته ومسؤوليته في رعاية الأبناء ولكن من خلال وجود الأم دائماً ، فلم يستطيع الآباء ولا الأبناء أن يذيبوا الحواجز التي أرستها الموروثات الاجتماعية على مر السنين .

مازالت النظرة للمرأة لم تتغير رغم التغيرات المادية الملموسة التي عمت المجتمع السعودي ، فكثيراً من الآباء والأمهات في الماضي والحاضر كما ذكر أفراد مجتمع الدراسة يفضلون إنجاب أبناء من الجنسين ، وفي حالة إنجاب طفل واحد يفضلون إنجاب الذكر على الأنثى .

وهكذا يمكننا القول ، أنه بمقارنة اتجاهات الأمهات والجدات في المجتمع السعودي نلاحظ حدوث بعض الاختلافات بين الأمهات والجدات ولكن هذه الاختلافات بسيطة وليست جوهرية ، فمازال هناك نوع من الاستمرارية في أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة بين الجدات والأمهات ، ومازالت الجدات يشاركن بشكل مباشر في تربية الأحفاد ، كما أنهن يساهمن بشكل غير مباشر في تربية الأحفاد عن طريق تربيتهن للأمهات ، ومازال الكثير من الأمهات يستخدمن أساليب أمهاتهن في التربية ، فرغم تأثير التعليم والوعي ببعض الأساليب التربوية الحديثة ، إلا أن هناك الكثير من التشابه بين أساليب الأمهات والجدات في أساليب التنشئة الاجتماعية .

المقدمة

وجهت هذه الدراسة اهتمامها إلى اتجاهات المرأة السعودية العاملة نحو التنشئة الاجتماعية ، ومحاولة الكشف عن أثر التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي عمت المجتمع السعودي على اتجاهات المرأة العاملة نحو التنشئة ، وذلك بمقارنة اتجاهات مجموعة من الأمهات السعوديات العاملات بأمهاتهن .

تلعب التنشئة الاجتماعية دوراً هاماً في تشكيل شخصية الفرد وفي تكوين اتجاهاته ، وميوله ، ونظرته إلى نفسه ، ونظرته إلى الحياة من حوله . فالمواقف الاجتماعية المؤلمة والمفرحة التي يتعرض لها الطفل في سنواته الأولى ، مثل مواقف الرضاعة والفطام والتدريب على النظافة وغيرها من أساليب التنشئة ، لها أثر كبير على تكوين شخصيته في المستقبل ، وعلى نموها الانفعالي . والتنشئة الاجتماعية هي عملية إدماج الطفل في الإطار الثقافي العام المحيط به ، وهذه العملية قد تتم بشكل مباشر عن طريق تدريب الطفل على نماذج السلوك المقبولة اجتماعياً ، وتعويده على طرق التفكير السائد في المجتمع ، وقد تتم بشكل غير مباشر عن طريق تقليد الطفل ومحاكاته لسلوك الكبار من أفراد المجتمع بحيث يصبح التراث الثقافي السائد جزءاً لا يتجزأ من عناصر شخصيته . وتلعب الأسرة دوراً هاماً في التنشئة الاجتماعية ، إذ يتلقى الأبناء تدريباتهم الأولى في الحياة من خلال الأسرة ، حيث يعتمد الأطفال اعتماداً كبيراً على الوالدين في السنوات الأولى مما يؤدي إلى تكوين علاقة عاطفية وثيقة بين الآباء والأبناء ، ويلعب الآباء دور الموجه والمعلم والقدوة بالنسبة للأبناء . وعدم وعي الوالدين بمسؤوليتهما تجاه الأبناء ، واستخدامهما القسوة الزائدة أو التدليل الزائد في تنشئة الأطفال عادة ما يكون له آثاره السلبية على الأبناء . فقد أكدت الكثير من الدراسات النفسية والاجتماعية على أن الأطفال الجانحين كانوا أكثر عرضة لمواقف الإحباط والقسوة والحرمان في مرحلة الطفولة من الأطفال الأسوياء وأن معظم أساليب التنشئة التي تعرضوا لها في مرحلة الطفولة كانت من النوع الخاطئ تربوياً حيث لم يشعروا بالحب والأمان ، بل كان لديهم إحساس دائم بالإهمال والنبذ والعقاب الشديد إلى درجة القسوة ، وأن علاقة الوالدين بالأطفال كانت تتسم بالسطحية والضعف (حسن ١٩٧٠ ، ص ١١٠ : ١١٧) . وتشير الكثير من الدراسات النفسية والأنثروبولوجية إلى أن كثيرا من ملامح شخصية الأفراد البالغين تعتبر امتداداً للخبرات التي تعرضوا لها في مرحلة الطفولة الأولى .

والتنشئة الاجتماعية في أي مجتمع لا تنشأ من فراغ ، بل هي انعكاس لثقافة المجتمع التي هي جزء منه . ذلك أن هناك علاقة وثيقة ومتبادلة بين أساليب التنشئة الاجتماعية والثقافة السائدة في المجتمع ، فعلى الرغم من أن قرار الأمهات في استخدام نوع معين من الرضاعة كالرضاعة الطبيعية ، أو الرضاعة الصناعية ، قد تبدو لنا أنها قرارات فردية ، وليس هناك أي نوع من الإلزام على المرأة لاتباع وسيلة معينة دون أخرى ، إلا أن هناك نوعاً من التأثير غير المباشر للثقافة العامة السائدة في المجتمع على أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة في المجتمع ، تجعل أبناء الثقافة الواحدة يتبعون أساليب متشابهة في حياتهم . والمقصود بكلمة الثقافة هنا « طريقة الحياة » وهذا المفهوم على الرغم من بساطته ، إلا أنه شامل لجميع جوانب الحياة المادية واللامادية في المجتمع ، فهو يشمل جميع العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات وطريقة التفكير ، وجميع الأفعال والأعمال والاختراعات التي يبتكرها الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع .

فالعلاقة بين التنشئة الاجتماعية والثقافة علاقة تبادلية ، وكل منهما يمكن أن يكون مؤشراً ودليلاً على نمو الآخر وتطوره . فأساليب التنشئة الاجتماعية تتأثر بمجموع القيم والمعتقدات السائدة لدى الأفراد ، وهذه المعتقدات قد تكون ظاهرة أو مستترة في المجتمع ، والوالدين قد يتصرفا في موقف من المواقف بناءً على وعيهم بمعتقداتهم ، أو بلا وعي منهم بهذه المعتقدات ، ولكنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من شخصياتهم . فالتنشئة الاجتماعية تعمل على غرس الثقافة في الأفراد ونقلها من جيل إلى آخر ، كما أن الثقافة في نفس الوقت هي التي تحدد أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة في المجتمع .

والتنشئة الاجتماعية تستمد أصولها من النظم الاجتماعية والاقتصادية السائدة في هذا المجتمع ، فعلى سبيل المثال تتأثر التنشئة الاجتماعية بالنظم الاقتصادية ونمط الإنتاج السائد في المجتمع ، إذ يلاحظ أن أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة في المجتمعات الرعوية تختلف عن أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة في المجتمعات الريفية أو الصناعية ، والقيم التي يحرص الأهالي على غرسها في أبنائهم في المجتمعات الرعوية تختلف عن القيم التي يحرص الأهالي على غرسها في المجتمعات الريفية (الخطيب ، ١٩٨١ ، ص ٨٩ : ٩٣) بل إن أساليب التنشئة الاجتماعية تختلف في المجتمع الواحد من طبقة اجتماعية إلى أخرى ، فأساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة في الطبقة الدنيا تختلف عن أساليب التنشئة المتبعة في الطبقة الوسطى أو العليا (فاروق العادلي ، الأنثروبولوجيا التربوية ، ١٩٨١) .

وقد شهد المجتمع السعودي طفرة اقتصادية هائلة في النصف الثاني من القرن العشرين ، تضاعفت في إيرادات الدولة من البترول عشرات المرات ، فقد كان إيراد الدولة من البترول ٥,٤ بليون ريال عام ١٩٦٩ ، وأصبح ٧ و ١٨٤ بليون ريال عام ١٩٧٩ ، أي في ظرف عشر سنوات تضاعف الدخل عشرات المرات ، وساعدت هذه الطفرة المادية الدولة للقيام بالعديد من المشروعات الصناعية والزراعية والتجارية . والأسرة كوحدة أساسية من وحدات البناء الاجتماعي تأثرت بهذه التغيرات ، فارتفع مستوى دخل الفرد ارتفاعاً ملحوظاً ، ساعد الكثير من المواطنين على توفير أكبر قدر من الرفاهية لأسرهم .

لذا سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن أثر التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي عمت المجتمع السعودي – وانتقاله من مجتمع رعوي يتميز اقتصاده بالندرة والكفاف ، إلى مجتمع حضري يتميز بالوفرة – على أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة ، وعلى الرغم من قناعة الباحثة بأن التنشئة الاجتماعية تشمل جميع العمليات والمواقف التي يتعرض لها الفرد في مراحل حياته المختلفة ، إلا أن للخبرات التي يتعرض لها الفرد في مرحلة الطفولة المبكرة أهمية خاصة . لذا ستوجه الباحثة اهتمامها على مواقف محددة من التنشئة الاجتماعية كالرضاعة ، والفطام ، والنوم ، والتدريب على النظافة ، والتأديب ، والعدوان ، لما لها من أثر كبير في تكوين شخصية الفرد وتحديد ملامحها المستقبلية .

وهناك احتمالان يطرحان هنا للإجابة على هذا التساؤل :

الاحتمال الأول يرى أن التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات الثقافية التي تتميز بالاستقرار والاستمرارية ، فالأفراد عادة ما يستخدمون نفس أساليب التنشئة التي تعرضوا لها في مرحلة الطفولة الأولى ، لذا فإن التغير في أساليب التنشئة الاجتماعية سيكون بطيء جداً لدرجة غير ملحوظة ، ومن المحتمل أن لا نجد أي تغيرات في أساليب التنشئة المتبعة بين جيل الأمهات العاملات ، وجيل الجدات رغم التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي ظهرت في المجتمع السعودي .

والاحتمال الثاني يرى أنه بما أن العلاقة بين التنشئة الاجتماعية والثقافة علاقة متبادلة فإن أي تغير في جانب لابد وأن ينعكس على الجانب الآخر . وبما أن جانباً هاماً من أجزاء الثقافة وهو الجانب المادي قد تعرض لتغيرات كبيرة وملحوظة نتيجة لاكتشاف النفط ، لذا لابد وأن تتأثر التنشئة بهذه التغيرات الاقتصادية التي اجتاحت المجتمع السعودي . وستختلف أساليب التنشئة الاجتماعية اختلافاً كبيراً بين جيل الأمهات وجيل الجدات . ومن ثم كانت أهم التساؤلات التي تطرحها هذه الدراسة هي :

- ما هى اتجاهات الأم السعودية العاملة نحو تنشئة أطفالها ؟
- هل أثرت التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي عمت المجتمع السعودي والتي تتمثل بتعليم المرأة وخروجها للعمل على اتجاهاتها نحو التنشئة ؟
- هل تتشابه اتجاهات الأم السعودية العاملة مع اتجاهات والدتها نحو التنشئة ؟
- إذا كان هناك تشابه ، بين المرأة العاملة ووالدتها فما هي أوجه الشبه بينهما ؟
- وإذا كان هناك اختلاف ؟ فما هي أوجه هذا الاختلاف ؟ وما هي عوامله ؟

أهمية الدراسة

شغلت التنشئة الاجتماعية اهتمام الكثير من علماء النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا . وترجع أهمية هذا الموضوع إلى أن التنشئة الاجتماعية هي العملية الأساسية التي تشكل شخصية الفرد ، فالمواقف والخبرات التي يتعرض لها الطفل في مرحلة الطفولة من مواقف الحب أو الإهمال ، واللين أو القسوة تلعب دوراً هاماً في تكوين شخصية الفرد وتماسكها ، ولما كان الفرد السليم هو الدعامة الأولى لبناء المجتمع السليم ، لذا كان من الواجب توجيه الكثير من الاهتمام بهذه العملية حتى ندرك كمربيين وباحثين أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة في المجتمع ، وإلى أى مدى تتوافق الأساليب المتبعة مع المبادئ التربوية ، وكيف يمكن تقويمها .

تسعى الكثير من الدول إلى تنمية امكانياتها وطاقاتها ، ولكن التنمية الحقيقية لا يمكن أن تتحقق إلا بالاهتمام بالإنسان وتنمية طاقاته ، لذا كان من الضروري توجيه المزيد من الاهتمام

للدراسات الخاصة بالتنشئة الاجتماعية ودور الوالدين في تكوين شخصية الطفل ، فالمعرفة الواعية لأساليب التنشئة الاجتماعية وأثرها في تكوين بعض الجوانب السلبية في شخصية الفرد ، تساعد المخططين لبرامج التنمية لإدراك التغيرات اللازمة لأساليب التنشئة حتى تؤدي هذه الأساليب دورها الفعال في بناء شخصية سوية ناضجة قادرة على تنفيذ متطلبات التنمية .

ولما كانت الدراسات الخاصة بالتنشئة الاجتماعية في المجتمع السعودي بصفة عامة محدودة ، وأهم هذه الدراسات هي دراسة الصويغ « أثر التغيرات الاجتماعية والاقتصادية على تنشئة الطفل في المجتمع السعودي» (Al Suwaigh, 1984) ، ودراسة المطلق «اتجاهات الأمهات نحو التنشئة الاجتماعية لأطفالهن في المملكة العربية السعودية» (المطلق ، ١٩٨٠) ، ومعظم هذه الدراسات ناقشت قضية التنشئة الاجتماعية من منظور نفسي ، لذا تعتبر هذه الدراسة من الدراسات الاجتماعية التي ستناقش التنشئة من منظور اجتماعي في المجتمع السعودي .

منهج الدراسة

المنهج المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي المقارن القائم على تصوير ملامح التنشئة بين جيل الأمهات وجيل الجدات . وتتكون عينة الدراسة من ٩٥ أم ، و ٩١ جدة تتراوح أعمار الأمهات من ٢٠ : ٥٥ عاماً ، وتتراوح أعمار الجدات من ٤٠ : ٧٥ عاماً . والمستوى التعليمي للأمهات يتراوح من الابتدائية إلى الدكتوراه ، وأكبر نسبة منهن ٧٥,٩٪ حاصلات على الشهادة الجامعية ، و ٢٠٪ حاصلات على الثانوية العامة ، و ٩,٥٪ حاصلات على الشهادة المتوسطة ، وغالبية الجدات غير متعلمات . وتعمل الأمهات في مختلف مجالات العمل المتاحة للمرأة السعودية في المملكة كالتعليم والتوجيه والتمريض والطب والشؤون الإجتماعية والأعمال الحرة ، في حين أن معظم الجدات غير عاملات .

وأهم الأدوات المستخدمة في جمع البيانات هي استمارة البحث والمقابلة لمجموعة من الأمهات العاملات والجدات (أمهات النساء العاملات) ، وذلك للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات الكيفية التي لا توفرها استمارة البحث . وقد تمت هذه الدراسة في الفترة الزمنية من شهر سبتمبر إلى نوفمبر من عام ١٩٩١م .

الإطار النظري للدراسة

تلعب الأسرة عامة والوالدين بصفة خاصة دوراً هاماً في تشكيل شخصية الطفل . وعلى الرغم من أهمية موضوع التنشئة الاجتماعية ، إلا أنها لم تحظ بالاهتمام الكافي من العلماء والباحثين إلا مع بداية القرن العشرين . وقد أرجع سيرز Sears نقص الدراسات في هذا المجال في السابق إلى

عاملين رئيسين :

– العامل الأول ويتمثل في اعتقاد الكثير من العلماء أنه من الصعب إخضاع السلوك الإنساني للملاحظة والدراسة ، ومن ثم من الصعب وضع قوانين عامة تحكم السلوك الإنساني على غرار القوانين الطبيعية .

– العامل الثاني ويتمثل في أن معظم العلماء والمهيمنين على الدراسات الاجتماعية والنفسية من الذكور ، والرجال يعتقدون أن مواضيع التنشئة والتربية مواضيع نسائية لا يليق بالرجال الاهتمام بها (Sears 1957, p.2:3) . ولكن بعد إدراك العلماء لأهمية التنشئة الاجتماعية ودورها في تحديد ملامح شخصية الفرد ، والعلاقة بين الشخصية والثقافة السائدة في المجتمع ، أخذ اهتمام العلماء يتزايد في هذا الموضوع . والتنشئة الاجتماعية من وجهة نظر ديفيد جوسلن Goslin « هي العملية التي يكتسب بها الأفراد المعرفة والمهارات والطباع التي تساعدهم للمشاركة بشكل أفضل كأعضاء في الجماعات والمجتمع » (Goslin 1969, p. 2.) . وهو يعني بذلك أن عملية التنشئة الاجتماعية لا تقتصر في مفهومها على السنوات الأولى من حياة الفرد ، ولكنها تمتد لعمليات التعلم المختلفة التي يتعرض لها الفرد في مراحل حياته المختلفة .

وعرف لي فاين Levin التنشئة الاجتماعية بأنها « عملية إعداد الأفراد للتكيف مع بيئاتهم الاجتماعية وإعدادهم لأدوارهم المستقبلية ، وإدماج مرحلة الطفولة التي يحيونها مع الكثير من خبرات الناضجين من الأجيال السابقة في مجتمعهم (Levin 1969, p. 503) . ونلاحظ أن تعريف لي فاين للتنشئة هنا يرى أن الوظيفة الأساسية للتنشئة الاجتماعية هي الوظيفة الاجتماعية التي تعدهم للتكيف مع بيئاتهم ، وتعلمهم أدوارهم الاجتماعية المتوقع منهم أداؤها في المستقبل .

وعرف إليكس انكلز Alex Inkles التنشئة الاجتماعية « بأنها العملية التي يكتسب الأفراد بمقتضاها المعرفة والمهارات والاتجاهات والقيم والدوافع والتجريدات والأنماط التي تؤثر في تكيفهم مع بيئاتهم الفيزيقية والاجتماعية والثقافية (Inkles 1969, pp. 615: 616) . ويرى انكلز Inkles أن المعيار الحقيقي لنجاح عملية التنشئة الاجتماعية في تحقيق أهدافها يتمثل في قدرة الأفراد على الأدوار المتوقع منهم أداؤها في المستقبل .

الاتجاهات الرئيسة للتنشئة الاجتماعية

التنشئة الاجتماعية كانت موضع اهتمام الكثير من العلماء ، ويمكننا أن نميز ثلاث إتجاهات رئيسة في هذا الموضوع .

الاتجاه الأول : الاتجاه النفسي

يرى علماء النفس وعلى رأسهم فرويد Freud أن التنشئة الاجتماعية هي حجر الزاوية في بناء شخصية الفرد ، فاضطراب شخصية الفرد تعود برمتها إلى مرحلة الطفولة الأولى والخبرات السيئة التي تعرض لها الفرد في تلك المرحلة . فالطفل الإنسان يولد ولديه العديد من النزوات والأهواء المتضاربة ، والتي تهدد الحياة الاجتماعية ، لذا فإن وظيفة التنشئة الاجتماعية من وجهة نظر علماء هذا الاتجاه هي تحقيق التوازن بين نزوات الفرد ورغبات المجتمع ، بحيث يمكن تحوير هذه النزوات وتحويلها إلى أشكال مقبولة اجتماعياً ، وعرف علماء هذا الاتجاه التنشئة الاجتماعية بأنها « العملية التي يستطيع بمقتضاها الأفراد المنشئين اجتماعياً من كبح نزواتهم وتنظيمها وفق متطلبات المجتمع ونظامه الاجتماعي السائد ، ويكون سلوكهم هذا مناقضاً لسلوك الأفراد غير المنشئين اجتماعياً ، والذين تؤدي أنانيتهم في إشباع نزواتهم للإضرار بالآخرين وبسلامة المجتمع (Levin 1969, p. 506) .

ويضرب أنصار هذا الاتجاه مثالاً لأهمية التنشئة بالأطفال المتوحشين الذين تربوا في الغابات فكان سلوكهم أقرب للحيوان منه إلى الإنسان . ومن أهم علماء هذا الاتجاه فرويد الذي يرى أن الإنسان يولد ولديه مجموعة من النزوات والنزعات الشريرة التي تهدد كيان المجتمع ، ولكن بفضل الأنا والأنا الأعلى الذي يتكون لدى الفرد يعمل الفرد على كبح هذه الرغبات في اللاشعور . ويرى فرويد أن الاستقرار الاجتماعي يسود المجتمع بسبب كبح الكثير من الأفراد لرغباتهم الهمجية وأهوائهم .

ويؤكد علماء النفس على أهمية التنشئة الاجتماعية في تكوين الذات لدى الطفل ، وتمر الذات بمرحلتين رئيستين : المرحلة الأولى وتبدأ من العام الأول حتى بداية العام الثاني ، وتخضع الذات في هذه الفترة لمبدأ اللذة ، فيحاول الطفل القيام بأي سلوك يحقق له المتعة واللذة ويبعده عن الألم ، ويكون مصدر اللذة لدى الطفل هو الفم وهو وسيلته للتعرف على الأشياء . ثم تبدأ المرحلة الثانية مع بداية العام الثاني إلى الثالث وفيها تتكون الذات الشعورية لدى الطفل ، وتلعب الأم ، أو من ينوب عنها ، دوراً هاماً في تكوين الذات في هذه المرحلة ، وتبدأ الأم في هذه المرحلة توجيه الطفل وتعديل سلوكه ، ويبدأ الطفل في هذه المرحلة معرفة الألم كعنصر جديد في حياته ، ويحاول تعديل سلوكه في المواقف المختلفة ، وتعلم أنماط السلوك المتوقعة منه ليكسب رضاء أمه واستحسانها (فهمي ١٩٧٩) ، ومن هنا يبدأ التكوين الطبيعي للأنا لدى الطفل ، ويلعب الأنا دوراً هاماً في تكوين شخصية الفرد وفي تحديد علاقاته بالآخرين ، فالأنا يعمل على تحقيق التوازن بين شخصية الفرد ورغبات المجتمع .

الاتجاه الثاني : الاتجاه الاجتماعي

ويرى علماء هذا الاتجاه أن التنشئة الاجتماعية هي عملية تدريب الطفل للمشاركة في المجتمع

وإعداده ليكون عضواً فعالاً فيه . والهدف الأساسي للتنشئة الاجتماعية من وجهة نظر هذا الاتجاه ، هو تحقيق التوافق بين الأفراد وبين المعايير والقوانين الاجتماعية ، ويركز علماء هذا الاتجاه على الجوانب الإيجابية للتنشئة والتي تجعل الأفراد يتوافقون تلقائياً مع مجتمعهم دون الشعور بالكبت والصراع نتيجة لتوافقهم مع رغبات المجتمع (Levin 1969, p. 507) . فعملية التنشئة الاجتماعية هي التي تخلق نوعاً من التضامن ، والتوازن ، والتماسك في المجتمع . وتأثر علماء هذا الاتجاه بدوركايم Durkheim وفكرة العقل الجمعي ، إذ يرى دوركايم أن المجتمع وإن كان يتكون من مجموعة من الأفراد ، إلا أن له وجود مستقل عن هؤلاء الأفراد يتمثل في العقل الجمعي ، والذي له صفة الجبر والالزام على الأفراد ، فالفرد ليس حراً في تكوين شخصيته ولكن المجتمع هو الذي يحدد شخصية أفراده ، وهو الذي يحدد طريقة تفكيرهم ، وهو الذي يحدد سلوكهم . ومن علماء الاجتماع المحدثين الذين اهتموا بالأسرة ودورها في التنشئة الاجتماعية ليدز وبارسونز Lidz & Parsons ، إذ أكد ليدز بأن الطفل عادة ما يحتاج إلى والدين في حياته ، والد من نفس جنسه يقتدى به ، ووالد من الجنس الآخر يستمد منه الحب والحنان ويشعره بأهميته في الوجود (Lidz 1968, pp. 582:583) . وقد أوضح بارسونز أهمية تباين أدوار الزوجين في الأسرة لضمان استمرار الأسرة واستقرارها . ويؤكد بارسونز أن هذا التباين يستمد وجوده من اختلاف الطبيعة البيولوجية للجنسين ، فدور المرأة في الأسرة دور تعبيري عاطفي ، في حين أن دور الرجل في الأسرة دور وسيلي يسعى إلى تحقيق احتياجات الأسرة الاقتصادية . ويؤكد بارسونز أن أي اضطراب في أدوار الزوجين وقيام الرجل بدور المرأة في رعاية الأبناء ، وقيام المرأة بالوظيفة الوسيلية وحماية الأسرة وإعالتها مادياً يؤدي إلى اضطراب صورة الوالدين في الأسرة . ويرى بارسونز أن الثقافة العامة السائدة في المجتمع هي التي تحدد السلوك المتوقع من كل دور ، لذا فإن هذه الأدوار المتوقعة تختلف من مجتمع إلى آخر ، ويؤكد بارسونز أهمية الأسرة في تعليم الفرد الأدوار المتوقع منه أداؤها في المستقبل ، وركز بارسونز على دور الأم في السنوات الثلاث الأولى ، أما ما بعد ذلك فيكون دور الأسرة ككل مهم بالنسبة للطفل ونمو شخصيته (Parsons 1956) . وهكذا يؤكد علماء هذا الاتجاه أن الوظيفة الأساسية للتنشئة هي تلقين الأفراد لأدوارهم المستقبلية حتى يمكنهم أن يحققوا إنجازات المجتمع ومتطلباته ، وغرس القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد والعرف في نفوس الأفراد لتحقيق نوع من التضامن والتماسك في المجتمع .

الاتجاه الثالث : الاتجاه الأنثروبولوجي

ويرى علماء هذا الاتجاه أن من أهم خصائص المجتمعات الإنسانية هي قدرتها على حفظ الثقافة ونقلها من جيل إلى آخر . والتنشئة الاجتماعية هي التي تقوم بعملية التثقيف هذه ، فالتنشئة الاجتماعية هي الوعاء الأول الذي يستطيع المجتمع من خلاله حفظ ثقافته ، ويؤكد علماء

الأنثروبولوجيا أن عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية امتصاص تلقائية من الطفل لثقافة المجتمع المحيط به ، فالطفل يكتسب ثقافة المجتمع من خلال المواقف الاجتماعية المختلفة التي يتعرض لها في طفولته الأولى ، وهذه الأساليب تختلف من مجتمع إلى آخر باختلاف الثقافة السائدة . فثقافة المجتمع هي التي تحدد أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة في كل مجتمع . والأسرة هي المسؤول الأول عن توصيل هذه الثقافة ، وهي التي تغرس قيم المجتمع وديانته وعاداته وتقاليده ونظمه في نفس الطفل . ويرى بعض علماء الأنثروبولوجيا مثل فرانز بواس وروث بينيدكت ومرجريت ميد Framz Boas, Ruth Benedict, Margret Mead أنه ليس هناك عمليات تعلم محدده لنقل الثقافة إلى الأفراد فالطفل يكتسب ثقافة المجتمع بشكل تلقائي من خلال توجيهات الوالدين والأفراد البالغين المحيطين به ، ومن خلال ملاحظة سلوكهم وتقليده لهم ، ومن خلال أساليب الثواب والعقاب التي يتعرض لها الفرد في مرحلة الطفولة . وترى مرجريت ميد وزملائها أن التنشئة الاجتماعية هي عملية توصيل الثقافة بشكل مباشر أو غير مباشر لسلوك الطفل (Levin 1969, pp. 505:506) . ومن أوائل الرواد الأنثروبولوجيين الذين أكدوا أهمية العلاقة بين الثقافة والتنشئة الاجتماعية روث بينيدكت ، إذ ترى هذه الباحثه أن شخصية الفرد وما بها من جوانب إيجابية وسلبية ما هي إلا انعكاس لثقافة المجتمع ولأساليب التنشئة الاجتماعية التي تعرض لها ، وقد أوضحت روث بينيدكت مثالاً لهذه العلاقة المتبادلة بين الثقافة والتنشئة الاجتماعية في دراستها لثلاث مجتمعات هي الزوني والدوبو والكواكيوتل ، وأكدت في هذه الدراسة كيف أن ثقافة الزوني المعتدلة أدت إلى خلق نمط شخصية أبوللونية معتدلة . فثقافة الزوني تدعوا إلى الاعتدال والاهتمام بالشعائر الدينية ، فهم لا يهتمون بالثروة الاقتصادية كهدفاً في حد ذاتها ، بل كوسيلة للحصول على مكانة دينية أفضل ، لذا ترى بينيدكت أن هذه الثقافة أدت إلى تكوين شخصية معتدلة مسالمة لا تشرب الخمر أو المخدرات ، ولا تستعمل القسوة والضرب المؤلم في رقصاتها ، وتتميز بالتمسك بالتقاليد وعدم الرغبة في التغير ، بل إن الزوني ينظرون نظرة الشك والريبة لكل تغير . وعلى العكس من ذلك نجد الدوبو يتصفون بالشخصية الديونزيانية العدْوانية . فهم يعتقدون بالسحر وأن لديهم قوة شيطانية ، وكانوا منذ قرون مضت يأكلون لحوم البشر ، وأهم سمات شخصية الدوبو الغدر والفوضى والعدوان وعدم الإخلاص بين الزوجين والإيمان بالسحر والميل إلى العنف والتعذيب وتعاطي المخدرات . وهكذا تؤكد بينيدكت أن العوامل الاجتماعية والثقافية هي العوامل الأساسية في تحديد سمات الشخصية في أي مجتمع ، فليس هناك سمات عامة تنطبق على جميع المجتمعات ، فمفهوم الأمانة يختلف من مجتمع إلى آخر ، فما يعتبره مجتمع ما أمانة ، قد لا يعتبره مجتمع آخر أمانة ، فالأمانة قيمة نسبية تختلف من مجتمع لآخر (Benedict 1980, pp. 170 : 171) .

أنماط الدراسات الاجتماعية الخاصة بالتنشئة الاجتماعية

تنقسم الدراسات الخاصة بالتنشئة الاجتماعية إلى عدة أنماط وفقاً لاختلاف موضوعاتها ، فهناك بعض الدراسات التي وجهت لدراسة أساليب التنشئة الاجتماعية في مجتمع محدد ، وفي حدود إقليمية ريفية أو حضرية معينة مثل دراسة سيرز Sears لأمريكا ودراسة حامد عمار لقرية سلوا ، وهناك دراسات مقارنة قام بها العلماء لمقارنة أساليب التنشئة الاجتماعية في عدة مجتمعات .

فقد قام سيرز بدراسة أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة في ولاية نيوإنجلند في أمريكا ، وقام بدراسة منطقتين سكنيتين ، ينتمي سكان الأولى للطبقة الوسطى وينتمي سكان الثانية للطبقة العاملة ، وحاول معرفة أهم الاختلافات السائدة بينهما ، وما هو تأثير أساليب التنشئة على شخصية الأبناء ؟ وقد وجه سيرز اهتمامه لدراسة عدة مواقف كالرضاعة والفطام والإخراج والاستقلالية والعدوانية والنوم . ويؤكد سيرز في دراسته أهمية هذه المواقف في تشكيل شخصية الفرد . فعملية الرضاعة ليست مجرد عملية بيولوجية للحصول على الغذاء ، بل هي محاولة من الطفل للحصول على الحب والحنان من الأم . والطفل يتعلم منذ الأيام الأولى أن بكاءه يعني اجتذاب اهتمام أمه إليه ، ويبدأ في تكوين علاقة متبادلة ولغة مشتركة بينه وبين أمه . وأظهرت نتائج هذه الدراسة أن معظم الأمهات الأمريكيات يملن إلى تنظيم الرضاعة ولكن ليس بشكل صارم ، أما فيما يتعلق بالفطام فتميل بعض الأمهات إلى فطام الطفل في سن خمسة إلى ثمانية أشهر ، في حين تميل بعض الأمهات لفطام الطفل في سن إحدى عشر شهراً . ولاحظ سيرز أن هناك اختلافا بين الأمهات في الفترة التى يستغرقنها لإتمام عملية الفطام فأحياناً تستغرق فترة الفطام عدة أشهر ، وأحياناً تستغرق سنة كاملة . ولاحظ سيرز أن الأمهات اللاتي يبدأن عملية الفطام في سن مبكر ينتهين منها في سن مبكر أيضاً . وقد انقسم علماء النفس في موقفهم تجاه سن الفطام إلى اتجاهين : الاتجاه الأول ومن أنصاره فرويد ويرى أن الطفل يشعر بلذة كبيرة في عملية الرضاعة ، وكلما كانت فترة الرضاعة أطول ، كلما شعر الطفل بالارتياح النفسي أكثر ، وأكد ديفيد ليفي David Levin هذه النتيجة من ملاحظته لعادة مص بعض الأطفال لابهامهم ، إذ يرى أن معظم الأطفال الذين يتبعون هذه العادة لم يأخذوا فترة كافية في عملية الرضاعة . الاتجاه الثاني ومن أنصاره سيرز ووايز Sears & Wiz ويعارض آراء فرويد ويرى أنه كلما تأخر سن الفطام كلما زاد إحساس الطفل بالحرمان والألم عند الفطام ، وذلك لازدياد تعلق الطفل بعملية الرضاعة وإحساسه بمتعتها . وقد أكد سيرز في هذه الدراسة أنصار الاتجاه الثاني ، وأشار إلى أن معظم الأمهات اللاتي ذكرن أن أطفالهن أظهروا تأثراً وغضباً عند عملية الفطام كن الأمهات اللاتي فطمن أطفالهن عند سن إحدى عشر شهراً ، أي في سن متأخر نسبياً (Sears 1957, p. 86) .

ومن الدراسات العربية الرائدة في التنشئة الاجتماعية دراسة حامد عمار لقرية سلوا في مصر ، إذ وجد عمار أن الملاحظة والتقليد هي المصدر الأول لتعلم الأطفال لأدوار الكبار الراشدين ، إذ يحاول الأطفال ملاحظة سلوك الكبار في الحياة اليومية وتقليده ، وركز حامد عمار على بعض المواقف مثل الرضاعة والفطام والعدوان والفروق بين الجنسين ، ويرى عمار أن أهم ما يميز عملية التنشئة الاجتماعية في القرية بوجه عام هي التساهل واللين في التعامل مع الأطفال في السنوات الأولى ، والتشدد والحزم خلال المراحل التالية . فوجد عمار أن الأم الريفية تميل إلى الرضاعة الطبيعية ، ويميل الوالدين إلى إطالة فترة الرضاعة للطفلة الأنثى عن الطفل الذكر ، وعملية الرضاعة في الريف المصري لا تخضع للتنظيم ، فالأم ترضع ابنها من ثديها وقت حاجته دون أي تقيد بمواعيد ثابتة ، وتختلف عملية الرضاعة من طفل إلى آخر . أما فيما يتعلق بالفطام ، فالأسلوب الشائع في الريف المصري هو الفطام الفجائي ، بأن تضع الأم مادة الصبار أو الملح أو الحناء على الثدي لتنفير الطفل منه . والفطام لا يتم من الثديين في وقت واحد بل تبدأ في ثدي وبعد فترة من الزمن تنتقل إلى الثدي الآخر . أما فيما يتعلق بالإخراج ، فليس هناك أي تدريبات للطفل على عملية الإخراج حتى سن الخامسة أو السادسة ، وعندها يبدأ الطفل بالشعور بالضوابط على سلوكه . أما فيما يتعلق بمواقف العدوان ، فالوالدين يميلان إلى القسوة في حالة عدوان الطفلة أكثر من عدوان الطفل الذكر ، ويستخدم الوالدين العقاب البدني كوسيلة للردع فهم يؤمنون بمبدأ « العصا لمن عصا » ، ويؤكد عمار أن المجتمع الريفي يميل إلى تفضيل الذكور عن الإناث لمكانة الرجل الاقتصادية والاجتماعية في الريف (عمار ١٩٨٧) .

وهناك دراسة أخرى في نفس المجال قام بها محمود عبد القادر عن أساليب التنشئة الاجتماعية في الريف المصري ، وأهم النتائج التي توصل إليها الباحث فيما يتعلق بمواقف الرضاعة والفطام أنه لا توجد فروق في موقف الأمهات تبعاً لاختلاف الجنس ، فأساليب الأمهات في الرضاعة والفطام واحدة سواء كان المولود ذكرا أم أنثى، وهذه النتيجة تخالف نتائج عمار الذي يرى أن فترة رضاعة الطفلة أطول في قرية سلوا. كما أوضحت الدراسة أن معظم الأمهات الريفيات يستخدمن الرضاعة من الثدي وهذه النتيجة تؤيد نتائج عمار، وأوضح عبد القادر أن هناك علاقة عكسية بين تعليم الأم وعملية الرضاعة من الثدي، فمعظم الأمهات غير المتعلمات يستخدمن الرضاعة من الثدي، في حين تقل نسبة الرضاعة من الثدي بين الأمهات المتعلمات، كما أوضح أن هناك علاقة عكسية بين مستوى معيشة الأسرة وأسلوب الرضاعة، فحينما يرتفع مستوى المعيشة تميل الأمهات إلى استخدام أسلوب الرضاعة الصناعية، الذي يعتبر مكلفاً اقتصادياً، ويتطلب وعي نسبي بكيفية الرضاعة الصناعية. أما فيما يتعلق بالفطام، فتنحصر في الريف المصري في أربعة مواقف رئيسة: الفطام القاسي وهو الفطام بالصبار، والفطام الفجائي، والفطام التدريجي، والفطام التلقائي. ويذكر عبد القادر أن الفطام الفجائي أكثر انتشاراً بين الأميات، والفطام التدريجي أكثر انتشاراً بين المتعلمات. ويرى عبد القادر أن الفطام

الفجائي يؤدي إلى تكوين خبرات مؤلمة لدى الطفل وتكون لديه نوع من التناقض العاطفي والواجداني، كما أن طول فترة الرضاعة تؤدي إلى اعتماد الطفل على الآخرين لإشباع رغباته وحاجاته . ويذكر عبد القادر أن أساليب التنشئة الاجتماعية في الريف المصري تتميز بالتسامح والتساهل من قبل الوالدين ، وهذا التسامح قد يؤدي إلى عدم الانضباط في سلوك الفرد وتلقائية في التعبير الانفعالي ، وعدم الاحساس بالزمن ، وعدم احترام الوقت ، وعدم وضوح معنى القانون والنظام ، والأهم من ذلك هو الاعتماد القوي على الأم والالتصاق بها وعدم نضج الأنا الاجتماعي (عبد القادر ١٩٧٠ ، ص‌ص ٥٦ : ٥٨) .

ووجه فريق آخر من الباحثين اهتمامهم لمقارنة أساليب التنشئة الاجتماعية في عدة مجتمعات ، ومن هذه الدراسات دراسة منترن **Minturn** المقارنة لمجتمع القرية في عدة مجتمعات كالمكسيك ، والهند والفلبين ، وأوكيناوا ، وقرية جوسي في أفريقيا ، ونيوإنجلند ، إذْ أشار منترن أن أساليب التنشئة الاجتماعية تختلف بين هذه المجتمعات في عدة مواقف مثل إظهار العواطف ، والتذبذب في العواطف ، والتدريب على تحمل المسؤولية ، والوقت الذي تقضيه الأم مع الطفل . فقد أظهرت هذه الدراسة أن أقل المجتمعات إظهاراً للحب والعواطف هي الهند والمكسيك وأكثر المجتمعات إظهاراً للحب هي نيوإنجلند ، وأرجع الباحث هذه النتيجة إلى نمط معيشة الأسرة ، فالنمط الشائع في السكن في الهند والمكسيك هو السكن في الفناء ، وليس هناك أي نوع من الخصوصية في السكن مما لا يتيح الفرصة للأم لإظهار عواطفها لأبنائها . كما ذكر الباحث أن هناك عوامل أخرى تؤثر في إظهار الحب كعدد الأطفال وترتيب الطفل في الأسرة ، أما من حيث التذبذب في إظهار العواطف فقد كانت الأم الأفريقية ثم نيوإنجلند من أكثر الأمهات تذبذباً في إظهار العواطف . وأرجع الباحث تذبذب الأم في إظهار العواطف إلى إجبارها لقضاء ساعات أطول مع أطفالها دون مساعدة خارجية ، إذ يرى منترن أن الأم التي تعيش في أسرة ممتدة مع الجدات أو القريبات تكون أكثر استقراراً في العواطف من الأم التي تعيش في أسرة نووية ، والمجال لا يتسع هنا لذكر جميع أوجه الشبه والاختلاف بين هذه المجتمعات في المواقف المختلفة ولكن يمكننا القول أن أهم عوامل اختلاف أساليب التنشئة الاجتماعية بين هذه المجتمعات هي شكل الأسرة ، وتوفر الخصوصية لدى الأسرة ، وعدد الأطفال ، وترتيب الأطفال ، وخروج المرأة للعمل **(Minturn 1968)** .

وهناك دراسة أخرى مقارنة قام بها لمبرت **Lambert** على عشر مجتمعات هي الأمريكان ، والإنجليز الكنديين ، والفرنسيين ، والفرنسيين البلجيك ، والهولنديين ، والإيطاليين ، واليونانيين ، والبرتغاليين وحاول في هذه الدراسة معرفة مواقف الوالدين في تنشئة أبنائهم ، كدور الآباء في تقديم المساعدة للأبناء ، وموقف الآباء من محاولة الأبناء جذب انتباه الآباء ، وموقف الآباء من مشاجرات الأبناء ، وموقف الآباء من اتلاف الأبناء للأشياء ، وموقف الآباء من الفروق بين الجنسين . وقد

أكدت الدراسة أن أساليب التنشئة تختلف من مجتمع إلى آخر باختلاف الثقافة السائدة ، وفي نفس الوقت تختلف من طبقة اجتماعية إلى أخرى في نفس المجتمع ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، أظهرت الدراسة أن موقف الآباء الأمريكان يتسم بالتسامح فيما يتعلق بعدوان الأطفال ، وعادة ما يقف الآباء إلى جانب الأبناء في حالة شجارهم مع الآخرين ، وكذلك يلاحظ أن الفروق بين الطبقات تبدو كبيرة خاصة فيما يتعلق بالانضباط ، فالطبقة الوسطى عادة ما تكون أقل قسوة من الطبقة الدنيا في أمريكا ، أما فيما يتعلق بالفروق بين الجنسين فليس هناك فروق تذكر بين الطبقات ، والأدوار المتوقعة من الجنسين تكاد تكون واحدة في جميع الطبقات . ومن النتائج المشتركة في جميع المجتمعات أن الطبقة الدنيا في جميع المجتمعات كانت أكثر ميلاً إلى القسوة في تنشئة أطفالها من الطبقة الوسطى (Lambert 1979) .

وإن كانت هذه الدراسات قد وجهت اهتمامها إلى أساليب التنشئة الاجتماعية التي يستخدمها الوالدين في المجتمعات ، فإن هناك دراسات أخرى قد وجهت اهتمامها إلى القيم التي يحرص الوالدين على غرسها في الأبناء ، على اعتبار أن الثقافة تشتمل على جانبين رئيسين هما : الجوانب المادية والتي تتمثل في السلوك الفعلي للأفراد ، والجوانب اللامادية والتي تتمثل في القيم التي يؤمن بها الأفراد ، وقد وجه بعض العلماء ومنهم كوهين Melvin Kohn اهتمامه للكشف عن القيم التي يحرص الوالدين في مختلف الطبقات الاجتماعية على غرسها في أبنائهم في مدينة واشنطون د . س في أمريكا ، وقد حدد كوهين مجموعة من القيم التي يحرص الآباء على توافرها في الأبناء مثل السعادة ، التفهم ، الاستقلالية ، الأخلاق الحميدة ، ضبط النفس ، الاجتهاد ، النظافة ، الترتيب ، الفضول وغيرها من الصفات . وأسفرت الدراسة عن أن الوالدين من الطبقة الوسطى يضعون السعادة وضبط النفس من الصفات الأساسية التي يفضلونها في أبنائهم ، في حين يضع الآباء في الطبقة الدنيا النظافة والترتيب في الدرجة الأولى . كذلك يضع الآباء من الطبقة الدنيا اهتماماً كبيراً لفكرة الأمانة ويضعونها في المراتب الأولى لاعتقادهم بأن الأمانة هي التي تجعلهم يكسبون احترام الناس ، فهم يحاولون تأكيد المبدأ القائل « إنه فقير ولكن أمين » ، في حين لا يضع الوالدين في الطبقة الوسطى الأمانة في نفس الدرجة من الأهمية ، ويضع الوالدين من الطبقة الوسطى أهمية كبيرة لاستقلالية الطفل واعتماده على نفسه ، في حين يضع الوالدين من الطبقة الدنيا أهمية كبيرة لطاعة الأبناء (Kohn 1974) .

بعد استعراض أهم الاتجاهات والدراسات التي تناولت موضوع التنشئة الاجتماعية يمكننا القول أن النظرية الأساسية التي تستمد منها هذه الدراسة تساؤلاتها هي النظرية الثقافية المادية Cultural Materialism ، والتي تؤكد أن التغير في الجوانب المادية هو المحور الأساسي الموجه لثقافة المجتمع . وبما أن النظام الاقتصادي في المجتمع السعودي قد تعرض للتغير نتيجة لاكتشاف البترول ، فلابد وأن تتأثر النظمَ الاجتماعية الأخرى بهذا التغير . لذا فإنه يتوقع أن يحدث الكثير من التغير في

أساليب التنشئة الاجتماعية بين جيل الأمهات والجدات ، وهذا ما ستحاول هذه الدراسة التحقق منه .

التغيرات الاقتصادية والاجتماعية وأثرها على الأسرة السعودية

يعتبر اكتشاف البترول في المملكة العربية السعودية نقطة تحول في حياة هذا المجتمع الرعوي البسيط ، فقد كان غالبية سكان الجزيرة العربية قبل عام ١٩٣٨ يعملون في الرعي ، وفئة قليلة تعمل في الزراعة والتجارة . وكان اكتشاف أول حقل للبترول في المملكة هو بداية انتقالها من اقتصاد رعوي يعيش على حد الكفاف ، إلى اقتصاد يتميز بالوفرة ، ويعتمد على منتجات البترول كمصدر أساسي للدخل . وقد ترتب على اكتشاف البترول عدة تغيرات اقتصادية وتجارية وحضارية وعمرانية وصحية وتعليمية في فترة وجيزة من الوقت . والأسرة كجزء من هذا المجتمع تأثرت تأثراً كبيراً بهذه التغيرات المادية الملحوظة التي اجتاحت المجتمع السعودي . فالعديد من المدن الصناعية قد شيدت في مدينتي الجبيل وينبع وغيرها من مناطق المملكة ، والعديد من مصافي البترول أقيمت في الرياض والظهران وجدة وغيرها ، وأقيم العديد من الوزارات والمؤسسات الحكومية على أحدث طراز في مختلف أنحاء المملكة ، وشيد الكثير من المستشفيات والمستوصفات التي جهزت بأحدث الأجهزة الطبية في مختلف القرى والمدن ، وطورت شبكات المواصلات والطرق الجيدة ، حيث امتدت لتربط مختلف أنحاء المملكة في شريان واحد يربط الشرق بالغرب والشمال بالجنوب .

لذا فإن الأسرة كجزء من هذا المجتمع تأثرت بهذه التغيرات ، وأهم هذه التغيرات هي تغير شكل الأسرة من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية ، وتغير شكل الزواج من زواج داخلي إلى زواج خارجي ، وارتفع سن الزواج ، وارتفعت المهور ، وانتشرت العمالة الأجنبية المنزلية (ظاهرة الخدم) ، واستخدام الكثير من الأسر السعودية للأدوات التكنولوجية الحديثة ، وانتشار تعليم البنات ، وخروج المرأة إلى ميدان العمل ، وظهور العديد من الأعمال الإدارية والعسكرية والفنية والتجارية وغيرها للرجال ، مما أدى إلى انشغال الكثير من الرجال في الأعمال الحرة والأعمال التجارية من أجل كسب المزيد من المال ، وهذا مما زاد من أعباء المرأة وتحملها الكثير من مسؤوليات الأسرة خارج المنزل (Al Khateeb 1978) . وهذه التغيرات الاجتماعية المتعددة أثرت على الكثير من وظائف الأسرة ، فلم تعد الأسرة فقط هي المسؤولة عن تربية الأطفال ، بل أصبح هناك مؤسسات أخرى كالحضانة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام المختلفة تشارك في تربية الطفل وإعداده لدوره المستقبلي ، ولكن مازالت هناك وظائف أساسية تحتفظ بها الأسرة كالإشباع العاطفي والوجداني لأفرادها ، والتنشئة الاجتماعية للأطفال خاصة في الثلاث سنوات الأولى ، هذا إلى جانب الوظيفة البيولوجية التي تمد المجتمع بالأفراد وغيرها من وظائف .

وحتى هذه الوظائف التي مازالت الأسرة تحتفظ بها ، تأثرت طريقة أداء الأسرة لها بالتغيرات الاقتصادية التي اجتاحت المجتمع السعودي ، مثل استخدام بعض النساء لوسائل تحديد النسل ، ومشاركة العمالة الأجنبية المنزلية في تربية الأطفال . لذا حاولت هذه الدراسة معرفة مدى تأثر أساليب التنشئة الاجتماعية في المجتمع السعودي بالتغيرات الاقتصادية التي عمت المجتمع السعودي ، وذلك من خلال سؤال مجموعة من الأمهات والجدات عن اتجاهاتهن نحو التنشئة ، وكانت أهم نتائج هذه الدراسة هي :

الرضاعة

يعتبر الوليد البشري هو أكثر الكائنات الحية ضعفاً وأطولهم فترة حضانة ، فالطفل البشري يظل في فترة عجز لعدة سنوات ، في حين تستطيع بعض صغار الحيوانات الأخرى الاعتماد على نفسها بعد بضعة ساعات من ولادتها . وعملية الرضاعة من العمليات الهامة في حياة الطفل البشري ، فهي ليست مجرد عملية بيولوجية للحصول على الغذاء بل هي علاقة عاطفية وجدانية متبادلة بين الطفل وأمه . فطريقة رضاعة الأم لوليدها وحمله بين ذراعيها بحب وحنان تؤثر على نفسية الطفل وإحساسه بالأمان ، في حين أن إرضاع الطفل بشكل سريع وقلق يؤثر على نفسية الطفل وإحساسه بعدم الأمان ، فكما ذكرت ديبوا Du Bois أن طريقة إرضاع الأم لطفلها في مجتمع الألور وإظهارها العصبية والتعب أثناء عملية الرضاعة ، ومحاولة إنهاء الرضاعة بشكل سريع دون أي إظهار للحب والحنان يشعر الطفل بالقلق والعصبية الدائمة ويؤثر على علاقته بالجنس الآخر في المستقبل .

وتتأثر أساليب الرضاعة المتبعة في أي مجتمع بأنماط الثقافة السائدة في ذلك المجتمع ، وتؤكد هذه الدراسة ارتباط أساليب الرضاعة المتبعة في المجتمع السعودي بأنماط الثقافة السائدة فيه . ففي المجتمع السعودي التقليدي نجد أن أسلوب الرضاعة الشائع هو الرضاعة غير المنتظمة ، ذلك أن ٧٢,٥٪ من الجدات ذكرن أنهن استخدمن الرضاعة غير المنتظمة ، في حين ذكرت ٤١٪ فقط من جيل الأمهات أنهن يستخدمن هذه الطريقة في إرضاع الطفل ، وذلك قد يرجع إلى تواجد المرأة في المجتمع السعودي التقليدي بصفة مستمرة في المنزل ، إلى جانب عدم الاهتمام بعنصر الوقت في السابق ، مما يجعل الأم لا تلتزم بوقت محدد للرضاعة فهي تعطي الطفل الرضعة وقت حاجته (جدول رقم ١) .

كما أظهرت هذه الدراسة ارتفاع نسبة الرضاعة الطبيعية في الماضي عنها في الحاضر ، إذ ذكرت ٧٧٪ من الجدات أنهن استخدمن الرضاعة الطبيعية ، و ٢٠,٨٪ استخدمن الجمع بين الرضاعتين . في حين نجد أن ٢١,١٪ فقط من الأمهات استخدمن الرضاعة الطبيعية ، و ٥٠,٥٪ استخدمن الجمع بين الرضاعتين ، و ٢٨,٤٪ استخدمن الرضاعة الصناعية . وهذا يعني أن للطفرة الاقتصادية

جدول رقم (١) يوضح نوعية رضاعة الامهات والجدات

مجتمع الدراسة / المتغيرات	الأمهات		الجدات	
	العدد	٪	العدد	٪
رضاعة منتظمة	٥٠	٥٢,٦	١٨	١٩,٨
رضاعة غير منتظمة	٤١	٤٣,٢	٦٦	٧٢,٥
غير موضح	٤	٤,٤	٧	٧,٧
المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠

تأثير سلبي على أساليب الرضاعة المتبعة في المجتمع السعودي المعاصر ، فرغم أهمية الرضاعة الطبيعية من الناحية النفسية والاجتماعية للطفل ، إلا أن الكثير من الأمهات يعتمدن على الجمع بين الوضاعتين أو الرضاعة الصناعية . وقد يرجع ارتفاع نسبة الجمع بين الرضاعتين في الوقت الحالي إلى عدة عوامل أهمها : العامل الاقتصادي والمتمثل في الوفرة المادية ، وارتفاع متوسط دخل الفرد من جهة وانخفاض سعر الحليب الصناعي من جهة أخرى ، وتغير شكل الأسرة ، كما سبق وأن ذكرت ، من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية ، مما جعل المرأة في الوقت الحالي تعاني من العزلة الاجتماعية ، وهذا ما يدفعها إلى زيارة الأهل والأصدقاء بحثاً عن الصحبة ، خاصة في حالة انشغال الزوج بأعماله لفترات طويلة خارج المنزل ، هذا إلى جانب خروج المرأة للتعليم أو العمل . ومن الأسباب التي ذكرتها الأمهات لأسباب عدم الرضاعة من الثدي هي :

– « ما كان عندي حليب كافي وكان طفلي دائم الصياح فنصحني الدكتور بالاستعانة بالرضاعة الصناعية ، ومع الوقت اتعود ابني على اللبن الخارجي ورفض الثدي » .

– « صدري كان فيه تشققات ويؤلمني جداً عند الرضاعة فاضطريت أعطي له الرضاعة القارورة » .

– « ولدت قيصرية واضطريت أقعد في المستشفى عدة أيام ، وكان الممرضات يعطوا للطفل الحليب الصناعي فاتعود عليه ورفض صدري » .

– ابني رفض صدري وكان يصر على الرضاعة ، يمكن علشان لبني قليل ما يكفيه ، والقارورة كانت أسهل له » .

ونلاحظ من هذه العبارات أن معظم الأمهات يرجعن سبب عدم إرضاع أبنائهن رضاعة طبيعية إلى عدم توافر اللبن الكافي لديهن من جهة ، ولتوافر الرضاعة الصناعية وتفضيل الطفل لها من

جهة أخرى . ومن الطريف أن نذكر هنا أن معظم الجدات يتهمس الأمهات في الوقت الحالي بقلة حنانهن على الأبناء لذلك لا يتوافر اللبن لديهن « فالحنان » من وجهة نظر الجدات « يجيب اللبن ، والقسوة تقلل اللبن » . ولكن المرأة العاملة لها رأي آخر ، فهي ترى أن المرأة في الماضي كانت تحرص على الرضاعة الطبيعية لأنها الوظيفة الوحيدة والأساسية للمرأة ، أما المرأة في الوقت الحالي فلديها العديد من الاهتمامات والأعمال التي تجعلها غير متفرغة بصفة دائمة لعملية الرضاعة الطبيعية . ويمكننا القول أن وجود البدائل وتوافر اللبن الصناعي ساعد على انخفاض نسبة النساء اللاتي يعتمدن على الرضاعة الطبيعية ، وميل الكثير منهن إلى أسلوب الجمع بين الرضاعتين .

وقد أوضحت الدراسة ارتفاع نسبة الرضاعة الطبيعية في جيل الأمهات والجدات في الطفل الأول عنها في الطفل الثاني أو الثالث ، بمعنى أنه كلما زاد عدد الأطفال ، كلما ارتفعت نسبة الاعتماد على الرضاعة الصناعية (جدول رقم ٢) .

الفطام

يعتمد الطفل على الرضاعة ، سواء كانت رضاعة طبيعية أو صناعية ، اعتماداً كبيراً خاصة في الشهور الأولى من حياته ، ولكن مع مرور الوقت يزداد احتياج الطفل إلى مواد متنوعة من الغذاء ، وهنا يكون دور الأم في تدريب الطفل بشكل تدريجي للتعود على المواد الغذائية الأخرى التي تتناسب مع قدراته ، حتى يتم الاستغناء نهائياً عن الرضاعة . ولكن في الواقع يختلف سلوك الأمهات في تدريب أطفالهن على الفطام ، إذ أحياناً ما تلجأ الأمهات إلى الفطام المفاجىء والذي يترك خبرات قاسية ومؤلمة لدى الطفل ، في حين تلجأ بعض الأمهات إلى الفطام التدريجي والذي لا يترك أي آثار سلبية لدى الطفل (Sears 1957) . ويتأثر اختيار الأم لوقت الفطام وطريقة الفطام بالثقافة السائدة في المجتمع . وتشير نتائج هذه الدراسة إلى ميل الأمهات السعوديات إلى فطام الطفل في وقت مبكر عن وقت فطام الجدات ، وإن كانت هذه الفترة مقارنة بالدول الغربية تعتبر متأخرة نسبياً . إذ يلاحظ أن نسبة كبيرة من الأمهات ٤٢,١٪ أشرن إلى أن سن فطام الطفل هو من سنة إلى سنة ونصف . وأول سن ذكرته بعض الأمهات للفطام هو سن ستة أشهر ، وإن كانت نسبة اللاتي ذكرن ذلك ١١,٦٪ فقط من مجتمع الدراسة . كما أوضحت الدراسة أن أكبر نسبة من الأمهات يبدأن فطام الطفل من ٢١ إلى ٢٤ شهر . وقد أبدى بعض الأمهات تخوفهن من أن فطام الطفل قد يؤدي به إلى رفض اللبن بصفة عامة ، لذلك تفضل الكثير من الأمهات الاستمرار في عملية الرضاعة إلى أن يكون الطفل قادراً على الاستغناء عن الرضاعة ومن ثم استخدام الكوب في شرب اللبن بشكل جيد . وبمقارنة الأمهات بالجدات نلاحظ عدم وجود اختلاف كبير بينهما ، إذ ذكرت ٤٧,٤٪ من الجدات أنهن يفطمن الطفل في سن ٢٧ شهر ، أي ما يقرب من سنتين وربع تقريباً . فالاختلاف بين الأمهات والجدات ليس كبيراً كما هو متوقع .

جدول رقم (٢) يوضح طريقة رضاعة الأمهات والجدات لأطفالهن حسب ترتيب الطفل

ترتيب الطفل	مجتمع الدراسة / طريقة الرضاعة	الأمهات العدد	الأمهات ٪	الجدات العدد	الجدات ٪
الطفل الأول	رضاعة طبيعية	٢٠	٢١,١	٧٠	٧٧,٠
	رضاعة صناعية	٢٧	٢٨,٤	٢	٢,٢
	الجمع بين الرضاعتين	٤٨	٥٠,٥	١٩	٢٠,٨
	المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠
الطفل الثاني	رضاعة طبيعية	١١	١١,٦	٦٧	٧٣,٦
	رضاعة صناعية	٢٢	٢٣,٢	٣	٣,٣
	الجمع بين الرضاعتين	٣٧	٣٨,٩	٢٠	٢٢,٠
	غير موضح	٣٧	٣٨,٩	١	١,١
	لا ينطبق*	٢٤	٢٥,٣	—	—
	المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠
الطفل الثالث	رضاعة طبيعية	٤	٤,٢	٦٧	٧٣,٦
	رضاعة صناعية	١٠	١٠,٥	٤	٤,٤
	الجمع بين الرضاعتين	٢٩	٣٠,٥	١٩	٢٠,٩
	غير موضح	١	١,١	١	١,١
	لا ينطبق	٥١	٥٣,٧	—	—
	المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠
الطفل الرابع	رضاعة طبيعية	٤	٤,٤	٦٠	٦٥,٩
	رضاعة صناعية	٣	٣,٣	١	١,١
	الجمع بين الرضاعتين	١٣	١٣,٥	٢٤	٢٦,٤
	غير موضح	١	١,١	٦	٦,٦
	لا ينطبق	٧٤	٧٧,٧	—	—
	المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	٩٥

* لا ينطبق تعني أن ٢٤ من الأمهات في مجتمع الدراسة ليس لديهن سوى طفل واحد

ويختلف أسلوب الأمهات في فطام الطفل من مجتمع إلى آخر ، كما قد يختلف في المجتمع الواحد من وقت إلى آخر . إلا أننا نلاحظ أن الأسلوب الشائع والمفضل بين الأمهات والجدات على حد سواء هو الفطام التدريجي (جدول رقم ٤) الذي يوضح أن نسبة ٦١,١٪ من الأمهات و ٦٤,٨٪ من الجدات استخدمن الفطام التدريجي ، وهناك طريقة أخرى للفطام تستخدمها بعض الأمهات هي الفطام التلقائي ، إذ استخدمت ٣١,٦٪ من الأمهات و ١٣,٢٪ من الجدات هذا النوع من الفطام ، والذي يتم فيه فطام الطفل بشكل عفوي دون أي تدخل من الأم لمنع الرضاعة ، ولكن يمتنع الطفل من تلقاء نفسه عن الرضاعة لعدم احتياجه لها ، ولاعتماده على الأكل الخارجي لدرجة كبيرة تساعده على الاستغناء عن الرضاعة .

جدول رقم (٣) يوضح فترة رضاعة الامهات والجدات لأطفالهن

مجتمع الدراسة / المتغيرات	الأمهات		الجدات	
	العدد	٪	العدد	٪
أقل من سنة	٣٥	٣٦,٨	٢٢	٢٤,٢
١ – $\frac{1}{2}$ ١ سنة	٤٠	٤٢,١	٢٤	٢٦,٤
$\frac{1}{2}$ ١ – ٢ سنة	٢٩	٢٠,٠	٤٠	٤٤,٠
٢ سنة فأكثر	١	١,١	٤	٤,٤
غير موضح	—	—	١	١,١
المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠

جدول رقم (٤) يوضح طريقة فطام الأمهات والجدات لأطفالهن

مجتمع الدراسة / المتغيرات	الأمهات		الجدات	
	العدد	٪	العدد	٪
فجائية	٦	٦,٣	١٨	١٩,٨
بالتدريج	٥٨	٦١,١	٥٩	٦٤,٨
تلقائية	٣٠	٣١,٦	١٢	١٣,٢
غير موضح	١	١,١	٢	٢,٢
المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠

ويلاحظ ارتفاع نسبة الفطام الفجائي في الماضي عنها في الحاضر ، فنجد أن نسبة ١٩,٨٪ من الجدات استخدمن أسلوب الفطام الفجائي ، والذي تقوم فيه المرأة بوضع مادة الصبار أو المر أو الحناء أو بعض الشعر على الثدي حتى ينفر الطفل منه ، في حين لم تستخدم سوى ٦,٣٪ فقط من الأمهات هذه الطريقة ، وذلك قد يرجع إلى انتشار بعض المفاهيم التربوية الحديثة بين الأمهات ، حيث إن معظم الأمهات في هذه الدراسة حاصلات على التعليم الجامعي .

ويعتبر قرار الفطام من القرارات الخاصة بالمرأة بصفة عامة ، فنجد أن نسبة ٧١,٦٪ من الأمهات و ٧٨٪ من الجدات اتخذن قرار الفطام بمفردهن ، ولكن يلاحظ ارتفاع نسبة مشاركة الزوج في هذا القرار بين الأمهات عنها بين الجدات ، إذ أوضحت الدراسة أن نسبة ٢٥,١٪ من الأزواج شاركوا زوجاتهم في هذا القرار بين الأمهات ، في حين كانت مشاركة الزوج في هذا القرار قليلة جداً في الماضي .

القماط

تختلف عادات الشعوب الخاصة بالتنشئة الاجتماعية من مجتمع إلى آخر ، كما يختلف لباس الطفل من مكان إلى آخر . ومن العادات السائدة في المجتمع السعودي عادة قماط الطفل ، والقماط هو قطعة قماش رفيعة وطويلة تلف حول الطفل بشكل حلزوني يمتد من الذراعين إلى الرجلين ، ويعتقد أن القماط يجعل جسم الطفل صلباً معتدلاً ، ويساعده على النوم لساعات طويلة ، لإن ترك ذراعي الطفل حرة ، من وجهة نظر الأمهات ، تجعل الطفل يستيقظ عدة مرات أثناء النوم ، ويجعل جسمه رخواً طرياً في المستقبل . وعادة القماط ليست خاصة بالمجتمع السعودي فحسب ، بل هناك العديد من الشعوب الأخرى في دول الخليج العربي ، وبعض القبائل الأفريقية ، والاتحاد السوفيتي (سابقاً) تستعمل القماط . ويرتبط بعادة القماط لباس آخر يطلق عليه المجتمع السعودي اسم « المهاد » وهو عبارة عن قطعة قماش مربعة كبيرة ، تثنى على شكل مثلث يوضع بها الطفل ، ويلف بشكل جيد يحفظ يديه ورجليه من الحركة أثناء النوم . والقماط عادة ما يستخدم وقت النوم في الثلاث شهور الأولى ، في حين أن المهاد يستخدم حتى نهاية السنة الأولى .

وتشير نتائج هذه الدراسة إلى أن عادة القماط كانت شائعة لدى الجدات ٩٢,٣٪ من مجتمع الدراسة ، أما في الوقت الحالي فإنها انخفضت بشكل كبير وأصبحت نسبة كبيرة من الأمهات ٧٦,٨٪ يستخدمن المهاد فقط ، ويلاحظ أن نسبة ٢٢,١٪ من الأمهات في الوقت الحالي لا يستخدمن القماط أو المهاد للطفل ويفضلن ترك الطفل على حريته أثناء النوم ، وذلك يرجع لتأثرهن بالمبادىء التربوية الحديثة .

الإخراج

من المواقف الهامة في حياة الطفل هي عملية تدريب الطفل على عادات النظافة واستخدام دورة المياه للتخلص من الفضلات . وعملية الإخراج من المواقف الهامة والصعبة في حياة الطفل لأنها تتضمن تعويد الطفل على موقف يخالف الفطرة الطبيعية للكائنات الحية . فالوضع الطبيعي للكائن الحي أن يتخلص من الفضلات وقتما يريد ، بمعنى أنها عملية بيولوجية يقوم بها الكائن الحي بشكل تلقائي . ولكن الوضع بالنسبة للإنسان يختلف ، فهو بوصفه عضواً في جماعة يخضع لعادات الجماعة فيما يتعلق بالنظافة ، فالعملية بالنسبة للإنسان أصبحت عملية ثقافية ، ويختلف سن التدريب على النظافة ، وطريقة التعويد على النظافة من مجتمع إلى آخر . وتشير نتائج الدراسة إلى ميل الجدات إلى تدريب أطفالهن على النظافة في سن مبكر عن الأمهات في الوقت الحالي ، فنجد أن نسبة ٢٤,٢٪ من الجدات أي ما يعادل ربع مجتمع الدراسة بدأن تعويد أطفالهن على الإخراج قبل اتمام السنة الأولى من عمر الطفل ، في حين نجد أن نسبة ١٣,٧٪ من الأمهات بدأن تدريب أطفالهن في هذا السن . كما نلاحظ أن نسبة كبيرة من الأمهات ٧٠,٥٪ تميل إلى تأخير فترة تدريب الطفل على الإخراج في السنة الثانية من عمر الطفل ، في حين نجد أن نسبة ٥٧,١٪ من الجدات بدأن تدريب أطفالهن في هذا السن (جدول رقم ٥) وقد يرجع اختلاف الأمهات عن الجدات في تعويد الأطفال على عادات النظافة إلى توافر الحفائض الجاهزة واعتدال ثمنها وسهولة استعمالها بحيث أصبحت في متناول الجميع . أما في الماضي ، فنتيجة لاستخدام الأمهات لحفائض من القماش ، واضطرار المرأة إلى غسلها عدة مرات في اليوم بطريقة يدوية ، أدى إلى تدريب الكثير من الأمهات لأطفالهن على الإخراج في سن مبكر للتخفيف من أعبائها المنزلية .

جدول رقم (٥) يوضح متى بدأت الأمهات والجدات تدريب أطفالهن على الإخراج

مجتمع الدراسة / المتغيرات	الأمهات		الجدات	
	العدد	٪	العدد	٪
أقل من سنة	١٣	١٣,٧	٢٢	٢٤,٢
أقل من سنتين	٦٧	٧٠,٥	٥٢	٥٧,١
أقل من ثلاث سنوات	١٣	١٣,٧	١١	١٢,١
ثلاث سنوات فأكثر	٢	٢,١	٤	٤,٤
غير موضح	—	—	٢	٢,٢
المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠

ويختلف أسلوب الأمهات عن الجدات في طريقة تدريب الطفل على النظافة ، ففي الوقت الذي نجد فيه أن نسبة ٨٣,٢٪ من الأمهات يستخدمن النصح والإرشاد ، نجد أن نسبة أقل ٦٣,٧٪ من الجدات يستخدمن هذه الطريقة . كم يلاحظ ارتفاع نسبة التهديد بالضرب بين الجدات عنها بين الأمهات ، إذ نجد أن نسبية ١٢,١٪ من الجدات استخدمن هذا الأسلوب لتدريب الطفل على النظافة مقابل ٢,١٪ من الأمهات استخدمن هذا الأسلوب . ونجد أن أسلوب العقاب البدني كوسيلة للتدريب على النظافة غير موجود لدى الأمهات في حين نجد أن نسبة ٣,٣٪ ذكرن هذا الأسلوب من الجدات . ولكن رغم هذا الاختلاف بين الأمهات والجدات ، إلا أن الفارق يعتبر فارق في الدرجة وليس في النوعية ، فالاختلاف بينهما ليس اختلافاً جذرياً بل هو اختلاف بسيط في الدرجة يرجع إلى اختلاف الظروف المادية وانتشار بعض المبادىء التربوية الحديثة بين الأمهات ، وأعتقد أنه من الضرورة الإشارة هنا إلى أن الكثير من الجدات مازلن يساهمن بشكل مباشر أو غير مباشر في تربية أحفادهن . ورغم تعلم الكثير من الأمهات ، إلا أن الكثير منهن مازلن يستخدمن نفس الأساليب التي تربين عليها ، فقد ذكرت إحدى الطبيبات في المقابلة التي أجريت معها إلى أنها مازالت تستخدم الحفائض من القماش في الثلاث شهور الأولى ، رغم توافر الحفائض الجاهزة في الأسواق ، لاعتقادها بأنها أفضل وأرق لجسم الطفل . وهذا ما يجعلنا نلاحظ الكثير من التشابه بين الأمهات والجدات في أسلوب تنشئة الطفل . وبصفة عامة يمكننا القول أن أسلوب الأمهات والجدات في المجتمع السعودي لا يميل إلى القسوة أو الشدة في المعاملة ، بل هناك الكثير من المرونة في سن التدريب وطريقة التدريب على النظافة (جدول رقم ٦) .

جدول رقم (٦) يوضح طريقة تدريب الأمهات والجدات لأطفالهن على الإخراج

مجتمع الدراسة / المتغيرات	الأمهات		الجدات	
	العدد	٪	العدد	٪
– النصح والإرشاد	٧٩	٨٣,٢	٥٨	٦٣,٧
– التوبيخ والتأنيب	٦	٦,٣	٧	٧,٧
– التهديد بالضرب	٢	٢,٢	١١	١٢,١
– العقاب البدني	—	—	٣	٣,٣
– أتركه ينظف لوحده	١	١,١	١	١,١
– أكثر من طريقة	٥	٥,٣	٩	٩,٩
– غير واضح	٢	٢,٢	٢	٢,٢
المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠

النوم

اعتاد الإنسان منذ بدأ الخليقة على العمل نهاراً والنوم ليلاً ، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا ﴾ (سورة النبأ ، أية ١٠ ، ١١) . وهكذا أصبح النهار هو وقت العمل والجد وطلب الرزق ، وأصبح الليل هو وقت الراحة والهدوء والخلود إلى النوم . وتختلف حاجة الإنسان إلى النوم من مرحلة عمرية إلى أخرى ، فالطفل الصغير يحتاج إلى فترات طويلة من النوم لبناء جسمه ، وكلما تقدم الإنسان في العمر كلما احتاج إلى ساعات نوم أقل . ويختلف موقف الأمهات في تحديد موعد نوم الأطفال ، وطريقة التدريب على النوم من ثقافة إلى أخرى ، فبعض الأمهات يحددن موعد ثابت لنوم الطفل ، وبعض الأمهات يتركن الطفل ينام وقتما يريد ، كما أن بعض الأمهات يدربن أطفالهن على النوم في موقف محدد بطريقة حازمة صارمة وقد يلجأن إلى الضرب ، في حين قد يلجأ بعض الأمهات إلى تهيئة الجو المناسب للنوم ، ويستخدمن قراءة بعض القصص قبل النوم للتعويد على النوم ، وهكذا تختلف هذه الأساليب باختلاف المعتقدات والقيم التي يؤمن بها الفرد .

وتشير نتائج هذه الدراسة إلى ميل الأمهات إلى تحديد ميعاد ثابت للنوم أكثر من الجدات ، ذلك أن أهم ما يميز أسلوب الجدات هو التساهل وعدم تحديد مواعيد ثابته للنوم ، فنجد أن نسبة كبيرة من الجدات ٥٨,٢٪ لا يتبعن وقت محدد لنوم الطفل ، فهن يعتقدن أن النوم عملية تلقائية فالطفل سينام وقت حاجته للنوم ، وليس هناك ما يدعوا إلى إرغامه على النوم في وقت محدد . ولكن نلاحظ أن نسبة كبيرة من الأمهات لا يوافقن أمهاتهن على هذا الرأى ، إذ تميل ٧٣,٦٪ من الأمهات إلى تحديد مواعيد النوم للطفل وذلك لوعيهن بأهمية النوم بالنسبة للطفل ولتنظيم البرنامج اليومي للأسرة . وينبغي الإشارة هنا إلى أن وجهة النظر هذه لا تمثل رأي جميع الأمهات ، إذ نجد أن نسبة ٢٤,٢٪ من الأمهات لا يلتزمن بتحديد ميعاد ثابت لنوم الطفل ، إذ يؤكد هؤلاء آراء الجدات بأن الطفل سينام وقت حاجته إلى النوم ، وهن يفضلن عدم نوم الطفل في سن ما قبل المدرسة مبكراً حتى لا يستيقظ مبكراً ويجلس مع المربية فترة طويلة . ففي أيام العمل تفضل الأم نوم الطفل في وقت متأخر حتى يستيقظ في وقت متأخر أيضاً ، وفي أيام العطلات تفضل الأم نوم الطفل معها واستيقاظه معها حتى لا يزعجها عند الاستيقاظ مبكراً (جدول رقم ٧) .

ويختلف أسلوب الأمهات في تدريب أطفالهن على عادات النوم ، ولكن بصفة عامة يمكننا القول أن أهم ما يميز أسلوب الأمهات والجدات هو عدم استخدام القسوة والعنف ، فنجد أن نسبة كبيرة من الأمهات ٧٤,٧٪ يستخدمن أسلوب تهيئة الجو المناسب للنوم ، بتغيير ملابس النوم ، ومنع الضجيج ، وتخفيض الإنارة في الغرفة واستخدام قصة قبل النوم لمساعدة الطفل على النوم . في حين نجد أن أكثر أسلوبين استخدما من الجدات هو ترك الطفل ينام وقتما يريد ، وتهيئة الجو المناسب

للنوم (جدول رقم ٨) . ونلاحظ انخفاض نسبة العقاب البدني بين الأمهات والجدات بصفة عامة ، وإن كانت نسبة اللاتي استخدمن الضرب بين الجدات أعلى منها بين الأمهات ، فنجد أن نسبة الأمهات اللاتي استخدمن الضرب هي ٣,٣٪ ، في حين كانت نسبة الجدات اللاتي استخدمن الضرب ٦,٦٪ ، وهذا يوضح ارتفاع مستوى الوعى بين الأمهات وعدم اعتقادهن بأسلوب الضرب كوسيلة جيدة للتربية .

جدول رقم (٧) يوضح هل هناك وقت محدد لنوم الطفل لدى الأمهات أو الجدات

مجتمع الدراسة / المتغيرات	الأمهات		الجدات	
	العدد	٪	العدد	٪
نعم	٧٠	٧٣,٦	٣٦	٣٩,٦
لا	٢٣	٢٤,٢	٥٣	٥٨,٢
غير موضح	٢	٢,٢	٢	٢,٢
المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠

جدول رقم (٨) يوضح طريقة تعويد الأم لطفلها على النوم

مجتمع الدراسة / المتغيرات	الأمهات		الجدات	
	العدد	٪	العدد	٪
– الضرب	٣	٣,٣	٦	٦,٦
– التهديد والتخويف	٨	٨,٤	١٣	١٤,٣
– تهيئة الجو المناسب للنوم	٧١	٧٤,٧	٣٣	٣٦,٣
– ترك الطفل ينام وقتما يريد	١٠	١٠,٥	٣٤	٣٧,٤
– غير واضح	٣	٣,٣	٥	٥,٤
المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠

العدوان

تختلف أساليب الناس في إظهار العدوان بين الكلمة النابية إلى استخدام العنف والشدة ، ويختلف الأفراد في طريقة إظهارهم لهذا العدوان ، فبعض الأفراد يصحبون عدوانهم بابتسامة ،

وبعضهم يصحبون عدوانهم بالثورة والغضب . والعدوان أشكال ، فالعدوان قد يكون بالقول ، أو قد يكون بالفعل والعمل . وتلقينا للعدوان يختلف من شخص إلى آخر ، كما أن درجة تحملنا للألم تختلف من فرد إلى آخر ، فهناك كلمات تكون أشد ألماً وإيذاء للنفس من الضرب لدى بعض الأفراد ، في حين أن الكلمات النابية والإيذاء قد لا يحرك ساكناً لدى البعض الآخر . والعدوان قد يكون موجه داخل الأسرة للأخوة ، أو لخارج الأسرة للأصدقاء أو الجيران . ويختلف موقف الآباء من عدوان الأبناء ، فبعض الآباء يقابلون عدوان الأبناء بالضرب أو الحبس ، وبعض الآباء يقابلون عدوان الأبناء بعدم الاكتراث بل التشجيع أحياناً دليل القوة والرجولة .

وتشير نتائج الدراسة إلى اختلاف مواقف الأمهات من العدوان فنجد أن نسبية كبيرة من الأمهات ٣٨,٩٪ يستخدمن أكثر من طريقة عند عدوان الطفل على إخوته ، إذ ذكرت الكثير من الأمهات إلى أن نوعية العقاب تختلف باختلاف فعل الطفل ، فهن لا يتبعن أسلوب واحد في جميع المواقف ، فإيذاء الطفل لأخيه بالضرب ، يختلف عن إيذائه بالكلمة ، ويختلف عن إيذائه بأخذ لعبته ، لذلك فإن أسلوب الأمهات يختلف كذلك ، وأحياناً تلجأ الأم إلى أكثر من وسيلة في الموقف الواحد يبدأ بالنصح والإرشاد وقد ينتهي إلى الضرب إذا استدعى الأمر . ثم يأتي في المرتبة الثانية أسلوب النصح والإرشاد كوسيلة لتقويم سلوك الطفل ، ويلاحظ أن أقل المواقف استخداماً من الأمهات هو الحرمان وعدم التدخل بين الأخوة ٢,١٪ ، ثم الضرب إذ تستخدم ٤,٢٪ من الأمهات الضرب على المعتدي كوسيلة لفض النزاع (جدول رقم ٩) . أما الجدات فيلاحظ أن أسلوب النصح والإرشاد يحتل المركز الأول ، يليه أسلوب العقاب البدني ٢٠,٩٪ ، ثم استخدام أكثر من طريقة باختلاف الموقف ، ثم استخدام التهديد والتخويف ١٤,٣٪ ، ويلاحظ أن أقل الأساليب استخداماً لدى الجدات هو أسلوب الحرمان .

وبمقارنة مواقف الأمهات والجدات في حالة العدوان على الإخوة ، أو العدوان على الأصدقاء أو الجيران ، يلاحظ عدم وجود اختلافاً كبيراً بينهما (جدول رقم ٩ و ١٠) إذ يحتل أسلوب استخدام أكثر من طريقة المرتبة الأولى ، ثم يحتل النصح والإرشاد المرتبة الثانية ، فنجد أن نسبة الأمهات اللاتي يستخدمن هذا الأسلوب ٣٤,٧٪ ومن الجدات ١٧,٦٪ ، وأهم الاختلافات التي يمكن ملاحظتها في مواقف الأمهات والجدات في حالة العدوان على الأخوة أو على الأصدقاء هي : عدم لجوء الأم في جيل الأمهات إلى العقاب البدني في حالة اعتداء ابنها على الأصدقاء أو الجيران ، في حين استخدمت بعض الأمهات هذا الأسلوب في حالة النزاع بين الأخوة . كما نلاحظ انخفاض نسبة الجدات اللاتي لجأن إلى الضرب في حالة الاعتداء على أبناء الجيران ، فقد لجأت ٢٠,٩٪ من الجدات إلى هذا الأسلوب في حالة الاعتداء على الأخوة ، في حين انخفضت هذه النسبة إلى ١٣,٢٪ في حالة الاعتداء على الأصدقاء أو الجيران . كما يلاحظ ارتفاع نسبة عدم التدخل في حالة الاعتداء على

الجيران ، فقد ذكرت نسبة ٧,٧٪ من الجدات استخدام هذا الأسلوب في حالة اعتداء أحد الأبناء على إخوته ، في حين ارتفعت هذه النسبة إلى ١٥,٤٪ في حالة الاعتداء على الجيران .

جدول رقم (٩) يوضح طريقة الأم في حالة عدوان الطفل على الإخوة

مجتمع الدراسة / المتغيرات	الأمهات		الجدات	
	العدد	٪	العدد	٪
– عدم التدخل	٢	٢,١	٧	٧,٧
– النصح والإرشاد	٢٧	٢٨,٤	٢٢	٢٤,٢
– الاعتذار للمضروب	١١	١١,٦	٧	٧,٧
– العقاب البدني على المعتدي	٤	٤,٢	١٩	٢٠,٩
– التهديد والتخويف	٤	٤,٢	١٣	١٤,٣
– أكثر من طريقة	٣٧	٣٨,٩	١٦	١٧,٦
– غير موضح	٨	٨,٤	٦	٦,٦
المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠

جدول رقم (١٠) يوضح طريقة الأم في حالة عدوان الطفل على الأصدقاء أو الجيران

مجتمع الدراسة / المتغيرات	الأمهات		الجدات	
	العدد	٪	العدد	٪
– عدم التدخل	٣	٣,٢	١٤	١٥,٤
– النصح والإرشاد	٣٣	٣٤,٧	١٦	١٧,٦
– الاعتذار للمضروب	١٥	١٥,٨	١٣	١٤,٣
–الحرمان	١	١,١	٣	٣,٢
– العقاب البدني	—	—	١٢	١٣,٢
– التهديد والتخويف	٣	٣,٢	٧	٧,٧
– أكثر من طريقة	٣٦	٣٧,٩	٢٢	٢٤,٢
– غير موضح	٤	٤,٢	٤	٤,٢
المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠

وهذه المواقف توضح اهتمام الأم بمفهوم التضامن الأسري أكثر من اهتمامها بمفهوم الجيرة أو الصداقة ، فالأم تحرص كل الحرص على تدعيم أواصر المحبة والتضامن بين الأخوة ، في حين تعطي اهتماماً أقل للجيرة أو الصداقة . ولكن هذا لايعني عدم اهتمام الأمهات أو الجدات بمشاعر الآخرين ، ولكن تعطي الأم الأولوية للأسرة وعلاقاتها الداخلية ، والدليل على ذلك ارتفاع نسبة أسلوب الاعتذار للمضروب بين الأمهات والجدات على حد سواء ، فقد كانت نسبة الأمهات اللاتي استخدمن هذا الأسلوب بين الأخوة ١١,٦٪ وأصبح ١٥,٨٪ في حالة العدوان على الأصدقاء ، وكانت نسبة الجدات اللاتي ذكرن هذا الأسلوب في حالة الأخوة ٧,٧٪ ، وأصبح ١٤,٣ في حالة الأصدقاء .

الفروق بين الجنسين

تلعب الأسرة دوراً هاماً في تعليم الطفل لأدواره الاجتماعية من خلال تفاعله مع الآخرين ، فالأسرة هي البوتقة الأولى التي يتعلم فيها الأطفال من الجنسين أدوارهم المستقبلية ، فهي التي تحدد للطفلة كيف تتصرف كأنثى أولاً ، وزوجة وأم ثانياً ، وهي التي تحدد للطفل كيف يتصرف كذكر أولاً ، وزوج وأب ثانياً . ويختلف أسلوب تعامل الوالدين لأبنائهما باختلاف نظرتهما لكلا الجنسين ، ودرجة تفضيل أي منهما . وتشير نتائج هذه الدراسة إلى تفضيل معظم الأمهات والجدات إلى أن يكون لديهما أبناء من الجنسين ، إذ ذكرت ٩٢,٨٪ من الأمهات و ٧٨٪ من الجدات تفضيل أبناء من الجنسين . إلا أنه يلاحظ تفضيل الجدات للأبناء الذكور عن الإناث ، فنجد أن نسبة ١٣,٢٪ من الجدات أعربن عن تفضيلهن لإنجاب الأبناء الذكور فقط ، في حين ذكرت ٦,٦٪ من الأمهات هذا الرأي . كما يلاحظ بصفة عامة انخفاض نسبة الأمهات والجدات اللاتي يفضلن إنجاب الإناث فقط ، فقد ذكرت ١,١٪ فقط من الجدات تأييد هذا الرأي ، في حين ذكرت ٦,٦٪ من الأمهات تأييد هذا الرأي ، وهذا يعني أن هناك تحسنا طفيفا في النظرة إلى المرأة في الوقت الحالي (جدول رقم ١١) .

كما يلاحظ بصفة عامة تفضيل الأزواج إنجاب الأبناء الذكور عن الإناث . فقد ذكرت ١٨,٩٪ من الأمهات و ٢٥,٣٪ من الجدات تفضيل أزواجهن إنجاب الذكور فقط ، في الوقت الذي نجد فيه أن نسبة ٣,٣٪ من الأمهات و ٣,٣٪ من الجدات ذكرن أن أزواجهن يفضلن إنجاب الإناث فقط ، وهي نسبة ضئيلة للغاية مقارنة بنسبة تفضيل الأبناء الذكور ، وهذا التفضيل للذكور قد يرجع لنظام النسب الأبوي السائد في المجتمع السعودي ، كما أن طبيعة المجتمع السعودي والفرص المتاحة أمام الرجل في التعليم والعمل والحركة تجعل فرصة نجاحه في الحياة أكبر ، وهذا ما يجعل النظرة للمرأة مازالت متحفظة لدى الكثير من الأسر السعودية (جدول رقم ١٢) .

جدول رقم (١١) يوضح تفضيل الأمهات والجدات لنوعية الطفل

مجتمع الدراسة / المتغيرات	الأمهات		الجدات	
	العدد	٪	العدد	٪
ذكور	٦	٦,٣	١٢	١٣,٢
إناث	١	١,١	٦	٦,٦
الاثنان معا	٨٨	٩٢,٨	٧١	٧٨,٠
غير مبين	—	—	٢	٢,٢
المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠

جدول رقم (١٢) يوضح تفضيل الأزواج لنوعية الطفل المولود

مجتمع الدراسة / المتغيرات	الأمهات		الجدات	
	العدد	٪	العدد	٪
- ذكور	١٨	١٨,٩	٢٣	٢٥,٣
- إناث	٣	٣,٣	٣	٣,٣
- الاثنان معا	٧٣	٧٦,٨	٥٩	٦٤,٨
- غير موضح	١	١,١	٦	٦,٦
المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠

أما فيما يتعلق بأسلوب التعامل مع الجنسين ، فيلاحظ أن طبيعة المجتمع السعودي تعطي للطفل الذكر فرص أفضل للاحتكاك بالعالم الخارجي لتوسيع مداركه وخبراته ، فالطفل الصغير يشجع منذ نعومة أظافره على مصاحبة والده إلى زيارة الأصدقاء والمسجد والأسواق ، في حين تحدد حركة الطفلة في حدود أسرتها وأقربائها ، وهذا الاختلاف في الفرص يؤثر على خبرات كلا الجنسين ، وعلى نظرتهما لأنفسهما ، وعلى نظرتهما للجنس الآخر . ورغم هذا الاختلاف في الفرص المتاحة للجنسين إلا أننا نلاحظ عدم وجود اختلاف في أسلوب عقاب الأمهات للأبناء من الجنسين ، إذ نجد أن نسبة ٨٣,١٪ من الأمهات و ٧٣,٦٪ من الجدات ذكرن أنهن لا يفرقن في

أسلوب عقاب البنت أو الولد ، فالمخطىء ينال جزاؤه سواء أكان ذكر أم أنثى . إلا أن هذا الرأي لا يعبر عن وجهة نظر الجميع ، إذ نجد أن نسبة ٢٣,١٪ من الجدات و ١٣,٧٪ من الأمهات ، ذكرن أنهن يفرقن في أسلوب عقاب البنت عن الولد ، فالولد يأخذ عقاباً أكثر لأنه ولد شديد البنية ، وأقدر على التحمل ، في حين أشارت بعض الأمهات والجدات أن عقاب الابن أقل نظراً لمكانته في الأسرة ، وعدم الرغبة في تحطيم شخصيته وهيبته في الأسرة (جدول رقم ١٣) ، وهكذا نلاحظ أن هناك الكثير من التشابه بين الأمهات والجدات في النظرة إلى الجنسين ، فرغم التغيرات المادية الهائلة التي اجتاحت المجتمع السعودي ، إلا أن نظرة الوالدين إلى الجنسين مازالت كما هي ، وإن كانت هناك بعض التغيرات الطفيفة في النظرة إلى المرأة ، إلا أن هذا التغير لم يكن بنفس سرعة التغيرات المادية .

جدول رقم (١٣) يوضح هل هناك اختلافا بين عقاب البنت أو الولد ؟

مجتمع الدراسة / المتغيرات	الأمهات		الجدات	
	العدد	٪	العدد	٪
نعم	١٣	١٣,٧	٢١	٢٣,٢
لا	٧٩	٨٣,١	٦٧	٧٣,٦
غير موضح	٣	٣,٢	٣	٣,٢
المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠

التأديب

يقوم الطفل بالتعبير عن احتياجاته ورغباته بشكل تلقائي ، فهو يلجأ إلى البكاء للتعبير عن الجوع أو عدم الارتياح ، ويلجأ إلى الضحك للتعبير عن السعادة والغبطة . ولكن أحياناً يقوم الطفل ببعض أنماط السلوك غير المقبولة اجتماعياً كاللعب بالتحف التي تزين المنزل ، والكتابة على الجدران ، والصياح بصوت مرتفع ، وإلقاء الطعام على السجاد ، وغيرها من أنماط السلوك التي قد لا تلقى قبولاً أو استحساناً من الوالدين . وتختلف ردود فعل الآباء تجاه هذه التصرفات من الأبناء ، فبعض الآباء يلجأ إلى العنف واستخدام العقاب البدني كوسيلة لتعريف الطفل بخطئه ، في حين يلجأ آباء آخرون إلى النصح والإرشاد كوسيلة لتقويم سلوك الطفل .

وتشير نتائج الدراسة إلى أن الأسلوب المفضل لدى الأمهات هو النصح والإرشاد ٣٧,٩٪ ، ثم استخدام الأم لأكثر من طريقة في الموقف الواحد وفقاً لاختلاف الفعل ٣٦,٨٪ ، ثم تلجأ الأم إلى

التوبيخ والتأنيب ويحتل ذلك المركز الثالث ١١,٦٪ . أما بالنسبة للجدات فإن الوضع يختلف ، فنجد أن استخدام أكثر من طريقة احتلت المركز الأول ٢٧,٥٪ ، يليه النصح والإرشاد في المركز الثاني ٢٠,٩٪ ، ثم التهديد بالعقاب وتحتل المركز الثالث ١٧,٦٪ (جدول رقم ١٤) . ولكن بصفة عامة يلاحظ ارتفاع نسبة الشدة والصرامة في حالة التأديب بين الجدات عنها بين الأمهات ، ذلك أن نسبة الأمهات اللاتي ذكرن العقاب البدني في حالة التأديب كانت ٣,٢٪ بين الأمهات ، و ١٣,٢٪ بين الجدات أي حوالي أربعة أضعافها بين الأمهات ، كما أوضحت الدراسة أن نسبة الأمهات اللاتي لجأن إلى التهديد بالعقاب كانت ٥,٣٪ بين الأمهات ، و ١٧,٦٪ بين الجدات ، وهذا الاختلاف في أسلوب تأديب كل من الأمهات والجدات لأبنائهن ، وميل الجدات إلى الصرامة أكثر من الأمهات قد يرجع إلى عدة عوامل أهمها : اختلاف شكل الأسرة ، فالنمط الشائع للأسرة في السابق هو الأسرة الممتدة ، لذلك كانت الأم أكثر حرصاً على تأديب أطفالها بشكل صارم حتى يكون سلوكهم مقبول اجتماعياً ، فلا تلقى أي نقد أو تأنيب من الأقارب عن تربية أبنائها ، أما الآن فالنمط السائد للأسرة هو الأسرة النووية ، مما يجعل الأم أكثر تساهلاً في تربية الأبناء ، كما أن انتشار التعليم والوعي بين الأمهات يجعل الكثير من الأمهات لا يحبذن استخدام الضرب كوسيلة للتأديب .

جدول رقم (١٤) يوضح طريقة تأديب الأمهات والجدات لأطفالهن

مجتمع الدراسة / المتغيرات	الأمهات		الجدات	
	العدد	٪	العدد	٪
– عقاب بدني	٣	٣,٢	١٢	١٣,٢
– تهديد بالعقاب	٥	٥,٣	١٦	١٧,٦
– توبيخ وتأنيب	١١	١١,٦	١٥	١٦,٥
– حرمان	٥	٥,٣	٢	٢,٢
– نصح وإرشاد	٣٦	٣٧,٩	١٩	٢٠,٩
– أكثر من طريقة	٣٥	٣٦,٨	٢٥	٢٧,٥
– غير موضح	—	—	٢	٢,٢
المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠

الرعاية

يلعب الوالدان دوراً هاماً في حياة الطفل ، خاصة في السنوات الأولى من حياته . ويرى كثير من علماء النفس والاجتماع أن الأم هي المسؤول الأول عن رعاية الطفل في الثلاث سنوات الأولى ،

ولكن بعد ذلك يصبح الوالدان معاً مهمان للطفل ، فالطفل يحتاج إلى والدين من الجنسين ، والد يقتدي به من نفس جنسه ، ووالد يستمد منه الحب والحنان (Lidz 1968) ، ولكن في الواقع نجد أن كثيراً من المجتمعات ترى أن مسؤولية الأبناء في مختلف المراحل العمرية مسؤولية الأم فقط ، أما الأب فيقتصر دوره على رئاسة الأسرة واتخاذ القرارات الهامة لها وتولي الأمور الاقتصادية فيها . لذا حاولت هذه الدراسة معرفة مدى مشاركة الآباء من الجنسين في رعاية الأبناء ، وإلى من يلجأ الأبناء في حالة مواجهة أي مشكلة ؟

وتشير نتائج هذه الدراسة إلى تغير بعض مفاهيم الوالدين الخاصة برعاية الأطفال في المجتمع السعودي المعاصر ، فيلاحظ أن حوالي نصف مجتمع الجدات ٤٨,٤٪ أشرن إلى أن مسؤولية رعاية الأبناء كانت مسؤولية الأم فقط ، في حين أن حوالي النصف الآخر ٤٧,٣٪ أشرن إلى أن مسؤولية رعاية الأبناء مسؤولية الوالدين معاً . أما فيما يتعلق بالأمهات فنجد أن نسبة ٢٣,٢٪ من الأمهات ذكرن أن مسؤولية تربية الأبناء ورعايتهم مسؤولية الأم فقط ، في حين ذكرت ٧٠,٥٪ أن مسؤولية رعاية الأبناء مسؤولية مشتركة لكلا الوالدين (جدول رقم ١٥) .

جدول رقم (١٥) يوضح من يتولى رعاية الأبناء

مجتمع الدراسة / المتغيرات	الأمهات		الجدات	
	العدد	٪	العدد	٪
– أنت	٢٢	٢٣,٢	٤٤	٤٨,٤
– زوجك	١	١,١	٢	٢,١
– أنتما معا	٦٧	٧٠,٥	٤٣	٤٧,٣
– شخص آخر	٣	٣,٢	١	١,١
– غير موضح	٢	٢,١	١	١,١
المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠

والجدير بالذكر هنا أن هذه الإجابة توضح مفهوم الأمهات والجدات نحو مسؤولية التربية ولكنها لا تعطي معلومات كافية عن مدى مشاركة الوالدين في رعاية الأبناء . لذلك كان هناك بعض الأسئلة المكملة لهذا الموضوع ، مثل إذا كان لدى ابنك أو ابنتك مشكلة لمن تلجأ ؟

فجاءت إجابة الأمهات والجدات لتوضح تحمل الأم مسؤولية أكبر من الأب في رعاية الأبناء ، وذلك قد يرجع إلى انشغال الكثير من الآباء هذه الأيام بالصفقات التجارية والأعمال الحرة

التي تدر المزيد من الربح . لذلك نجد أنه في حالة مواجهة الابن لأي مشكلة يلجأ إلى الأم ، وقد ذكرت نسبة ٤٨,٤٪ من الأمهات ونسبة ٥٩,٣٪ من الجدات أن الابن يلجأ إلى الأم ، وذكرت نسبة ٣٤,٧٪ من الأمهات و ١٩,٨٪ من الجدات أن الابن يلجأ للوالدين معاً ، إلا أننا نلاحظ انخفاض نسبة الأبناء الذين يلجأون إلى الأب فقط في الوقت الحاضر عنه في الماضي فقد ذكرت ٣,٢٪ فقط من الأمهات أن الابن يلجأ لأبيه في حالة مواجهة أي مشكلة في حين أشارت ١٤,٣٪ من الجدات أن الأبناء يلجأون إلى الآباء في حالة وجود مشكلة . وهذه البيانات توضح أن علاقة الابن بأمه في الماضي والحاضر أقوى من علاقة الابن بأبيه . فمازال الأب في الأسرة السعودية يحتل مكانة خاصة تجعله موضع الهيبة والتقدير ، ولكن الأم مازالت مصدر الحب والحنان بالنسبة للأبناء ، فقد أكدت الكثير من الأمهات والجدات أنه في حالة مواجهة الابن لأي مشكلة ، أو في حالة احتياج الابن لأي طلب كالنقود ، أو الرغبة في السفر ، أو الرغبة في شراء سيارة ، أو الرغبة في الزواج ، فإن الابن يلجأ إلى الأم ويطلب منها بحث الأمر مع الأب ، وفي حالة الموافقة الأولية للأب يقوم الابن بمفاتحة أبيه بالموضوع (جدول رقم ١٦) .

جدول رقم (١٦) يوضح إذا كان لدى الابن مشكلة لمن يلجأ

مجتمع الدراسة / المتغيرات	الأمهات		الجدات	
	العدد	٪	العدد	٪
– لك	٤٦	٤٨,٤	٥٤	٥٩,٣
– لوالده	٣	٣,٢	١٣	١٤,٣
– أنتما معا	٣٣	٣٤,٧	١٨	١٩,٨
– لشخص آخر	١٢	١٢,٦	٣	٣,٣
– غير موضح	١	١,١	٣	٣,٣
المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠

وتؤكد هذه الدراسة كذلك طبيعة العلاقة القوية التي تربط الابنة بالأم ، فعلاقة الابنة بأمها أقوى مس علاقة الابن بأمه ، إذ ذكرت ٥٨,٩٪ من الأمهات أن الأبنة تلجأ لهن في حالة مواجهة مشكلة ، في حين ذكرت ٤٨,٤٪ من الأمهات أن أبنائهن الذكور يلجأون لهن في حالة وجود مشكلة ، ويلاحظ أن هذه العلاقة القوية بين البنات والأمهات كانت سائدةحتى بين جيل الجدات . ومن الجدير بالذكر أن علاقة الأب بالأبناء من الجنسين مازالت رسمية ورأسية ، فقلما يلجأ الأبناء أو

البنات إلى الأب فقط في حالة مواجهة مشكلة ، ويلاحظ أن علاقة الآباء بأبنائهم أفضل من علاقة الآباء ببناتهم ، فقد ذكرت ١٤,٣٪ من الجدات أن أبنائهن الذكور يلجأون إلى الأب فقط في حالة مواجهة أي مشكلة في حين كانت نسبة البنات اللاتي يلجأن إلى الأب فقط ٥,٥٪ وهذا يوضح أن علاقة الأب بالابنة كانت في الماضي والحاضر علاقة رسمية إلى حد ما .

جدول رقم (١٧) يوضح إذا كان لدى الابنة مشكلة لمن تلجأ ؟

مجتمع الدراسة / المتغيرات	الأمهات		الجدات	
	العدد	٪	العدد	٪
– لك	٥٦	٥٨,٩	٧١	٧٨
– لوالدها	٣	٣,٢	٥	٥,٥
– أنتما معا	١٥	١٥,٨	١١	١٢,١
– شخص آخر	٢١	٢٢,١	٣	٣,٣
– غير موضح	—	—	١	١,١
المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠

وتجدر الإشارة إلى أن هناك عنصراً جديداً أخذ يظهر بشكل أوسع في الأسرة وهو ظهور الأصدقاء في حياة الأبناء ، فبعد أن كان الأبناء يلجأون إلى الوالدين أو الأقارب في حالة مواجهة أي مشكلة ، ظهر دور الأصدقاء كعنصر خارجي للاستشارة . فقد ذكرت ١٢,٦٪ من الأمهات أن الابن يلجأ إلى شخص آخر وعادة ما يكون الصديق عند مواجهة أي مشكلة ، في حين كانت هذه النسبة ٣,٣٪ في جيل الجدات . وكانت نسبة البنات اللاتي يلجأن إلى شخص آخر كالأصدقاء ٣,٣٪ في الماضي ، ثم أصبحت ٢٢,١٪ في الوقت الحالي ، وهذا قد يرجع إلى اتساع دائرة العلاقات الاجتماعية للفرد ، فلم تعد تقتصر على الأهل والأقارب كما كانت في الماضي ، بل إن المدارس ومجالات العمل وسعت حدود العلاقات الاجتماعية ، وجعلت الفرد يبحث عن فرد آخر (من جماعة الرفاق) في مثل عمره وفي نفس المستوى الثقافي ليبحث معه مشاكله وآماله وآلامه . وعند سؤال الأمهات والجدات عن مدى رضائهن عن أسلوب تربيتهن لأبنائهن نجد أن نسبة كبيرة من الأمهات والجدات راضيات عن أسلوب تربيتهن ، وإن كانت نسبة الرضا بين الجدات أعلى منها بين الأمهات فنجد أن نسبة الجدات اللاتي ذكرن رضائهن عن أسلوب تربيتهن ٨٩٪ ، في حين كانت نسبة الأمهات اللاتي أعربن عن رضائهن ٨٢,١٪ ، وكانت نسبة الأمهات غير الراضيات عن أسلوب تربيتهن لأبنائهن مرتفعة بين الأمهات عن الجدات ، فقد كانت بين الأمهات ١٢,٦٪ في حين كانت بين الجدات

٤,٤٪ وذلك قد يرجع إلى شعور الأمهات بالذنب نتيجة لعملهن خارج المنزل ، وإحساسهن بالتقصير تجاه الأبناء ، أو قد يرجع لزيادة وعي الأمهات بواجباتهن نحو الأبناء ، ورغبتهن في الوصول إلى الأفضل .

جدول رقم (١٨) يوضح رضاء الأم عن أسلوب تربيتها لأبنائها

مجتمع الدراسة / المتغيرات	الأمهات		الجدات	
	العدد	٪	العدد	٪
– راضية	٧٨	٨٢,١	٨١	٨٩
– غير راضية	١٢	١٢,٦	٤	٤,٤
– غير موضح	٥	٥,٣	٦	٦,٦
المجموع	٩٥	١٠٠	٩١	١٠٠

الخلاصة

إن تغير نمط الحياة في المجتمع السعودي نتيجة لاكتشاف البترول ، والطفرة الاقتصادية التي عمت المجتمع السعودي أدت إلى إحداث تغيرات كبيرة في المجتمع السعودي في مختلف الجوانب الاقتصادية والحضارية والعمرانية والاجتماعية وغيرها . والأسرة كجزء من هذا المجتمع تأثرت بهذه التغيرات ، وأهم هذه التغيرات هي تغير شكل الأسرة من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية ، وانتشار التعليم خاصة تعليم المرأة ، وخروج المرأة إلى العمل ، وظهور العديد من فرص العمل أمام الرجل ، وانشغال الكثير من الرجال في الأعمال المختلفة من أجل كسب المزيد من المال ، وظهور ظاهرة الخدم ، وانتشار الكثير من البضائع المستوردة في المجتمع السعودي ، وتحول الأسرة السعودية إلى أسرة مستهلكة . ونتيجة لهذه التغيرات مجتمعة ، حاولت هذه الدراسة معرفة إلى أي مدى تأثرت أساليب التنشئة الاجتماعية في المجتمع السعودي بهذه التغيرات المادية ؟ وهل كانت درجة التغير واحدة في جميع مواقف التنشئة ؟ وقد أجريت دراسة مقارنة على مجموعة من الأمهات العاملات في مختلف المهن المتاحة للمرأة في المجتمع السعودي ، وعلى أمهاتهن لضمان المستوى للعينتين . وقد ركزت الباحثة في هذه الدراسة على مواقف معينة في التنشئة كالرضاعة ، والفطام ، والقماط ، والإخراج ، والنوم ،

والعدوان ، والفروق بين الجنسين ، والتأديب ، والرعاية . وكانت أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة هي :

– إن هناك اختلافاً بين الأمهات والجدات في بعض مواقف التنشئة الاجتماعية ، وإن كان هذا الاختلاف ليس كبيراً كما هو متوقع ، وبنفس درجة التغير التي اجتاحت الجوانب المادية في المجتمع السعودي .

– إن الاختلاف بين الأمهات والجدات اختلافاً في الدرجة وليس في النوع ، ودرجة التغير ليست واحدة في جميع المواقف ، ففي الجوانب التي تعتمد على العنصر المادي نجد أن درجة التغير بها كانت واضحة مثل الرضاعة والإخراج ، فنجد أن طريقة الرضاعة السائدة في المجتمع السعودي التقليدي هي الرضاعة الطبيعية ، في حين أصبح الجمع بين الرضاعتين هي الطريقة الشائعة في المجتمع السعودي المعاصر ، وذلك لتوافر الحليب الصناعي وسهولة استخدامه ، هذا إلى جانب التغيرات الاجتماعية المختلفة التي سبق ذكرها . كما أن سن التدريب وطريقة التدريب على الإخراج في الماضي بها بعض الاختلاف عن الحاضر ، إذ تميل الجدات في الماضي إلى التعجيل في عملية النظافة ، في حين تميل الأمهات في الوقت الحاضر إلى تأخير سن التدريب على النظافة وذلك لتوافر الحفائض الجاهزة ورخص ثمنها ، كما أن طريقة تدريب الأمهات لأطفالهن على النظافة كانت تعتمد على النصح والإرشاد أكثر من الجدات ، في حين يلاحظ ارتفاع نسبة التهديد والتخويف بين الجدات عنه بين الأمهات .

– يلاحظ ميل الجدات في المجتمع السعودي التقليدي إلى استعمال العقاب البدني أو التهديد باستخدامه بدرجة أكبر من الأمهات ، خاصة في بعض المواقف مثل العدوان ، سواء كان هذا العدوان موجه إلى الإخوة أو إلى الأصدقاء والجيران ، وإن كانت نسبة استخدام العقاب البدني في حالة الاعتداء على الإخوة أعلى منه في حالة الاعتداء على الأصدقاء . كما تميل الجدات إلى استخدام العقاب البدني أو التهديد والتخويف في حالة التأديب والتهذيب .

– كما أوضحت الدراسة أن علاقة الأم بالأبناء قوية ومتينة ، ومازالت الأم هي الشخص الأول الذي يلجأ له الابن أو الابنة في حالة مواجهة أي مشكلة ، ومازال الأب يحتفظ بالمكانة الرأسية له في الأسرة ، وإن ازدادت مشاركته ومسؤوليته في رعاية الأبناء ولكن من خلال وجود الأم دائماً ، فلم يستطيع الآباء ولا الأبناء أن يذيبوا الحواجز التي أرستها المورثات الاجتماعية على مر السنين .

– مازالت النظرة للمرأة لم تتغير رغم التغيرات المادية الملموسة التي عمت المجتمع السعودي ، فكثيراً من الآباء والأمهات في الماضي والحاضر كما ذكر أفراد مجتمع الدراسة يفضلون إنجاب أبناء من الجنسين ، وفي حالة إنجاب طفل واحد يفضلون إنجاب الذكر على الأنثى .

وهكذا يمكننا القول ، أنه بمقارنة اتجاهات الأمهات والجدات في المجتمع السعودي نلاحظ حدوث بعض الاختلافات بين الأمهات والجدات ولكن هذه الاختلافات بسيطة وليست جوهرية ، فمازال هناك نوع من الاستمرارية في أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة بين الجدات والأمهات ،

ومازالت الجدات يشاركن بشكل مباشر في تربية الأحفاد ، كما أنهن يساهمن بشكل غير مباشر في تربية الأحفاد عن طريق تربيتهن للأمهات ، ومازال الكثير من الأمهات يستخدمن أساليب أمهاتهن في التربية ، فرغم تأثير التعليم والوعي ببعض الأساليب التربوية الحديثة ، إلا أن هناك الكثير من التشابه بين أساليب الأمهات والجدات في أساليب التنشئة الاجتماعية .

المراجع

أولاً : المراجع العربية

اسماعيل ، قباري ، الأنثروبولوجيا العامة ، الأسكندرية ، دار المعرفة الجامعية . ج م . ع ، ١٩٨٥م

اسماعيل ، محمد عماد الدين ، ابراهيم ، نجيب اسكندر ، منصور ، رشدي ، كيف نربي أطفالنا ، التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٤م .

حسن ، محمد علي ، علاقة الوالدين بالطفل وأثرها في جناح الأحداث ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠م .

الخطيب ، سلوى ، توطين البدو في المملكة العربية السعودية ، دراسة اجتماعية لهجرة الغطغط ، رسالة ماجستير ، كلية الأداب ، قسم الدراسات الاجتماعية ، جامعة الرياض ، ١٩٨١م

عبد القادر ، محمود ، عفيفي ، إلهام ، الأساليب الشائعة للتنشئة الاجتماعية في الريف المصري ، المجلة الاجتماعية القومية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، العدد ١٢ ، ١٩٧٠م

عمار، حامد ، التنشئة الاجتماعية في قرية سلوا المصرية ، ترجمة عبد الباسط عبد المعطي وآخرون ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، ١٩٨٧م .

العادلي ، فاروق ، التنشئة الاجتماعية الأسرية للطفل القطري ، حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، العدد السابع ، جامعة قطر ، ١٩٨٤م .

فهمي ، مصطفى ، التوافق الشخصي والاجتماعي ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٩م

فرح ، سعيد ، البناء الاجتماعي والشخصية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨١م .

المطلق ، هناء ، اتجاهات الأمهات نحو التنشئة الاجتماعية لأطفالهن في المملكة العربية السعودية ، رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ، كلية البنات ، ١٩٨٠م .

المسلم ، هيا ، التغير الثقافي وأساليب التنشئة الاجتماعية ، دراسة ميدانية في قرية العيون بالإحساء ، رسالة ماجستير ، قسم الدراسات الاجتماعية ، جامعة الملك سعود ، ١٩٨٦م

ثانياً : المراجع الأجنبية

Al Khateeb, Salwa, Female employment and family commitment in Saudi Arabia. A case study of professional women in Riyadh City, Ph.D. Thesis. Social anthropology Dept., U.C.L., 1987.

Al Suwaigh, S., The impact of social and economic change on child socialization in Saudi Arabia, Ph.D. Thesis. The graduate School of the University of Oregon, 1984.

Benedict, Ruth, *Patterns of Culture,* Routledge and Kegan Paul, Fourth Edition, London, 1980.

Goslin, David, *Handbook of Socialization Theory and Research*. Rand McNally College Publishing, Chicago, 1969.

Harris, Marvin, *The Rise of Anthropological Theory*, Routledge and Kegan Paul, London, 1979.

Inkles, Alex, Social structure and socialization. *in:* **Goslin, D.,** *Handbook of Socialization Theory and Research*, 1969.

Kohn, Melvin, Social class and parental values. *in:* **Coser, L.H.,** *The Family, Its Structure and Functions*, MacMillan, 1974.

Lambert, W.E., Hamers, J.E. and **Smith, N.,** *Child Rearing Values, A Cross National Study*, Praeger Publishers, 1979.

Levin, R., Culture, personality and socialization and evolutionary view. *in:* **Goslin, D.,** *Handbook of Theory and Research*, 1969.

Lidz, T., Family organization and personality structure. *in:* **Bell and Vogel,** A modern introduction to the family, The Free Press, 1968.

Minturn, L. and **Lambert, W.,** Motherhood and Child Rearing. *in:* **Bell and Vogel,** A modern introduction to the family, The Free Press, 1968.

Parsons, Bales R., *Family Socialization and Interaction Process*. Routledge and Kegan Paul, London, 1956.

Sears, R., Levin, H. and **Maccoby, E.,** *Patterns of Child Rearing*. Evanston Raw, Peterson, 1957.

Socialization on Saudi Society: A Comparative Study between Saudi Working Women and their Mothers in Riyadh City

SALWA AL KHATEEB
Assistant Professor, Social Studies Department, College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

ABSTRACT. This study aims to discover the impact of social and economic changes that have taken place on Saudi society, according to the discovery of oil, on women's attitudes towards child socialization in Riyadh city. A comparative study was undertaken to explore the similarities and differences between Saudi working mothers and their mothers. The data were collected by using questionnaire to 95 working mothers and their mothers, and interview to some mothers from the two generations.

The data indicated that there are some changes that have taken place on child socialization, but the degree of that change is not the same in all aspects of socialization, some aspects like feeding and toilet training are more willing to change than other aspects like sexual differences between boys and girls.

This study argues that there is some kind of continuity on child socialization between older generation mothers and their daughters. Old mothers still play an important role on preserving the cultural heritage by participating and giving advice to their daughters.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م٦ ، ص ص ٧٧ - ١٠١ (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)

تخطيط برنامج في تكنولوجيا التعليم والإعلام لطلاب أقسام الإعلام بالمملكة العربية السعودية

مهدي إسماعيل جمال

أستاذ مساعد ، قسم الإعلام ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،

جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، المملكة العربية السعودية

المستخلص : تهدف هذه الدراسة إلى وضع نموذج تصوري لبرنامج دراسي ، يتضمن عدة مقررات في «تكنولوجيا التعليم والإعلام» مستهدفا طلاب أقسام الإعلام بجامعات المملكة العربية السعودية .

وتضمن النموذج المقترح للبرنامج : أهداف البرنامج ، أهميته ، حدوده ، مصطلحاته ، وجمهوره المستهدف ، ومحتواه من المعارف والخبرات التعليمية والإعلامية والتي تضمنت كل من : تكنولوجيا الاتصال الحديثة ، استخدام الكمبيوتر في التعليم والإعلام ، مهارات وتقنيات الإخراج والإنتاج التليفزيوني ، فن الملصقات ، فن التصوير الفوتوغرافي ، اختيار الأفلام واستخدامها ، إنتاج الرسوم ، إنتاج الشفافيات ، استخدام المعينات التعليمية والإعلامية . . .

وانتهى النموذج بأساليب التعليم وطرقه ، وأساليب التقويم ، وخلص الباحث إلى مجموعة من التوصيات الصالحة للتطبيق في صدد تعليم تكنولوجيا التعليم والإعلام لطلاب أقسام الإعلام . .

موضوع الدراسة والاستدلال على مشكلتها

يعيش العالم المعاصر تطورا سريعا لم يعرف من قبل في مختلف مجالات الحياة ، وذلك بفضل ظهور ثلاث ثورات رئيسة كان لها الفضل في إحداث هذه التطورات المتلاحقة .

١ - التطور التكنولوجي .

٢ – إنفجار ثورة المعلومات والمعارف .
٣ – الثورة التي حدثت في مجال المواصلات ووسائل الاتصال .

هذه الثورات الثلاث المترابطة ، هي التي أدت إلى التطور الذي يعيشه عالمنا المعاصر ، من تقدم تكنولوجي وإنفجار معرفي وعلمي ، وتواصل بين الشعوب أزاح عامل الزمان والمكان ، وجعل من عالمنا المعاصر «قرية اليكترونية» كما شبهها مارشال ماكلوهان ، بحيث أصبح الإنسان المعاصر يستفيد من كل منجزات العلم والمعرفة ممثلة في تطبيقاتها التكنولوجية ، خاصة بالنسبة لوسائل الاتصال التي تجاوز نطاق تأثيراتها في المجتمع المعاصر ، مجال الوصف ، وذلك بسبب ماتتميز به مكوناتها من ضخامة في التنوع والمدى والانتشار . فهي تشتمل على قدرات بشرية وأدوات ووسائل للاتصال بسيطة وظفت في خدمة الأفراد والجماعات والجماهير ، على اختلاف أنواعها ومواقعها . فضلا عن وسائل معقدة وتكنولوجيات متقدمة ، ومواد وآلات تنتج وتستقبل وتخزن وتسترجع الرسائل المختلفة ، لخدمة عدد لايحصى من الشركاء والمشتركين من أفراد ومؤسسات في مختلف أرجاء العالم .

فمنذ اختراع آلة الطباعة في مدينة مينز بألمانيا في القرن الخامس عشر ، توالت الاختراعات في وسائل ووسائط الاتصال ، خاصة في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر وإلى الآن ، مثل الهاتف والبرق والتلكس وآلة التصوير والفيلم والفونوغراف والراديو والتليفزيون والكاسيت والفيديو كاسيت والحاسبات الإليكترونية «الكمبيوتر» . واستخدامات هذه المخترعات الإليكترونية بكثافة في مجالات تخزين واسترجاع المعلومات والمعارف ، وسرعة استجابتها في حل العديد من المشكلات المعقدة . الأمر الذي زاد من قدرات الإنسان ومعارفه ومعلوماته ، إلى أن وصل الأمر إلى استخدامات الأقمار الصناعية في نقل الرسائل المتنوعة التي خدمت جوانب الحياة المختلفة . مما ساعد في إحداث تحول أساسي في سرعة وأساليب الاتصال في عالمنا المعاصر كما ونوعا .

فالرسائل من كل الأنواع إعلامية واقتصادية وعسكرية وسياسية وثقافية وغيرها ، يجري نقلها باستمرار إلى أعداد ضخمة من الأفراد والمؤسسات والمنظمات والدول ، وإلى جمهور المستقبلين في مختلف أرجاء العالم ، ودون عوائق طبيعية أو مناخية وذلك بفضل التطور التكنولوجي المذهل ، خاصة تكنولوجيا الفضاء واستخدامات الأقمار الصناعية في مجالي الاتصالات ووسائل الإعلام ، بحيث أضحت تحدث تأثيرات ملموسة في حياة الإنسان المعاصر ، سواء في الدول المتقدمة أو الدول النامية .

ولقد استمر اتساع إنتشار وسائل الإعلام – من حيث الكم – وبصورة مطردة ودون توقف

في عشرات السنين الأخيرة ، ملازما للاتجاهات السكانية والتعليمية والاجتماعية والسياسية . ومن المؤكد أنه يتعذر تقدير نتائج هذا النمو السريع في تكنولوجيا الإعلام والتعليم ، ومدى استفادة المجتمعات النامية منها ، ومدى مقدرة تلك المجتمعات في تطويع وتوظيف تلك التكنولوجيا بما يخدم قضايا التنمية الشاملة ، بمختلف أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ، ومدى تلبيتها للاحتياجات المطردة لجمهور القراء والمستمعين والمشاهدين . وهل ساعدت في التقليل من عوامل التمزق والتضحيات التي عادة ماتواكب مراحل الانتقال السريع للمجتمعات من أساليب الحياة التقليدية والأخذ بأسباب الحياة العصرية ؟ .

ومع كل ماسبق يمكن القول بأن المجتمع المعاصر يسعى جادا للاستفادة من كل مستجدات العلم وتطبيقاته المتمثلة في المخترعات التكنولوجية .

وعلى الرغم من هذه الإيجابيات التي نجدها في ظهور التكنولوجيا الحديثة ، إلا أن هناك العديد من المشكلات التي يجب عدم التهاون في شأنها ، وأن توضع في الاعتبار ، ولعل أهمها مايتعلق بضرورة حماية البعد الإنساني للاتصال وتقنياته ، نظرا لأن المرافق التكنولوجية الجديدة ، والنفوذ المسيطر للبنى الكبيرة ، قد يؤديا إلى نزع الطابع الإنساني عن الاتصال ، وهنا تكمن ضرورة الحذر عند إدخال المستحدثات التكنولوجية خاصة في الدول النامية .

فظهور التكنولوجيات الجديدة قد يؤدي إلى بروز قضايا أساسية لم تكن تعرفها المجتمعات التقليدية من قبل . ففي حين أن التكنولوجيا الحديثة قد تتيح آفاقا جديدة لتلك المعارف والمعلومات والترويح عن البشر ، فهي أيضا قد تخلق مشكلات وأخطارا يتوجب الانتباه إليها ، والحذر من إغراء أن التكنولوجيا وحدها أداة صالحة لجميع الأغراض ، وقادرة على أن تحل محل العمل الاجتماعي ، والتفوق على الجهود المبذولة من أجل إحداث تحولات بنيوية في البلاد المتقدمة منها والبلاد النامية[١] .

من هنا جاءت ضرورة استفادة الدولة النامية بصفة عامة والمملكة العربية السعودية بصفة خاصة ، بإنجازات العلم والتكنولوجيا في مجال الاتصال والإعلام والتعليم وتوظيفها بكفاءة وفاعلية ، بما يخدم أهدافها في تحقيق التنمية الوطنية الشاملة ، بمختلف أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإدارية والسياسية .

وغنى عن الذكر أن كل الإنجازات السابقة كانت نتاجا للبحث العلمي المستفيض في المجالات التعليمية والتكنولوجية لحل المشكلات الميدانية التي تظهر في المؤسسات التعليمية والإعلامية وغير ذلك من ميادين الحياة ، ويعزي ذلك إلى السرعة الكبيرة في حدوث التطور في العالم كله حيث تتجه الجهود العلمية والتكنولوجية إلى إجراء أبحاث لحل مشكلات ميدانية ملحة ينشأ الاهتمام بها من الواقع العلمي والتكنولوجي .

وقد نشأ بقطاع التعليم والإعلام في الجامعات بالمملكة العربية السعودية تعاونا وثيقا لحل مشكلات ميدانية عديدة على أساس من البحث العلمي لتحقيق أهداف رئيسة عديدة في مجالات كثيرة ، وذلك عن طريق إعداد الخطط والاستراتيجيات لرفع كفاءة برامج المؤسسات التعليمية والإعلامية .

ومع تطور الفكر التربوي والتجديد في الأساليب والممارسات التربوية لمواكبة التطور والتجديد الثقافي والاجتماعي في المؤسسات التعليمية والإعلامية ، تهتم التربية الحديثة بالطلاب من حيث توسيع طاقاتهم وصقل مواهبهم والسير بهم وفق قدراتهم ورغباتهم وتوجيهها الوجهة السليمة مستخدمة في ذلك تكنولوجيا التعليم والإعلام في المواقف التعليمية ، وهذا ماتؤكده العديد من دراسات وبحوث تكنولوجيا التعليم والإعلام .

وإدراكا من الباحث بأهمية تكنولوجيا التعليم والإعلام في خدمة أهداف المؤسسات التعليمية والإعلامية ، بالإضافة للمزيد من المزايا الهامة لتكنولوجيا التعليم والإعلام لإعداد طلاب أقسام الإعلام بالجامعات السعودية للتطرق إلى استراتيجية المنظومة التكنولوجية التي تقوم عليها . وكل مايتصل بها من أساسيات لبناء إطار البرنامج المقترح .

فقد أثارت القضايا المتصلة بتكنولوجيا التعليم والإعلام ومدى أهميتها ومميزاتها في تحقيق أهداف الجامعات والمجتمع السعودي كثير من وجهات النظر ، منها مايتصل بإعداد المعلم ورجل الإعلام وضرورة رفع كفاءة برامج إعدادهم ومواصلة تأهيلهم ونموهم العلمي والمهني وتطوير البرامج وتحسين طرائق التدريس واكتساب الممارسات العملية وزيادة الاهتمام بوسائل الاتصال الحديثة .

وبالرغم من تقدم تكنولوجيا وسائل الاتصال الحديثة ، فإن أنظمة إدارة المؤسسات التعليمية والإعلامية وتخطيط الممارسات التعليمية والإعلامية بها مازال يتبع أنماطا تقليدية لم تتغير إلا قليلا . كما أن أساليب الإدارة والتخطيط يحتاج إلى مراجعة لتجديد دور تكنولوجيا وسائل الاتصال الحديثة في تخطيط استراتيجية للتعليم والإعلام وكيفية استخدامها والتنسيق بين هذه العوامل مكتملة لتحقيق الأهداف الموضوعة .

الدراسات السابقة

ظهرت دراسات علمية كثيرة حول استخدامات تكنولوجيا الإعلام والتعليم في العملية التعليمية بصفة عامة ، وانتهت إلى نتائج هامة ، يمكن الاستفادة بها في تحقيق أهداف هذا البحث ،

وفي وضع قاعدة يقوم عليها تصورنا المتكامل لبرنامج **«تكنولوجيا الإعلام والتعليم»** لطلاب أقسام الإعلام بالمملكة العربية السعودية .

وتبين من نتائج هذه الدراسات السابقة أن تحديد الأهداف ووضوحها يساعد كثيرا على تحديد مجالات الخبرة المتاحة ، وتساعد صياغة الأهداف بصورة سلوكية على توضيحها . .

ويتحدد دور تكنولوجيا التعليم والإعلام في المؤسسات التعليمية والإعلامية في ثلاث نقاط أساسية هامة هي :

– الأهداف السلوكية .

– المجالات التعليمية والإعلامية .

– المتاح من مصادر التعليم والإعلام .

فبالنسبة للأهداف السلوكية ، وهي أن تتضح تلك الأهداف وإجراءات تحقيقها بحيث تكون وحدة متكاملة مع الأهداف العامة للسياسة التعليمية والإعلامية ومع الأهداف الخاصة بالعملية التعليمية والإعلامية داخل الكلية والقسم .

وبالنسبة للمجالات التعليمية والإعلامية وهي تحديد الأولويات في اختيار واستخدام تكنولوجيا التعليم والإعلام في نطاق القدرات المتاحة .

وبالنسبة للمتاح من مصادر التعليم والإعلام وهي مكونات المنظومة التعليمية والإعلامية التي تتكون من المعلم ورجل الإعلام الواعي والإمكانيات المادية والبشرية ومايمكن إنتاجه من المواد التعليمية والإعلامية واختيار واستخدام الأجهزة والمعدات والمفروض أن تصبح تكنولوجيا التعليم والإعلام جزءا متكاملا يدخل جميع نواحي العملية التعليمية والإعلامية ، وأن تكون عاملا في ابتكار أساليب وطرائق جديدة لتحقيق الأهداف ومعالجة المشكلات التي تواجهها ، لذلك انتقل مركز الاهتمام بتكنولوجيا التعليم والإعلام من الاقتصار على تحسين المواقف التعليمية والإعلامية إلى مستويات أعلى وأشمل تسمح برؤية النظام التعليمي والإعلامي كوحدة متكاملة فيكون تأثيرها أبعد وأعمق في إحداث التطور ، ومن هنا أصبحنا نؤكد على أهمية تكنولوجيا التعليم والإعلام على مستويين رئيسين :

– الأول الاهتمام بالتكنولوجيا على مستوى التخطيط الجيد .

– الثاني الانتقال بالتكنولوجيا من التكتيك إلى التخطيط أي مجرد كونها طرقا جزئية لحل مشكلات موضوعية متفرقة هنا وهناك في النظام التعليمي والإعلامي إلى اعتبارها أحد المكونات الرئيسة لتخطيط التعليم والإعلام[٢] .

ويتبين من هذه النتائج أيضا أن مفهوم التخطيط النظامي يعني وجود عدة عناصر تتفاعل باستمرار مع بعضها بحيث تكون وحدة متكاملة ، وعلى ذلك إذا قلنا أن نظام الاتصال السمعي

والبصري Audiovisual Communication System فإننا نقصد مجموعة عناصر متكاملة من المواد السمعية والبصرية مخططة بحيث تعمل معا لتوصيل رسالة جيدة محددة إلى المستفيدين تحت ظروف معينة لتحقيق أهداف خاصة . وعلى ذلك فإن اختيار واستخدام تكنولوجيا التعليم والإعلام في أي مجال من المجالات ، يستلزم بالضرورة استخدام هذا الأسلوب التخطيطي التكاملي الذي نسميه مدخل النظام System Approach . وهناك علاقة وظيفية بين مفهوم التكنولوجيا ومفهوم النظام ، وقد أشار «تشارلز هوبان» Hoban عندما قال أن التكنولوجيا ليست مجرد آلات ورجال ، إنها تنظيم مخطط متداخل من عدة عناصر من الرجال والآلات والأفكار والأساليب والعمل والإدارة[٣] .

ويتضح من هذا التعريف للتكنولوجيا صورة إطار متكامل توجد بين عناصره علاقة ديناميكية بينها ترابط وتفاعل وهو ماسميناه بالتخطيط النظامي وأن إتباع هذا الأسلوب الذي يعني تخطيط وتنظيم واستخدام جميع مصادر التعليم والإعلام بما فيها وسائل الاتصال التكنولوجي واختيار أكثرها ملاءمة ومناسبة من الجوانب النظرية والتطبيقية لتحقيق الأهداف التعليمية والإعلامية بمستوى جيد من الأداء .

تحديد مشكلة البحث

نسبة لمايعيشه عالم اليوم من تطوير كبير في مجال المعرفة وتكنولوجيا الاتصال ، واستخدامات التوابع الصناعية ، ودخول الحاسبات الآلية كأجهزة سوف يكون لها تأثيرها الكبير في مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

وبما أن العملية التعليمية والاتصالية والإعلامية أصبحت تعتمد بدرجة كبيرة على التكنولوجيا المتطورة ومعداتها الإليكترونية في أداء وظيفتها في المجتمع المعاصر ، وهذا يتطلب إعداد كوادر ذات تأهيل عال ليس في الجانب الأكاديمي والنظري فحسب ، بل في الجانب التطبيقي ، بحيث يمكن تحقيق أكبر فائدة من الأجهزة التكنولوجية ، وتوظيفها بفاعلية لخدمة العملية التربوية والتعليمية والإعلامية في المجتمع .

وبما أن أقسام الإعلام المختلفة في جامعات المملكة العربية السعودية وفي كثير من الدول العربية لم تول مناهجها تركيزا كبيرا على إكساب الدارس المهارات التكنولوجيا والفنية ، بنفس القدر الذي تركزه على الجوانب الأكاديمية والنظرية .

وتأسيسا على ماسبق ، جاءت ضرورة التخطيط لبرنامج علمي وتطبيقي لأقسام الإعلام بالجامعات السعودية ، يركز بالدرجة الأولى على إكساب الدارس لعلوم الاتصال والإعلام المهارات التكنولوجية اللازمة ، التي تساعده في أداء مهامه بعد التخرج في مختلف المجالات الإعلامية

والاقتصادية والإدارية والتعليمية ، وبتركيز خاص في مجال وسائل الاتصال الجماهيرية من صحافة وإذاعة ، وتليفزيون ووكالات أنباء ، وبنوك معلومات ، وتوثيق إعلامي . والتعرف على مدى الترابط والعلاقات بين مختلف الإنجازات التكنولوجية في مجال المعلومات والاتصال وغيرها من المجالات ذات العلاقة .

ولاشك أن تخطيط مثل هذا البرنامج إلى جانب فائدته العملية في رفع كفاءة الدارس في مختلف التخصصات في أقسام الإعلام ، وإكسابه المهارات الفنية والتكنولوجية المختلفة ، نجد فائدة أخرى هي مساعدة خريجي أقسام الإعلام في ولوج مجالات عمل جديدة لم تكن تتوافر لهم من قبل ، لاسيما بعدما أحدثته تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وزيادة الاعتماد على الكمبيوتر والأقمار الصناعية في توسيع نطاق عمليات الاتصال على المستوى الوطني والإقليمي والدولي ، واعتماد العديد من المؤسسات والمنظمات عليها في إنجاز أعمالها الاقتصادية والمالية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية .

الهدف من البحث

يستهدف البحث بالإضافة - لما سبق - توظيف تكنولوجيا الاتصال بأجهزتها المختلفة في العملية الاتصالية والإعلامية التربوية والتعليمية ، وتوسيع نطاقها لتشمل مختلف عناصر المجتمع ، الأمر الذي يساعد في نشر المعرفة والأفكار المستحدثة ، ورفع المستوى المعرفي والثقافي للمواطن في أرجاء الوطن ، فضلا عن التعرف على كيفية تطويع تكنولوجيا الاتصال والإعلام والتعليم وتوظيفها في خدمة قضايا التنمية الوطنية في المملكة العربية السعودية . وهذه مجالات تحتاج إلى العديد من الكوادر المؤهلة والقادرة على التعامل بكفاءة مع المنجزات التكنولوجية في مجال الاتصال والإعلام والتعليم . وستركز الدراسة أو التجربة على طلاب أقسام الإعلام بالجامعات السعودية ، وتخطيط البرامج المناسبة لإكسابهم المهارات العملية والتطبيقية في التعامل مع تكنولوجيا الاتصال والإعلام والتعليم .

تساؤلات البحث

١ - ماهي أهمية وضع برنامج في تكنولوجيا التعليم والإعلام لطلاب أقسام الإعلام بالجامعات السعودية ؟

٢ - ماهي المتغيرات التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار عند وضع هذا البرنامج ؟

٣ – ماهي المكونات الأساسية للنموذج التصوري للبرنامج من حيث :
الأهداف
الأهمية
الحدود
المصطلحات
جمهور المستفيدين من البرنامج
الخبرات التعليمية والإعلامية (المحتوى)
طرق وأساليب التعليم .
أساليب التقويم المستمر .
٤ – كيف يمكن الاستفادة عمليا من هذا النموذج التصوري للبرنامج المقترح في تكنولوجيا الإعلام .

المناهج التي يستخدمها البحث

ينوي الباحث استخدام المنهج الوصفي ، والمنهج المقارن ، ومنهج دراسة الحالة ، وغيره من المناهج الملائمة في الجانب النظري من البحث مع الاستفادة من مختلف أدوات جمع البيانات والمعلومات التي تخدم الدراسة مثل :

– مسح وسائل الإعلام بالمملكة ، ونوع التكنولوجيا المستخدمة .

– مسح المجالات التعليمية والتربوية والدينية والمجالات الاقتصادية والتجارية والزراعية والصناعية ، للتعرف على نوعية الأجهزة والتكنولوجيات الاتصالية والتعليمية والمعلوماتية ذات العلاقة بأقسام الإعلام .

– إعداد استمارات بحث لجمع المعلومات .

– مسح التراث والتجارب الخاصة باستخدامات التكنولوجيا في مختلف الدول المتقدمة منها والنامية ، وبصفة خاصة على التجارب المتوافرة بالمملكة العربية السعودية .

الدراسة التطبيقية

مرتكزات البرنامج

الفكرة الأساسية في تخطيط برنامج تكنولوجيا التعليم والإعلام هي الربط والتوافق بين مكوناته

النظرية والتطبيقية ، بحيث لو نظرنا إليه نجده كلا لايتجزأ مهما بلغت درجة تركيبه . وعند تخطيط البرنامج ينبغي أن ننظر بعين الاعتبار إلى مايلي :

– تصور النظام ، بمعنى إدراك صورة واضحة له تتضمن تحديد كل العناصر التي يتكون منها النظام ، وكذلك العوامل الأخرى المحيطة به . وكل نظام ينتمي إلى جزء من نظام أكبر **System** ، وهو بدوره ينقسم إلى نظم صغيرة **Sub-System** .

– تحديد النظم الصغيرة التي يتكون منها النظام الكلي تحديدا واضحا ، فإذا اعتبرنا أن المؤسسة التعليمية أو الإعلامية هي النظام الكلي ، فإننا نحدد نظمها الصغيرة وهي التي تتمثل في الصفوف الدراسية والبرامج والطرائق والوسائل التعليمية والإعلامية والمشكلات البيئية التي تؤثر في النظام الكلي للمؤسسة التعليمية أو الإعلامية .

– الكشف عن الطرائق والأساليب التي تحقق الأهداف التربوية والتعليمية والإعلامية وفق معايير معينة ، منها التكاليف اللازمة والصعوبات المتصلة بالنظام واتخاذ القرارات المرتبطةِ به .

– اختيار أفضل الطرائق والأساليب وتكنولوجيا الاتصال التي تحقق النظام .

– استخدام النظام وتطبيقه بعد إجراء الاختبارات اللازمة لمعرفة صحة تخطيطه .

– وتتضمن إجراءات تطبيق النظام عدة أمور هامة لتنفيذه ، منها المرجع **Feed Back** وهو عامل ضروري لتحقيق ثلاث نقاط هامة لتطبيق النظام – وهي كمايلي :

(أ) طواعية تطبيق النظام للمتغيرات المحتملة حتى يؤدي وظيفته باستمرار .

(ب) مرونة الإفادة من نتائج النظام .

(جـ) الحاجة إلى إيجاد أنظمة جديدة للظروف المحتملة أو الأهداف الجديدة .

ومن خلال عرض النقاط التي أوضحناها يتضح أهمية التخطيط التكاملي ، الأمر الذي يحتم وجود إطار تنظيمي لمثل هذا البرنامج حتى يتحقق دوره على مستوى عال من الأداء ، ونستطيع أن ندرك أن مثل هذا البرنامج في حاجة إلى الطاقات البشرية المدربة اللازمة لتحقيق أهدافه ، والأساليب الإدارية الحديثة التي تحقق أكبر عائد من استخدام تكنولوجيا التعليم والإعلام ، فلا نكتفي مثلا بتعيين فنيين لإصلاح الأجهزة أو الموظفين لاستعارة الأفلام والوسائل التعليمية والإعلامية الأخرى ، أو فنيين لتشغيل وصيانة أجهزة التليفزيون والفيديو أو رصد الميزانيات للخدمات ، طبيعي أن كل هذه الأمور لها دورها في نجاح البرنامج ، ولكن المهم وضع تخطيط ناجح شامل متكامل للإفادة من تكنولوجيا التعليم والإعلام وإعداد الكوادر الفنية المؤهلة لذلك[٤] .

كما تتضح أهمية تطبيق مثل هذه البرامج في مجال التعليم بأقسام الإعلام بصفة عامة ، على أساس أنه ليس من المنطقي أن يتخصص طلبتها في الإعلام ولايستطيعون الاستفادة من تكنولوجيته المتطورة ، فهم أولى بهذه الاستفادة تعليميا ومهنيا . .

تصور البرنامج المقترح

وانطلاقا من العرض السابق يصبح من الضروري وضع تخطيط لبرنامج في «تكنولوجيا التعليم والإعلام» لطلاب أقسام الإعلام بالجامعات السعودية لإعدادهم الإعداد العصري حتى يسهموا إسهاما فعالا في أدائهم المهني في المجتمع . .

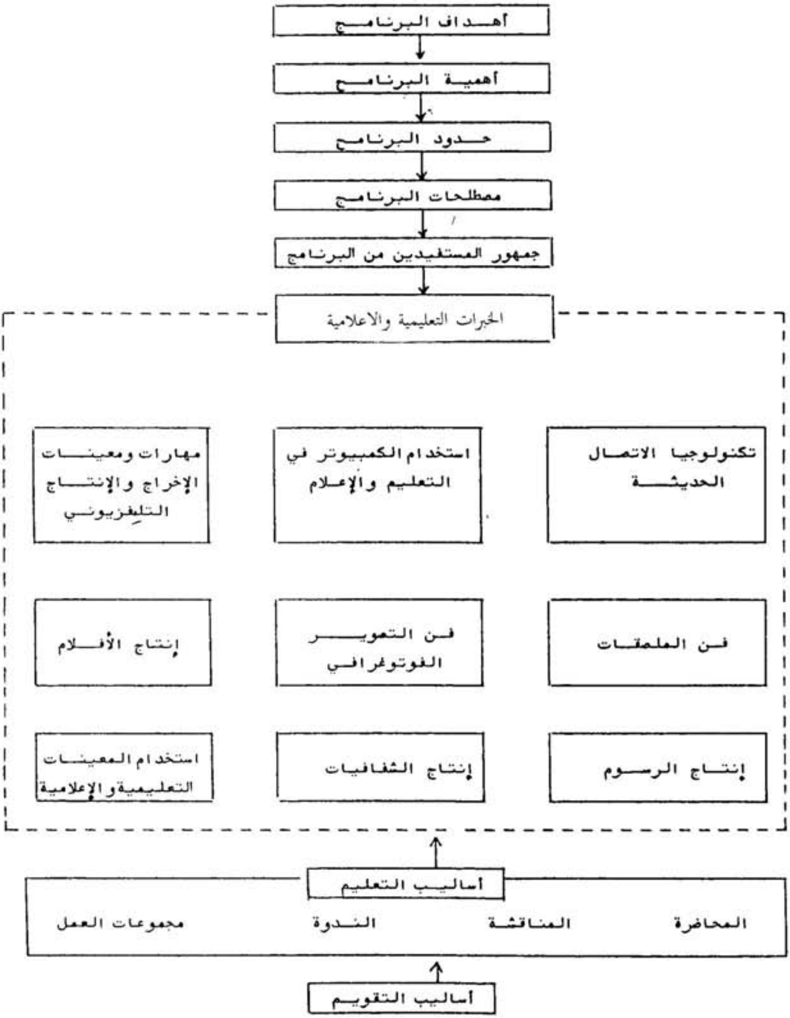
ولكي يتحقق الهدف الأساسي للدراسة ، وهو وضع تخطيط للبرنامج المقترح ، قام الباحث بوضع نموذج مقترح لبرنامج يفي بمتطلبات تكنولوجيا التعليم والإعلام يشمل الجوانب التالية :

- أهداف البرنامج .
- أهمية البرنامج .
- حدود البرنامج .
- مصطلحات البرنامج .
- جمهور المستفيدين من البرنامج .
- الخبرات التعليمية والإعلامية .
- أساليب التقويم المستمر .
- التوصيات .

ويقدم الباحث هذا النموذج **Model** على هيئة تصور انسيابي **Flow Chart** لأسلوب نظامي يمكن الاستفادة منه في بناء برنامج تكنولوجيا تعليم وإعلام يعبر في جوهره عن الأمور التي يدور حولها اهتمامات قسم الإعلام وممارساته الإعلامية والتعليمية ، والتي تنحصر عادة في الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها والأنشطة الإعلامية والتعليمية التي تصاغ في هيئة مقررات تقسم على سنوات الدراسة لتتلاءم مع مستوى التطور العقلي والوجداني للمتعلم ، والأساليب التي يتبعها قسم الإعلام لتقييم هذه المقررات بالصورة التي تحقق الأهداف المرسومة ، هذا إلى جانب تهيئة الإمكانيات المادية والبشرية التي تسمح بالاستفادة القصوى من مصادر الإعلام والتعليم المختلفة المتاحة من طاقات بشرية وإمكانيات مادية مثل إعداد الأجهزة الإعلامية والتعليمية والخبرات التعليمية والإعلامية وأنماط التدريس والأساليب المتنوعة في عمليات التقييم التي تعطينا نتائجها عددا من المؤشرات للاستدلال على مدى تحقيق الأهداف الإعلامية والتعليمية .

وفيما يلي تصميم النموذج المقترح لبرنامج تكنولوجيا التعليم والإعلام لطلاب أقسام الإعلام بالمملكة العربية السعودية ، مع تناول عناصره بالتحليل .

نموذج تخطيطى لمراحل وجوانب برنامج "تكنولوجيا التعليم والإعلام"



أهداف البرنامج

يسعى تخطيط برنامج لتكنولوجيا التعليم والإعلام لطلاب أقسام الإعلام بالمملكة العربية السعودية إلى اكتساب مايلي :

– الخبرات والمعلومات الضرورية عن تكنولوجيا التعليم والإعلام ، وبخاصة مايتصل منها في تنمية المجتمع السعودي وتطوره ، وكيفية ملاحقة التطورات الجديدة في تكنولوجيا التعليم والإعلام الجامعي .

– المهارات اللازمة للقيام بعمليات التعليم والإعلام وتطبيق أسسها ومبادئها ، وكيفية معاونة الطلاب في التغلب على مايواجهونه من صعوبات أثناء إعدادهم في المواقف التعليمية والإعلامية .

– مهارات التعامل مع المستحدثات التكنولوجية ودورها في التعليم والإعلام المستمر .

– أساليب توجيه الطلاب وإرشادهم نفسيا وتعليميا وإعلاميا واجتماعيا وثقافيا .

– التدريب المستمر للطلاب وأعضاء هيئة التدريس على تخطيط تصميمات بنائية لبرامج تعليمية وإعلامية .

– تدريب الطلاب على اختيار واستخدام مستحدثات تكنولوجيا التعليم والإعلام ، بما يمكنهم من اتخاذ القرار المناسب في اختيار المواد والأجهزة والمعدات المناسبة لتحقيق الأهداف المرجوة .

– تدريب الطلاب على إنتاج المواد التعليمية والإعلامية التي تفي بمتطلبات المواقف التعليمية والإعلامية التي يتعرضون لها في حياتهم الوظيفية .

أهمية البرنامج

– يسهم في وضع تصور للخبرات والمهارات التعليمية والإعلامية الأساسية في التكنولوجيا الحديثة بشكل يمكن طلاب أقسام الإعلام من الاستفادة فيما يتعلمونه بأنفسهم في أي مجال من مجالات الدراسة المخصصة لهم ، وبذلك يساعد على تطور الطرائق والأساليب التي تتصل بمجال تخصصهم .

– يساعد البرنامج المقترح أعضاء هيئة تدريس أقسام الإعلام على الانفتاح على معطيات تكنولوجيا التعليم والإعلام ، مما يؤدي إلى نجاح مواقفهم التربوية مع طلابهم .

– يساعد البرنامج المقترح طلاب أقسام الإعلام على إعداد خططهم ودروسهم ونشاطاتهم واختيارها بما يتفق ومعطيات التكنولوجيا الحديثة وطرق استخدامها وإمكانياتها المتاحة .

حدود البرنامج

يتناول البرنامج المقترح طلاب مرحلة البكالوريوس – أقسام الإعلام بالجامعات السعودية ويتقيد بـ :

– إمكانيات التعليم والإعلام المتاحة في مجال تكنولوجيا التعليم والإعلام .

– تخطيط منظم لتكنولوجيا التعليم والإعلام لإعداد طلاب مرحلة البكالوريوس .

– وضع نموذج Model لأسلوب نظامي يمكن الاستفادة منه في بناء برنامج تكنولوجيا التعليم والإعلام لطلاب أقسام الإعلام .

مصطلحات البرنامج .

– تكنولوجيا التعليم ، تكنولوجيا التعليم لاتعني مجرد استخدام الآلات والأجهزة والأدوات الحديثة ، ولكنها تعني في المكان الأول الأخذ بأسلوب الأنظمة System Approach وهو اتباع منهج وأسلوب وطريقة في العمل تسير في خطوات منظمة وتستخدم كل الإمكانيات التي تقدمها التكنولوجيا وفق نظريات التعلم والتعليم بغرض تحقيق أهداف محددة ، ويؤكد هذا الأسلوب النظرة المتكاملة لدور تكنولوجيا التعليم والإعلام وارتباطها بغيرها من مكونات هذه الأنظمة ارتباطا متبادلا ، لأن استخدام التكنولوجيا في حد ذاته لايمكن أن يحقق الأهداف المطلوبة مالم يتم التوافق بين مناهج المقررات والوسائل وطرائق التدريس والأبنية التعليمية والأجهزة والأدوات وأنظمة الإدارة التعليمية وغير ذلك من متطلبات المواقف التعليمية(٥) .

تكنولوجيا الإعلام ، اتفق علماء النفس التعليمي والإعلامي على أن التعليم والإعلام تغيير في سلوك الفرد ومساعدته على التكيف في الحياة وعلى ذلك فإن التعليم والإعلام شيء واحد من حيث هدف كل منهما ، فالتغير في السلوك في كليهما طريق إلى عملية التكيف في الحياة ليعيش الفرد عيشة أفضل يستمتع بحياة اجتماعية أرغد – والتعليم والإعلام أصلا عملية اتصال Communication Process وعملية الاتصال هي عملية اجتماعية واسعة تبنى عليها المجتمعات . والإعلام بأشكاله المختلفة سواء كان منها مايتصل بهيئات الاستعلامات أو في المؤسسات الاجتماعية المختلفة ، هذا وعملية الاتصال تقوم على تنظيم التفاعل الإنساني بين الناس وتعاطفهم في الأفكار والآراء والمفاهيم .

إلا أن هناك مظاهر عارضة في أوجه الخلاف بين التعليم والإعلام ، فجمهور المتعلمين متجانس من حيث التحصيل والخبرات السابقة والسن ، أما جمهور الإعلام فهو الشعب بقطاعاته المختلفة من حيث التحصيل والخبرات السابقة والسن ، وأيضا جمهور الإعلام هو الشعب بقطاعاته المختلفة من حيث التباين بين ثقافتهم وتعليمهم وخبراتهم واهتماماتهم المختلفة ، هذا إلى جانب أن

جمهور الإعلام طليق حر يستطيع أن يختار من المواد والبرامج الإعلامية مايرتاح إليه ومايتفق مع ذوقه وراحته وحالته المزاجية .

ولتكنولوجيا الإعلام دور متشعب في توجيه المجتمع على نطاق واسع في القرن العشرين ، ولذلك أخذت المؤسسات الإعلامية في الدول المتقدمة اهتمامات بالغة نحو تخطيط برامج إعلامية توجهها لأفراد شعبهم لرفع مستواهم وحسن أدائهم لوظائفهم وإكسابهم القيم الاجتماعية المرغوبة ، ونحو الوصول إلى أهدافها الخارجية من حيث تعريف العالم المعاصر بحضارة ورقي الشعب ووجهات نظرهم في المسائل العالمية ، أدى هذا الاهتمام بوسائل الإعلام التكنولوجية إلى ازدهار الوظائف الأساسية التي ترتكز عليها وهي التوجيه والدعاية والتثقيف والتعارف الاجتماعي والترفيه والإعلان[٦] .

البرنامج ، هو تنظيم بنائي للأسس والقواعد الاستراتيجية التي تحقق أهداف البرنامج عن طريق محتواه التكنولوجي والتربوي والعلمي والإعلامي .

جمهور المستفيدين من البرنامج

هم طلاب أقسام الإعلام بجامعات المملكة باعتبار - ماسيكون - أنهم رجال تعليم وإعلام لهم خواصهم التربوية والمهنية ويوجهون دائما لاكتساب مهارات تنمي اتجاهاتهم واستعداداتهم وميولهم وحاجاتهم .

الخبرات التعليمية والإعلامية (محتوى المقرر)

يرى الباحث ضرورة أن يتضمن هذا البرنامج انطلاقا من أهدافه ، واحتياجات جمهور المستفيدين منه ، مجموعة من المعارف والخبرات والمهارات التي تتلاءم مع مستواهم العلمي من ناحية ، والأهداف التي يسعى إليها هذا النموذج من ناحية أخرى ، ونوعية الاستفادة منها من ناحية ثالثة ، بحيث يتضمن المقررات أو المحاور التالية :

١ - تكنولوجيا الاتصال الحديثة

ويتضمن ذلك استخدامات التكنولوجيا الحديثة ووظائفها في عمليات الاتصال التعليمي والإعلامي ، لما لها من أهمية في إعدادهم لذلك . فمن الأمور التي ينبغي أن يتعرض لها الطلاب هو دراستهم لمفهوم الاتصال Communication والتعرف على مكوناته والعناصر التي تدخل في مجال الاتصال وأهمية كل منها والطريق الذي تسلكه في مجال التعليم والإعلام الذي يهتم بالاتصال

الجماهيري كالصحافة والإذاعة والتليفزيون . ففي هذا المجال نجد أنها تقدم خبرات ومعارف وثقافات مقروءة أو مسموعة أو مرئية ، وقد أصبح لكل منها تأثيره الكبير المعروف في النواحي الاجتماعية والثقافية ، وفي نقل المعرفة بأنواعها المختلفة من شخص لآخر أو لآخرين وتتخذ عادة عملية الاتصال مسارا لها يبدأ عادة من المصدر الذي تنبع منه إلى الجهة التي تستقبلها ثم ترتد ثانية إلى المصدر وهكذا . وتتخذ هذه الارتدادات Feed Back صورا وأشكالا مختلفة تساعد المصدر على معرفة مدى ماتحقق من أهداف فيغير من تصميم رسالته ومن محتواها العلمي والتربوي والفني وطريقة تقديمها وعرضها بما يحقق التفاهم المنشود . ومن هنا يتبين أن عملية الاتصال لاتسير في اتجاه واحد ، بل هي عملية ديناميكية تحدث داخل مجال أوسع وأشمل ، يضم الظروف والإمكانيات التي تحيط بعملية الاتصال وتؤثر فيها ويشار إليها بالمجال Situation الذي يتفاعل فيه وباستمرار عناصر عملية الاتصال .

٢ – استخدام الكمبيوتر في : التعليم والإعلام

يحتاج الطلاب إلى الخبرات والمعارف والمهارات والاتجاهات الحديثة في استخدامات الكمبيوتر لمواجهة مشكلات المستقبل في إطار إعدادهم التعليمي والإعلامي بما يتمشى مع التطور التكنولوجي ، والذي أصبح يشار إليهم بأنهم رجال التعليم والإعلام التكنولوجيين – ومن خلال تعاملهم مع الكمبيوتر يكتسبوا معارف نظرية عن أجهزة الكمبيوتر من حيث الأنظمة الرئيسة التي تتكون منها الأجهزة وطريقة عملها وطريقة تغذيتها بالمعلومات واستدعائها ، هذا إلى جانب التطبيقات العملية التي تتناول التدريب على استخدام الأنظمة الإليكترونية للكمبيوتر والتدريب على تغذية الكمبيوتر بالمعلومات والتدريب على استدعاء البرامج التعليمية والإعلامية المختزنة في ذاكرة الكمبيوتر ، كذلك التدريب على استخدامات الكمبيوتر في التخطيط التعليمي والإعلامي والتنمية الاجتماعية والنفسية وحفظ البيانات الخاصة بالبرامج الإذاعية والتليفزيونية والعمليات المالية والإدارية .

٣ – مهارات وتقنيات الإنتاج والإخراج التليفزيوني

ويكسب الطلاب المعارف والمعلومات والمهارات الأساسية في الإنتاج والإخراج التليفزيوني الذي يمكنهم من إعداد وإخراج البرامج التليفزيونية بغية الوصول إلى أفضل الأساليب للاستفادة من تحقيق الأهداف السلوكية .

ويرى الباحث أن التخطيط لإنتاج البرامج التليفزيونية وإخراجها يتطلب دراسات نظرية وتدريب مكثف مستمر لكسب المعلومات والمعارف والمهارات التي ينبغي أن يحصل عليها طلاب

أقسام الإعلام بالجامعات السعودية داخل الاستوديو لمزيد من فهم طبيعة خصائص الأجهزة والأدوات ومواد الإنتاج والإخراج ، وعن طريق دراسة محتوى البرامج التليفزيونية ينتظر أن يكتسب الطلاب المعارف والخبرات والمهارات التالية :

– معرفة بالتطورات الحديثة المعاصرة في إعداد وإخراج البرامج التعليمية والإعلامية التليفزيونية .

– تخطيط البرامج التليفزيونية للتعليم والإعلام .

– الأنماط العامة والخاصة للتعليم والإعلام التليفزيوني .

– أنواع الإرسال التليفزيوني .

– الإرسال عن طريق الأقمار الصناعية .

– القدرة على اختيار الموضوعات الملحة المناسبة لعرض الأفكار وتحليل القضايا عن طريق البرامج التعليمية والإعلامية وابتكار وإبداع برامج مفيدة للمجتمع .

– القدرة على اختيار الموضوعات الملحة المناسبة لعرض الأفكار وتحليل القضايا عن طريق البرامج التعليمية والإعلامية وابتكار وإبداع برامج مفيدة للمجتمع .

– القدرة على تحويل الموضوع إلى أدوار وخطوات يقوم بتأديتها الطلاب .

– تحديد الأماكن التي سيتم فيها التصوير سواء كان تصوير خارجي أو داخل الاستوديوهات . وفي حالة التصوير داخل الاستوديوهات ينبغي مراعاة تصميم البيئة المناسبة التي سيتم فيها المواقف التعليمية أو الإعلامية .

– التدريب على تحديد اللقطات التصويرية .

– التدريب على عملية الكتابة والتنسيق والإنتاج .

– التدريب على عملية النسخ والطبع للبرامج التليفزيونية .

هذا إلى جانب إكساب الطلاب المهارات والخبرات الأساسية في هذا المجال وهي :

التدريب على اكتساب المهارات في عمليات التصوير التي تتناول اللقطات التصويرية وهي لقطة طويلة – لقطة متوسطة – لقطة متوسطة قريبة .

– اكتساب معلومات عامة وخاصة عن أنواع العدسات وخصائصها .

– التدريب على عمليات القطع .

– التدريب على عمليات المزج وهي الانتقال التدريجي من لقطة إلى أخرى .

– التدريب على عمليات الاختفاء التدريجي والظهور التدريجي والمسح .

– التدريب على استخدام اليدين في التوجيه دون استخدام الصوت .

– التدريب على تصميم وإنتاج الرسوم والصور التليفزيونية .

- التدريب على تصميم وإنتاج لوحات الرموز المكتوبة للبرامج التليفزيونية .
- التدريب على تصميم وإنتاج الشرائح الشفافة التليفزيونية .
- التدريب على تصميم وإنتاج الخرائط واللوحات التعليمية والإعلامية والمصورات .
- التدريب على تحريك الرسوم والمعدات أمام الكاميرا .
- التدريب على استخدام الإضاءة في استوديو التليفزيون .
- التدريب على تهيئة المناخ الفني من إعداد المكان وكل مايحيط بالموقف التعليمي أو الإعلامي .
- التدريب على التعرف على نوعيات وخصائص الإضاءة في استوديو التليفزيون ومنها مايلي : الإضاءة العامة - إضاءة المناظر الخلفية - الإضاءة الجانبية والإضاءة المرتدة - إضاءة الكاميرات - المستوى المناسب لتشغيل الإضاءة العامة - النسب بين الإضاءة العامة والإضاءة الخلفية .
- التدريب على تصميم وتنفيذ الديكور والإكسسوار ، وفيما يلي بعض النقاط الأساسية في مجال الديكور :
- ألوان الديكور والإكسسوار .
- التدريب على عمليات المونتاج الإلكتروني .
- التعرف على غرفة المراقبة واستخدام أجهزتها .
- اكتساب معلومات عامة وخاصة عن شرائط الفيديوتيب .
- التعرف على وحدة التليفزيون الملون وتنظيمها .
- التعرف على خصائص الكاميرات التليفزيونية وحركتها وأساليب الانتقال بين اللقطات وجهاز الأفلام .
- التعرف على مصطلحات وخصائص الصوت والتسجيلات الصوتية .
- التعرف على احتياجات التسجيل من الأجهزة والأدوات الخاصة بها .
- التدريب على إعداد البرامج التليفزيونية وعلى عمليات الإنتاج والإخراج التليفزيوني .

٤ - فن الملصقات

ويتم فيها إكساب الطلاب مهارات تصميم وإنتاج الملصقات التعليمية والإعلامية كوسيلة من وسائل الاتصال الفعالة التي تخاطبهم مباشرة دون وسيط ، حيث تتواجد بينهم سواء كانوا في المؤسسات التعليمية أو الإعلامية ومن هذه المهارات :

- التعرف على دور الملصقات التعليمية والإعلامية التي تشمل : التجارية والثقافية والاجتماعية

والسياسية والصحية والاقتصادية .

– التعرف على الخصائص العامة للملصقات ومن أهمها : إثارة الاهتمام – الوضوح – سهولة فهم الرسالة – الابتكار في الفكرة الأساسية للملصق – الإخراج الفني للملصق .

– التعرف على الأسس العامة لتصميم الملصقات ومنها : الاهتمام بأسلوب التعبير عن الأفكار التي يتضمنها الملصق – ضرورة الاهتمام بالهيئة المادية التي تصاغ منها هذه الأفكار . ومنها الأشكال المصورة – الرسوم – الخطوط المكتوبة – الأشكال الرمزية – العناوين الرئيسة للملصقات وتنقسم إلى عدة عناوين منها :

العنوان الخبري – العنوان الموجه – العنوان المثير – العنوان الحر – هذا إلى جانب العناوين الفرعية .

– تدريب الطلاب على مراعاة الأسس الفنية والجمالية في تصميم الملصق ومنها : الألوان ودلالات تأثيراتها النفسية والوظيفية مما يزيد من الاهتمام باختبار وتوزيع الألوان بطرق تزيد من قيمتها داخل الملصقات ، هذا إلى جانب تدريب الطلاب على عمليات الإخراج الفني الذي يجعل منها وسيلة اتصال ناجحة .

٥ – فن التصوير الفوتوغرافي

ويهدف إلى إكساب الطلاب معلومات ومعارف عن أساسيات التصوير الفوتوغرافي التي تتناول النقاط التالية :

– تطور التصوير الفوتوغرافي في مجال التعليم والإعلام .

– الوظائف الأساسية للصورة الفوتوغرافية في مجال التعليم والإعلام والبحث عن مصادرها واختيارها واستخدامها .

– التدريب على مهارات كيفية تشغيل الكاميرا الفوتوغرافية وأنواع وخصائص عدساتها والمرشحات ومقاييس الضوء والإضاءة وأنواع الكاميرات والمكبرات واستخداماتها ، هذا إلى جانب التدريب على التصوير الفوتوغرافي الخارجي والداخلي وعمل الشرائح الفوتوغرافية الشفافة والتصوير بالألوان وإخراج وعرض الصور الفوتوغرافية .

– التعرف على أنواع الأفلام الفوتوغرافية وحساسيتها وأنواع الأوراق الحساسة ومكوناتها الكيميائية ، ونقل ونسخ وتكبير الصور الفوتوغرافية .

– التعرف على أنواع وأشكال المصغرات الفيلمية الحديثة .

– تزويد الطلاب بمعلومات ومعارف ومهارات عن إعداد وإنتاج المصغرات الفيلمية .

– تدريب الطلاب على استخدام أجهزة إنتاج المصغرات الفيلمية .

– تدريب الطلاب على دراسة الوثائق والمعلومات والصور وتهيئتها وتحويلها إلى ميكروفيلمية .

– تدريب الطلاب على الاستنساخ والحفظ والاسترجاع للمصغرات الفيلمية .

– تدريب الطلاب على إعداد مكتبة حديثة شاملة للصور الفوتوغرافية المعتمة والشفافة والميكروفيلم وأساليب استخدامها واسترجاعها .

٦ – استخدام الأفلام وتوظيفها

ويتم فيه إكساب مهارات استخدام الأفلام التعليمية والإعلامية والإفادة بها في المواقف التي يتعرضون لها ، هذا إلى جانب الوقوف على أهم نتائج البحوث التي أجريت في هذا المجال ليهتدوا بها في رسم استراتيجية الاستعانة بالأفلام ، ذلك لأن نجاح استخدام الأفلام في مجالات التعليم والإعلام يتوقف إلى حد كبير على مايقوم به المعلم ورجل الإعلام من تخطيط متكامل للاستفادة القصوى من الأفلام وفي غياب هذا التخطيط ، تقل الفائدة المرجوة من عرضها . ولضمان نجاح استخدام الأفلام ينبغي أن تتوافر العناصر التالية :

– إعداد خطة لاختيار الأفلام المناسبة للمواقف التعليمية والإعلامية .

– التخطيط لاستخدام الأفلام ، ومنها الوقوف من جانب المسؤولين عن عرض الأفلام على كل ماتتعرض له من النواحي العلمية والإعلامية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وغيرها من النواحي الفنية . وذلك قبل عرضها . ثم التخطيط للإفادة بها أثناء عرضها ثم بعد عرضها ثم المتابعة ، هذا إلى جانب تدريب الطلاب على التعرف على أنواع وخصائص الأفلام التعليمية والإعلامية من حيث مكونات الفيلم والإطارات Frames التي تتكون منها الصور وعلى الجزء الحساس من حساسية الإطارات العديدة ومسار الصوت على الفيلم والثقوب على الجانب المقابل لمسار الصوت واختلاف عرض الأفلام من ٣٥ مم و ١٦ مم و ٨ مم . هذا إلى جانب التعرف على الأفلام الحلقية أو أفلام ٨ مم المتكررة أو العرض المستمر أو أفلام المفهوم الواحد Single Concept Film ، بمعنى أنها تعرض مفهوما واحدا مثل عرض طريقة تشغيل أحد الأجهزة التعليمية أو الإعلامية ، وقد انتشر هذا النوع من الأفلام نظرا لمزاياه العديدة في اكتساب المهارات والمفاهيم المتصلة بالتدريب على طرائق تشغيل الأجهزة وأسلوب التعليم الذاتي Self-instruction وذلك باختيار عدد من الأفلام لأحد الموضوعات وعمل برنامج خاص يتيح للطلاب مشاهدة هذه الأفلام بمفردهم والاستعانة بالتدريبات المصاحبة لعرض الأفلام ، ثم تقييم تحصيلهم ذاتيا بما يحقق أهداف البرنامج .

٧- فن الرسوم

يحتاج الطالب إلى إجادة اكتساب مهارات تصميم وتنفيذ الرسوم التعليمية والإعلامية لتقديم مادة علمية وإعلامية في تخصصاتهم ، ومنها السبورات التعليمية والإعلامية بتصميماتها وألوانها واستخداماتها المتنوعة ، واللوحات المغناطيسية المصممة للاستفادة منها بعدة أساليب وطرق تعتمد على خاصية مغنطة سطحها واللوحات الوبرية والأفكار الرئيسة التي تستخدم فيها ، ولوحات النشرات والعروض الإخبارية التي يكثر شيوعها في المؤسسات التعليمية والإعلامية . وهناك ابتكارات حديثة من حيث تصميماتها سواء كانت تعلق على الجدران أو على حوامل خاصة أو موضوعة على الطاولات أو أثناء إقامة المعارض أو في المراكز الثقافية والإعلامية وفي السفارات والمكاتب والمصانع والشركات والبنوك والوزارات والجامعات . ويمكن استخدامها في عرض المعلومات والبيانات أو الأشياء المجسمة والعينات والأخبار والنشرات وغيرها من الرسائل التي تقدم عليها .

٨ – إنتاج الشفافيات

يحتاج الطلاب إلى التزود بمهارات تصميم وإنتاج الشفافيات الخاصة بجهاز العروض الخلفية Overhead Transperancies لاستخدامها في المواقف التعليمية والإعلامية . ولكي يتم إكساب الطلاب تلك المهارات ينبغي أن يدرسوا خصائص الصور الشفافة ومكوناتها التقنية وطرق تصميمها وإنتاجها إنتاجا يدويا وآليا . وهناك عدة تصميمات للصور الشفافة منها الشفافيات المكتوبة من مادة مرجعية وشفافيات مرسومة ومكتوبة بالألوان أو لون واحد . كذلك ينبغي أن يتدرب الطلاب على طرق تصميم وإنتاج الشفافيات التي منها مايتطلب وجود أجهزة خاصة لذلك مثل طباعة الشفافيات على أوراق تصوير حساسة للضوء Photocopy Process أو طريقة الكهرباء الاستاتيكية للحصول على نسخ من هذه الشفافيات التي سبق إعدادها بلون واحد أو بعدة ألوان بالشكل والحجم المناسب ، كما أن هناك أنواع من الشفافيات منها الشفافيات ذات الطبقة الواحدة أو الشفافيات ذات الطبقات المتتالية . التي تتناول خطوات متتالية يكمل بعضها البعض والتي تعطي في نهاية عرضها صورة متكاملة للموضوع أو المفهوم الذي تقدمه . ويتم إنتاج هذه الشفافيات لتكون الأساس أو الأرضية أو الخلفية التي يتعاقب عليها الشفافيات التي تتلوها .

٩ – استخدام المعينات التعليمية والإعلامية

يحتاج الطلاب إلى اكتساب مهارات استخدام الأجهزة التقنية التي ينبغي توافرها في المؤسسات التعليمية والإعلامية ، وهي أجهزة عرض الأفلام المتحركة وأجهزة عرض الشرائح

الشفافة وأجهزة عرض الصور المعتمة وأجهزة التسجيلات الصوتية وأجهزة التليفزيون والفيديو وأجهزة الكمبيوتر التعليمي والإعلامي وأجهزة الإذاعة وأجهزة عرض الأفلام الثابتة . هذا إلى جانب إكساب الطلاب معارف عن المواد التعليمية **Software** التي تستخدم من خلال عرضها على الأجهزة مثل الأفلام المتحركة والشرائح الإعلامية والشفافيات والعينات والرسوم التعليمية والإعلامية وأشرطة التسجيل الصوتي وأشرطة الفيديو واسطوانات الحاسب الآلي وغيرها من المواد التعليمية والإعلامية .

طرق التعليم للبرنامج المقترح

ترتكز طرق وأساليب البرنامج المقترح على إسهام الدراسة فيما يتعلمونه بطرق المناقشة والحوار والأداء العملي للمهارات ، ولذلك فهي تتنوع بين :

- المحاضرات وتعقبها المناقشة والحوار .
- الندوات التي يشارك فيها المتخصصين في مجالات تكنولوجيا التعليم والإعلام .
- أداء المهارات المختلفة عن طريق العمل في مجموعات صغيرة ينفذون فيها مشروعات وبرامج تعليمية وإعلامية تتصل بأهداف البرنامج .

أساليب التقييم

ينبغي أن تتم عملية التقييم لكل عنصر من عناصر البرنامج المقترح لتقدير مدى صلاحيتها ومساهمتها في تحقيق الأهداف الموضوعة للبرنامج حتى يمكن الوصول إلى تقييم مستمر متكامل لكل عناصر البرنامج . . ويتضمن ذلك :

(أ) تقويم الطلاب للمحتوى ، لطرق التعليم .

(ب) تقويم الأساتذة للمحتوى ، لاستجابات الطلاب . .

(جـ) تقويم استفادة الطلاب من المعارف ، المهارات بأساليب التقويم التقليدية (كالاختبارات الدورية ، النصفية ، النهائية) . .

توصيات الدراسة

استنادا إلى الرؤية السابقة - التي تضمنتها الدراسة التطبيقية - التي حللت وناقشت برنامج مقترح لتعليم تكنولوجيا التعليم والإعلام ، يوصي الباحث بأن تتضمن خطط وبرامج تأهيل طلاب أقسام الإعلام في الجامعات السعودية (الملك عبد العزيز ، الملك سعود ، أم القرى ، الإمام محمد بن

سعود الإسلامية) الجوانب والأمور التالية :

– الإفادة بتكنولوجيا التعليم والإعلام الحديثة في مواجهة المواقف التعليمية والإعلامية المتصلة بمتطلبات إعداد الطلاب في المجتمع السعودي الذي يعيش المتغيرات الاجتماعية والثقافية المتطورة .

– ضرورة وضع برنامج لتكنولوجيا التعليم والإعلام ضمن مناهج المقررات الدراسية النظرية والتطبيقية لطلاب أقسام الإعلام بالجامعات السعودية .

– توجيه بعض البحوث والدراسات للدبلومات ورسائل الماجستير والدكتوراه في مجالات استخدام التكنولوجيا الحديثة لإعداد طلاب قسم الإعلام .

– عقد اتفاقيات وزيارات متبادلة بين أعضاء هيئة التدريب والفنيين لأقسام الإعلام في البلاد العربية والأجنبية المتطورة للوقوف على أحدث الابتكارات المتطورة لأجهزة الوسائل التكنولوجية لنقل الرسائل المكتوبة والمسموعة والمرئية .

– ضرورة التحرر من أنماط التعليم والإعلام التقليدية داخل أقسام وكليات الإعلام بالمملكة العربية السعودية ، والانفتاح على الخبرات والتجارب المتطورة التي تتناول تكنولوجيا التعليم والإعلام .

– الاهتمام باستخدام أسلوب النظم الذي يؤكد الخطوط العريضة لجوانب الأنشطة والمهارات المختلفة والتي تحقق الأهداف عن طريق التنظيم البنائي الذي يمكن تطبيقه والإفادة منه في رسم الخطط والمناهج لمقررات تكنولوجيا التعليم والإعلام .

– الاستعانة بالخبراء التربويين من الإعلاميين المبدعين والفنيين في مجالات استخدام الأجهزة والمعدات التكنولوجية المتطورة للتعليم والإعلام .

– الاهتمام بإجراء تقييم شامل ومستمر للأساليب التكنولوجية المستخدمة في ضوء نظرة متكاملة لعمليات تقييم الخطط لبرامج تكنولوجيا التعليم والإعلام لإعداد الطلاب .

– إصدار دليل لتكنولوجيا التعليم والإعلام المستخدمة في كل قسم من أقسام الإعلام بالجامعات السعودية .

وأخيرا ، يمكن القول بوضوح ، أنه إذا كانت تكنولوجيا الإعلام والتعليم لازمة للعملية التعليمية في كافة تخصصاتها ومستوياتها ، فإنها أكثر لزوما لطلبة يتخصصون أساسا في مجالات الإعلام التطبيقية . وهذا ما استطاع هذا البحث أن يؤكد عليه وأن يسهم في وضع تصور لكيفية تحقيقه ، على آمل أن يصبح نموذجا لطلبة أقسام الإعلام في المملكة العربية السعودية كلها .

التعليقات

(١) **شون ماكبرايد** : «أصوات متعددة في عالم واحد : الاتصال والإعلام اليوم والغد» اليونسكو ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨١ ، ص ص ١٥٠ – ١٥١

(٢) **Robert Heinichu,** "What is Instructional Technology" *Audiovisual Instruction,* 13 March, 1968, p.221.

(٣) **Charles F. Hoban,** "From Theory to Policy Decision", *A V Communication Review,* **Vo1. 13,** Summer 1965, 1.

(٤) **عبد الرحيم شوقي العراف** ، «تخطيط برنامج لخدمات الوسائل التعليمية» صحيفة التربية ، العدد الرابع ، السنة الخامسة والثلاثون ، مايو ١٩٨٤م ، ص ٢٠ (بتصرف)

(٥) **حسين حمدي الطوبجي** ، «وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم» ، ط ٩ ، دار العلم ، الكويت ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م ، ص ٩٩

(٦) **فتح الباب عبد الحليم وإبراهيم حفظ الله** ، «وسائل التعليم والإعلام» ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٥م ، ص ٧٣ .

المراجـــــع

أولا : المراجع العربية

الطوبجي ، حسين حمدي ، «وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم» ، الكويت ، دار العلم ، ١٩٨٤م

الصراف ، عبد الرحيم شوقي ، «تخطيط برنامج لخدمة الوسائل العلمية» ، صحيفة التربية ، ع ٤ ، س ٣٥ ، مايو ١٩٨٤م .

الصراف ، عبد الرحيم شوقي ، «تكنولوجيا التعليم» ، المركز العربي للتقنيات التربوية ، الكويت ، ١٩٨٤م .

اليونسكو : «مشكلات الاتصال والمجتمع» ، باريس ، ١٩٧٨م

جيري ، كلير وديل ، ريتشارد ، «نظام تجديد وسائل الاتصال للدول العربية : الأقمار الصناعية في خدمة الإذاعة والتربية والتنمية» ، باريس ، اليونسكو ، ١٩٧٥ – جهاز تليفزيون الخليج : «اجتماع العمل الخاص بوضع تصور لإنتاج برنامج التنمية والتعليم المقرر منه عبر القمر الصناعي العربي» تونس ، ١٩٨٣م .

سكينر ، ب . ف ، «تكنولوجيا السلوك الانساني» (ترجمة عبد القادر يوسف) .

سيد ، فتح الباب عبد الرحيم وحفظ الله ، إبراهيم ، «وسائل التعليم والإعلام» ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٥م .

رشتي ، **جيهان أحمد** ، «الأسس العلمية لنظريات الإعلام» ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٨م

ريفرز ، وليام وآخرون ، «وسائل الإعلام والمجتمع الحديث» (ترجمة الدكتور إبراهيم إمام) ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٥م .

قنديل ، حمدي ، «اتصالات الفضاء» ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م .

ماكبرايد ، شون ، «أصوات متعددة وعالم واحد» ، (الطبعة العربية) ، الدار الوطنية ، اليونسكو ، ١٩٨١م .
ناصر ، صالح ، «تجربة المملكة العربية السعودية في استخدام أقمار الاتصالات للخدمات الإذاعية والتليفزيونية على الصعيد الوطني والعالمي» دراسات وبحوث إذاعية ، رقم ٢٦ ، تونس ، ١٩٨٢م .

ثانيا : المراجع الأجنبية

Bagdikian, Ben. H. *"The Information Machines: Their Impact on Men and the Media".* New York, Harper & Row, 1971.

Bower, Robert F. *"Television and the Public".* New York, Holt Reinhart and Winston, 1973.

Charles F. Hoban. "From Theory to Policy Decision", *AV Communication Review.* **Vol. 13,** Summer 1965.

David A. Golden. "Technology" Master or Servant? *Inter-Media.* November 1962, **Vol. 10**, No.6.

Robert Hinichu. "What is Instructional Technology? *Audiovisual Instruction,* 13 March, 1968.

Sammerlad, Loyd. "Satellites for Education and Development in the African Context", *Unesco* 1975, *U.S. Des.*

Schram, W. *"The Process and Effects of Mass Communication,* Illinios,?

Planning a Programme in 'Educational and Communication Technology' for Students of Mass Communication Departments in Saudi Arabia

MAHDI ISMAIL JAMAL
Assistant Professor, Department of Information, Faculty of Arts and Humanities King Abdulaziz University, Jeddah – Saudi Arabia

ABSTRACT. The Objectives of this study are to put a Conceptual Model for a programme including some courses in "Educational and Communication Technology", designed for students of Mass Communication Departments in Saudi Universities.

The model contains: programme objectives, significance, limitations, terms, target audience, its content of knowledge, and experiences in communication and education that include; modern communication technology, computer's use in education and communication, techniques of T.V. direction and production, the art of posters, photography, choosing and using films, graphic and transparencies production, and using communication and educational aids.

The model ends with: education methods and tools, and evaluation styles and tools. Finally the researcher gives some applicable recommendations concerning educational and communication technology education for the students of Mass Communication.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز الآداب والعلوم الإنسانية ، م٦ ، ص ص ١٠٣ – ١٣٤ (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) .

نماذج من التجاوزات الأجنبية في المغرب الأقصى خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر

تركي عجلان الحارثي

أستاذ مساعد ، قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ،

جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، المملكة العربية السعودية

المستخلص : في هذا البحث محاولة للتعرف على التجاوزات الأجنبية وخلفيتها في المغرب الأقصى خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر تلك الخلفية يمكن إعادتها إلى المعاهدات التي أبرمت بين المغرب الأقصى وبعض الدول الأوروبية في القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين ، والتي من خلالها ضمن للأجانب الكثير من الحقوق الأمنية والاقتصادية والدينية ،ولكن نتيجة للتنافس الدولي والمد الاستعماري والضغوط العسكرية أخذت بعض الدول الأوروبية في فرض معاهدات على المغرب ، استطاعت من خلالها الحصول على امتيازات اقتصادية وقانونية وقضائية ، تلك الامتيازات كانت بداية لعهد جديد من التغلغل الأجنبي في المغرب الأقصى حيث أخذ دبلوماسيو ورعايا الدول الأجنبية في التطاول على القانون المغربي وعلى الحكومة المغربية بل على الإنسان المغربي ، وتمثل ذلك التطاول في ممارسات غير قانونية أو « تجاوزات » شملت النواحي السياسية والأمنية والقانونية والقضائية والدينية والاجتاعية والاقتصادية

وبالطبع كانت هناك عوامل أذكت جذوة تلك التجاوزات ألا وهي التنافس بين رعايا الدول الأجنبية داخل المغرب وتحميل نصوص المعاهدات أكثر مما تحمل ، والسعي من قبل الأجانب وراء مصالحهم دون النظر إلى أي اعتبار آخر . وبالتأكيد كان لتلك التعديات أثرها الواضح والخطير على زلزلة أركان المجتمع المغربي وتقويض قواعده حيث أصبح ضعيفا إلى درجة جعلته يقع فريسة تحت الحماية الفرنسية

وضعية الأجانب القانونية قبيل النصف الثاني من القرن التاسع عشر

نظمت المعاهدات التي عقدت بين المغرب الأقصى وبين بعض الدول الأوروبية خلال القرن الثامن عشر الميلادي العلاقات بين الطرفين وركزت على كثير من الحقوق التي أعطيت للأوروبيين[١] ، ومع مرور الوقت أخذت بعض الدول الأوروبية في المطالبة بامتيازات لرعاياها ، والسبب في ذلك هو الضعف الذي اعترى المغرب والعالم الإسلامي ككل وازدياد مصالح تلك الدول بل واشتداد المنافسة بينهما لتحقيق مكاسب على حساب الأخرى . لذلك نجد أن كل دولة تعقد معاهدة تحاول أن تؤكد على الشرط الذي يقضي « بمعاملة رعاياها معاملة الدولة الأكثر تفضيلا » . ومن أهم هذه الدول ما يمكن تسميتها « بالدول الأكثر مصلحة في المغرب » وهي كل من فرنسا وبريطانيا وأسبانيا . تلك الدول قامت بعقد معاهدات مع المغرب خلال القرن التاسع عشر والتي كانت مشابهة في توفير الحقوق ، للمعاهدات التي عقدت في القرن الثامن عشر ولكنها اختلفت عنها بأنها اشتملت على امتيازات تم الحصول عليها نتيجة لضغوط عسكرية وسياسية[٢] .

وقبل معرفة تلك الامتيازات لابد من التعرف على الحقوق التي ضمنتها المعاهدات المبرمة بين المغرب وبعض الدول الأوروبية في منتصف القرن التاسع عشر . فلقد كان من بين تلك الحقوق حق الأمان على النفس والمال ، فعلى سبيل المثال نجد أن الشرط الخامس من المعاهدة المغربية الانجليزية السابقة الذكر تؤكد على ذلك الحق حيث ورد فيه « .. أن الساكنين بإيالة سيدنا أو التاجرين (هكذا) بها من إيالة الإنجليز لهم الأمن التام على أنفسهم وأموالهم .. »[٣] . ومن الحقوق التي أعطيت للإنجليز في تلك المعاهدة حق التنقل والإقامة في أي مكان يختارونه وورد ذلك في النص التالي « ... أن لرغبة النجليز (الإنجليز) أن يسافروا أو يسكنوا حيث شاءوا من إيالة سيدنا ... »[٤] ولم يهمل الإنجليز مصالحهم التجارية والتي تعتبر بيت القصيد ، حيث أكدوا عليها في إحدى شروط المعاهدة والتي أشارت إلى ذلك بالآتي « ولتجار الإنجليز الاتيان والسكنى والبيع والشراء في جميع مراسي سيدنا أيده الله دون أمد محدود في كل محل يكون به غيرهم من الأجناس ولهم الكراء والاجراء وأعمال الديار .. ولهم البيع والشراء مع من شاءوا في أنواع التجارة إلا ما هو مذكور في الشرط الثاني ... »[٥] .

ومن الحقوق التي ضمنتها تلك المعاهدات حق ممارسات الشعائر الدينية وهذا ما ورد في المعاهدة الأسبانية التي أشارت إلى ذلك بالنص التالي : « ... رعية سلطانه أصبانية (أسبانيا » لا يقدر أحد يمنعهم من صلاتهم في ديارهم (دورهم*) جوامعهم في شأن دينهم في أي موضع يكون بها (يكونوا به) ويكون لهم في المحل الذي يكون (يكونوا) به موضعا لمقابرهم ولا يتعرض لهم أحد من حكام رعية سلطان مراكش في ترتيب دفن موتاهم ذهابا وإيابا ...[٦] » وإلى جانب حفظ

حقوق الأجانب الدينية شددت المعاهدات على حرمة مساكن الأجانب بالمغرب الأقصى وهذا ما أشير إليه في المعاهدة المغربية الإنجليزية السابقة الذكر وذلك بالنص التالي « ... وديارهم (دورهم » ومخازنهم محترمة ولا تفتيش كرها في ديار (دور) رعيتهم وكنائس تجارهم وكاتبهم (وكتابهم) إلا بموافقة القونصو (القنصل) أو نوابه ... »(٧) .

أما الامتيازات التي ضمنها المعاهدات المبرمة في القرن التاسع عشر ، فتركزت في الخدمات القنصلية والقضائية والمالية . ضمن الامتيازات القنصلية التي حصل عليها الأسبان في معاهدة ١٨٦١م على سبيل المثال ماورد في الشرط الثالث والذي ضمن للقناصل ونوابهم استخدام مترجمين أو حراس أو خدام أو غيرهم من المغاربة مع استثناء الأخرين من الجزية أو الغرامة أو غيرها . وورد ذلك في النص التالي « .. والنائب المفوض وهو قونصو (قنصل) العام يقدر يجعل الترجمان عنه والخدام من المسلمين أو غيرهم ولا يلزم الترجمان عنه والخدام له شيئا من الجزية والغرامة ولا ما يشبه ذلك وأما القونصوات الذين هم خلاف النائب المذكور والمستقرين بالمراسي لهم أن يختاروا ترجمانا واحدا أو بوابا واحدا واثنين متعلمين من المسلمين أو من غيرهم ولا تلزمهم الجزية أو الغرامة أو ما يشبه ذلك وإذا جعل النائب المذكور خليفة في خدمة قونصوات بمراسي سلطان مراكش من رعية السلطان يكون هو وعياله الساكنين بداره موقرين ومحترمين ولا تلزمهم جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك ولا يكون له أحد تحت حمايته من رعية هذه الإيالة إلا عياله فقط ... »(٨) .

ومن الامتيازات القضائية التي أعطيت للأجانب ما أعطى للإنجليز بالذات وذلك في معاهدة ١٨٥٦م حيث ركز أحد بنودها على ما عرف بقاعدة اتباع المدعي للمدعى عليه . وورد ذلك في النص التالي « .. أن الدعاوي التي تكون بين رعية سيدنا وبين رعية الإنجليز يفصل فيها ، فإن كان المشتكي من رعية الإنجليز والمشتكي من رعية سيدنا فالمشتكي الإنجليزي يرفع شكواه لعامل البلد أو قاضيه بواسطة القونصو أو نوابه ولهم الحضور في محل الحكم على الدعاوي وإن كان المشتكي من رعية سيدنا والمشتكي به من رعية الإنجليز فيرفع المشتكي شكواه لمحل الحكم والفصال للقونصو أو نوابه بواسطة عامل البلد أو قاضيه ولهما أو لمن ناب عنهما الحضور وقت فصل الدعوى ... »(٩) .

وإلى جانب هذا الامتياز الخطير نجد أن القنصل له الحق في أن يقضي بين المتنازعين من مواطنيه ولا يحق للحكومة المغربية أن تتدخل في ذلك بأي حال من الأحوال . وأشير إلى ذلك في المعاهدة الإنجليزية المغربية بالنص التالي : « ... أن ما يحدث بين رعية الإنجليز بإيالة سيدنا من الدعاوي وكيف ما كانت إنما يحكم فيها القونصو أو نوابه ولا يدخل فيها قاضي ولا قايد ولا غيرهما ... »(١٠) .

أما المنازعة بين الأجانب فأيضا يفصل فيها عن طريق قاعدة المدعي يتبع المدعى عليه ، وبذلك

يكون القناصل الاجانب هم المختصون في القضايا التي تنشأ بين أفراد رعاياهم . وظهر ذلك الامتياز في المعاهدات المبرمة خلال القرن التاسع عشر ومن بين تلك المعاهدات المعاهدة الإنجليزية المغربية والتي أشارت إلى ذلك بالنص التالي « ... إذا كانت دعوى كبيرة أو صغيرة بين أحد رعية الإنجليز وبين أحد من رعية جنس من الأجناس غير المسلمين فلا يدخل فيها ولاة سيدنا والقونصوات هم الذين يتولون فصلها ... »[١١] .

ونتيجة لإعطاء القناصل الأجانب ونوابهم الحق في الفصل في القضايا التي يكون أحد رعاياهم طرفا فيها ، فلقد أخذ هؤلاء في تطبيق قوانين بلادهم على الجميع بدون استثناء حتى على المغاربة أنفسهم[١٢] .

أما الامتيازات المالية ، فلقد ساوت المعاهدات التي بين المغرب وكل من انكلترا وأسبانيا في منتصف القرن التاسع عشر رعايا تلك الدول بالمغاربة في الضرائب والاعشار التي تؤخذ على التجارة ، بل أنها خصتهم بامتيازات ومنها على سبيل المثال عدم دفع ضريبة الأبواب داخل المغرب وإنما دفع فقط ضريبة العشر . ولقد أشارت المعاهدة الإنجليزية المغربية إلى ذلك بالنص التالي : « ... جميع أنواع المتاجر التي يرد بها تجار الإنجليز لا يلزمهم في أعشارها أكثر مما يعطي غيرهم من تجار المسلمين والأجناس غيرهم .. السلع التي ترد على يد التجار منهم لا يؤدوا عنها أكثر من عشرة في المائة على تقويمها بالمال ... »[١٣] .

وعلى أن الأجانب تمتعوا بحقوق كثيرة ومنحوا امتيازات لم يكونوا يحلمون بها لولا الضعف الذي انتاب العالم الإسلامي عامة والمغرب العربي خاصة ، إلا أنها لم تكن مقنعة لهم خاصة عندما ازداد التنافس بين قناصل الدول الأجنبية في سبيل المحافظة على مصالح بلدانهم . ونتيجة لازدياد التنافس أخذ الكثير من دبلوماسيي الدول الأجنبية يفسرون بنود المعاهدات لصالحهم ولصالح رعاياهم . بل وتطور الأمر إلى خرق القوانين المغربية فيما يمكن أن نطلق عليه تجاوزات . تلك التجاوزات مورست على المغرب حكومة وشعبا وشملت النواحي السياسية والاقتصادية والأمنية والقضائية والقانونية ، بل تعدت ذلك إلى النواحي الدينية والاجتماعية وكانت كفيلة بإحداث خلل في ذلك المجتمع أدى إلى زعزعة أركانه وفقدان دولته لهيبتها داخليا وخارجيا كما سنرى في الصفحات القادمة .

التجاوزات السياسية والأمنية

بدأت التجاوزات السياسية من الأجانب بعدم احترام القناصل للمعاهدات التي نظمت العلاقة بين المغرب وبين الدول الغربية . فلقد أخذ أولئك القناصل ونوابهم في تفسير بنود المعاهدات لصالحهم . فعلى سبيل المثال نجد أن القنصل الإنجليزي بعد معاهدة ١٨٥٦م أخذ في استغلال الشرط

الذي أعطى القناصل الشرعية في استخدام عدد من المغاربة للخدمة في القنصليات الأجنبية في طنجة ، فأخذ في منح الحمايات* حسب ما تمليه مصلحته ومصلحة بلده . ولم يكن القنصل الإنجليزي الوحيد الذي فسر ذلك الشرط لصالحه ، بل أخذ القناصل الأجانب في المغرب يحذون حذو القنصل الإنجليزي خاصة وأن الدول الغربية التي أبرمت معاهدات مع المغرب تساوت في الامتيازات من خلال الشرط الذي لايكاد يخلو من المعاهدات التي عقدت مع المغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والذي يرتكز على معاملة الدولة المبرمة للمعاهدة معاملة الدولة الأكثر تفضيلا[١٤] .

وإضافة إلى تفسير المعاهدات من قبل القناصل الأجانب ، أخذ نوابهم في خرق المعاهدات وذلك بمنح الحماية للكثير من المغاربة خاصة وأن بعض النواب الذين من أصل مغربي وجدوها فرصة لمنح أقاربهم الحماية كي يفلتوا من كثير من الالتزامات المالية والقضائية . ليس هذا فقط بل إن أولئك النواب أو العاملين في القنصليات لا تدفع لهم رواتب مجزية من القناصل الأجانب لذلك عادة ما يلجئون إلى بيع الحمايات كي يحصلوا منها على مردود مالي[١٥] . وللمثال على ذلك ما قام به المترجم العامل بالقنصلية البرتغالية في مزغان (الجديدة) والذي باع أكثر من ثلاثمائة شهادة حماية إلى المغاربة بهدف الحصول على عوائد مالية[١٦] .

وتطور الأمر إلى أن أخذ التجار الأجانب يقومون إلى جانب الاشتغال بالتجارة ببيع الحمايات ، خاصة وأنها تجارة لا يحتاج لها إلى رأس مال ، بل ووصل الأمر إلى أن الكثير من التجار الأجانب عمدوا إلى فتح متاجر وهمية في بعض مدن المغرب كان الغرض من وجودها هو بيع الحمايات ، وبالطبع استطاع التجار الأجانب أن يحققوا منها أرباحا طائلة بدون مشقة أو عناء ، خاصة وأن أسعار تلك الحمايات لم تكن محددة وإنما تعتمد في المقام الأول على جشع البائع واستعداد المشتري[١٧] .

ولم تقتصر التجاوزات السياسية على منح الحمايات للكثير من سكان المغرب ، بل أخذ الأجانب في التمادي في ممارساتهم التعسفية ضد المغاربة حتى وصل الأمر إلى أن بعض المستوطنين أصبحوا يتحدون السلطات المغربية ويوجهون الإهانة إلى بعض أفرادها ، ومن بين تلك الإهانات ما قام به أحد الأسبان والذي اعتدى على أحد الجنود المغاربة بالضرب في ثغر العرائش ، وورد ذلك في النص التالي « ... نعلمك بأن واحد من عسكر ثغر العرائش كان يشتري الحوت ونصراني اصبينولي (أسباني) دمره فقال له العسكري كيف تدمرني وأنا واقف نشتري الحوت فلطمه النصراني لطمة لوجهه وشَهَّد عليه العسكري المسلمين والنصارى واليهود ، وهو لم يحرك يده عليه بشهادة الناس جميعا ، وهرب منه العسكري إلى الفندق والنصراني تابعه ، وحين تبعه النصراني لقيه واحد آخر من العسكر فقال العسكري هارب منك وأنت تابعه ، هذا عيب عليك فلطمه أيضا لوجهه لطمة شديدة

بطرشه* فحمل العسكري على النصراني وهو لم يجد صبرا ، فلطمه العسكري كيف لطمه النصراني ، وهذا ما صار بين العسكر والرومي ، فقدم النصراني إلى قنصل الصبنيول واشتكى على العامل وأرسل إلى العسكرية وعاقبهم عقوبة شديدة ... »[١٨] .

هذا المثال ليس الوحيد من نوعه من الممارسات الأجنبية ضد الرعايا المغاربه بل إن هناك أمثلة كثيرة ، فلقد قام أحد الأسبان والمدعو ديك كراكش Dick Craques بمدينة مراكش بالتعدي على الناس ظلما وعدوانا . ووردت تلك التعديات في خطاب موجه من السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى نائبه محمد بركاش يطلب منه الاحتجاج لدى القنصل الأسباني في طنجة ضد ممارسات ديك كراكش والذي يجب أن يوقف عن ممارسته التعسفية ضد الناس وذلك بقوله « ... فلقد أخبر عامل مراكش أن نصرانيا اصبنولي بملاحها اسمه ديك كراكش أبدأ وأعاد في الجسارة والتعدي على الناس ... فرفعت به الشكوى للعامل مرارا ونهاه عن ظلمه فلم ينته على تمرده وتعديه ومن جملة ما فعل أن اليهودي صاحب الدار التي هو ساكن بها تكلم معه في إخراج خنزيرين ربطهما بها وحفراها ، فترامى عليه وأوجعه ضربا وفدع له يده حسبما تقف عليه بالرسم الذي يصلك بخط اليهود (ي) مع مقولة متضمنة لشكواه ... »[١٩] .

لم تقتصر التجاوزات الأجنبية على عامة الناس في المغرب ، بل امتدت لتشمل الخاصة وبالتحديد الولاة ، بل وتجاوز الأمر إلى أن بعض الأجانب أخذ في سب الإسلام وشتم الحكومة المغربية . فعلى سبيل المثال قام أحد التجار الإنجليز والمدعو مطيوس (ماثيوز) بذلك على مرأى ومسمع من الناس بثغر الرباط بعد تطاوله بالضرب على أحد المغاربة . وهذا ما ورد في الخطاب التالي « ... وبعد فإن مطيوس الإنجليزي الذي يتسوق كنطردة البقر لجنس الإنجليز بلغ الغاية في السفه والجسارة على المسلمين وعلى جانب المخزن عمال وغيرهم ، ومن جملة أفعاله الشنيعة وقبائحه البشعة ما كتب به خديمنا الحاج محمد بن سعيد السلاوي ، وذلك أن مطيوس المذكور ركب يوما من الرباط لسلا في فلك كبير ، ومعه فرسان وصاحبه ، ولما وصل بسلا ترك المحل الذي يسع نزوله وهو الذي فيه الفلايك الكبار ، وقصد المحل الضيق المجتمع به الفلايك الصغار لينزل به ، وقبل وصوله له صار يبرق ويرعد ، ويقول ما يفهم ومالا يفهم ، فنحى أرباب الفلايك فلايكهم ، غير رجل ثقيل السمع لم يسمع كلامه ... فجعل مطيوس يسبه فرد عليه الجواب بالسب فأخذ مطيوس غانجوا* كان معه في الفلك وصار يضربه به وما حال بينه وبينه إلا بعض الفلايكيه ثم نزل مطيوس البر وأطلق لسانه بسب المسلمين والدين والمخزن عمال وغيرهم وعمر مكحلته وتهدد بها المسلم الذي أجابه بالسب ... »[٢٠] .

لقد تعددت التجاوزات السياسية وتلونت بألوان مختلفة ، فلقد كان هناك بعض الإدعاءات الباطلة على الرعايا المغاربة من قبل الأجانب كالمطالبة بدفع ديون وهمية وبالطبع لا تدفع لهم تلك

الديون لذلك عادة ما يلجأ أولئك الأجانب بمطالبة الحكومة المغربية بدفع تعويضات لهم . إضافة إلى ذلك أخذ بعض القناصل في تسلطهم ومحاولاتهم المتكررة للتدخل في الشؤون المغربية بحجة حماية مصالح رعاياهم ومحميهم ، بل بلغ الأمر بهم إلى استخدام سياسة التهديد والوعيد إذا لم تُلَبّ مطالبهم . وللمثال على ذلك ما يمكن الإشارة إلى ما قام به القنصل الإيطالي ستيفانو سكوفاصو Stefano Scofaso والذي طالب محمد بركاش بدفع مبلغ يتراوح ما بين ٢٤٥ إلى ٢٥٠ ألف فرنك نظير ١١١ قضية معظمها قضايا وهمية . ولم يكتف سكوفاصو بذلك بل هدد باستجلاب أسطول بلاده ، مما جعل الحكومة المغربية تحسب لذلك ألف حساب خاصة وأن سياسة المغرب كانت تقضي بعدم الاحتكاك مع الأوروبيين من أجل أمور تافهة . ونتيجة لذلك قام بركاش بتهدئة الوضع حيث نجح في إثناء القنصل الايطالي عن عزمه وقدم له بعض الوعود بتسديد الديون[٢١] .

أما عن التجاوزات الأمنية فلقد أعطى الأجانب حق الحرمة والتوقير لمساكنهم ولا ضير في ذلك ، ولكن أضيفت تكملة لهذا الشرط وهي أنه لا يجوز تفتيش منازلهم ومتاجرهم إلا بعدِ الحصول على إذن من القنصل التابع له المراد تفتيشه . وفي الواقع فإن هذا الشرط استخدم أسوأ استخدام ، حيث أخذ الأجانب في استخدام منازلهم كأوكار يأوون فيها الفارين من القانون . وللمثال على ذلك يمكن أن نستشهد بما قام به نائب القنصل الأسباني في الجديدة عندما أجار أحد المغاربة في منزله والذي كان مطارداً من العدالة المغربية . ولم تستطع السلطات المغربية القبض عليه ، ونتيجة لذلك قام عامل الجديدة أحمد بن الطاهر في استشارة نائب السلطان في طنجه محمد بركاش وطلب من الأخير أن يصل إلى وعد من القنصل الأسباني بعدم السماح لنائبه في الجديدة بإيواء الفارين من القانون . وبالفعل قام نائب السلطان بالتحدث مع قنصل الأسبان وأجاب عامل الجديدة بقوله « .. أعلم حفظك الله أننا أنهينا القضية كلها للنائب هنا ، فأجاب أن كل من أضام وفر وزاك* تحت سنجق الصبنيول يجب علينا الوقوف معه حتى ننتصف له حقه لأجل فراره إلينا ... وإذا خرج من داره (أي دار نائب القنصل) فلا تجافيه** مما صدر منه من الزوك لأنه ليس خاف عنك رتبة من استجار عنده ... »[٢٢] .

ومن الأمثلة أيضا على إيواء الفارين من القانون ما قام به نائب قنصل الولايات المتحدة جون كوب John Cobb في الدار البيضاء والذي قام ببيع شهادات الحماية لعدد من المغاربة ، وكان من بينهم مجرما قتل خمسة أشخاص وبحصوله على تلك الحماية أصبح من المتعذر على السلطات المغربية القبض عليه إلا بعد موافقة القنصل أو نائبه . ويبدو أن نائب القنصل كان متواطئ مع ذلك المجرم الذي استطاع أن يفلت من القضاء المغربي[٢٣] . وفيما لو حدث وأن حوكم فسوف يحاكم من قبل الدولة الحامية له استنادا إلى المعاهدات المبرمة بين المغرب وبعض الدول الأوروبية والمشار إليها سابقا .

لم تكن التجاوزات الأمنية تقتصر على إيواء الفارين من القانون ، بل تعدت ذلك إلى تهريب

الأسلحة إلى المغرب ، وبالطبع كان الأجانب يقومون بتخزينها في منازلهم والسلطات المغربية غير قادرة على تفتيش منازلهم إلا بعد أخذ الإذن من قناصلهم في طنجه . وللمثال على تهريب التجار للأسلحة ، ما قام به أحد التجار الأمريكيين والمدعو كوب (Cobb) وورد ذلك في الرسالة التي وجهها السلطان الحسن بن محمد إلى محمد الطريس حيث قال فيها « ... وبعد فقد بلغ لشريف علمنا أن التاجر كوب المركاني أدخل من المرسى اختلاسا ماكينة القرطوس* وصار يخدم بها قرطوس المكاحل ذات عمار ١٦ ويبيعها لأهل البادية ... »[٢٤] . إن تلك الممارسات من التجار الأجانب خلقت للمغرب مشاكل داخلية أدت إلى زعزعة الأمن وعدم استقراره ، خاصة وأن أولئك المهربين ساعدوا بقصد أو بغير قصد القبائل المتمردة ضد المخزن بل أنهم ببيعهم للأسلحة شجعوا قبائل أخرى بإعلان تمردها وامتناعها عن دفع الضريبة التي كانت تمثل أهمية كبيرة لخزينة الدولة المغربية[٢٥] .

إن التجاوزات الأمنية كتهريب الأسلحة وبيعها على أهالي المغرب الأقصى لم تقتصر على التجار ، بل تعدت ذلك إلى القناصل ونوابهم . فعلى سبيل المثال قام القنصل الأمريكي فليكس ماثيوز Felix Mathews باستجلاب بعض البنادق وأدخلها عنوة بدون السماح من السلطات المغربية . ويبدو أن نائب السلطان في طنجة كان لا يستطيع إيقاف تلك التجاوزات ، لذلك اضطر إلى إرسال خطاب إلى الوزير الأعظم محمد غريط يخبره بتلك الحادثة ويطلب منه بعض التوجيهات التي يمكن اتخاذها حيال تلك الحوادث . وبالفعل قام الوزير الأعظم بالرد على خطاب الطريس وذلك بقوله « .. وعلمنا ما ذكرته من أن حملة اقتياياته (أي القنصل الأمريكي) الجديدة أنه ورد له صندوقان من المكاحل وظهر إلى المرسى فمنعهما الأمناء عليه ... (وذهب) بنفسه للمرسى وأخرجهما منها كرها واطلعت بذلك شريف علم مولانا وصار على بال ... »[٢٦] .

ومن الأمثلة على التجاوزات الأمنية التي كانت تمارس في المغرب الأقصى من الأجانب ، التهريب واللصوصية والتي عادة ما يمارسها الأسبان والذين كانوا متعاونين مع بعض اللصوص والفُسّاد المغاربة . فعلى سبيل المثال ، قام أحد الأسبان بالتعاون مع بعض الفُسّاد الذين يحترفون اللصوصية ، حيث يقومون بسرقة الناس وهو بدوره يهرب السلع المسروقة . وورد ذلك في إحدى الرسائل المتبادلة بين عمال المخزن حيث ذكر فيها « ... وبعد فالاعلام لمجادتك أن نصرانيا أصبينول اسمه خوان كان يخدم بكروصه* في المرسى وكثيرا ما يقع به التشكي في كنطر بنض** ويعي القنص الذي يكون هناك مكابرة وعنادا ولم تجر الأقدار بأخذه بحجة بالغة ولما بارت حيله وانقطع من المعاش بها أمله ، اشترى غلة جنان قرب البلد واتخذه فنضة*** واجتمع عليه من لا خلاق له ... ثم تفاقم الأمر عنده وجعل أهل الزيغ ينهبون الحب والعنب والبقر والغنم ويشترى ذلك منهم ويسقه كنطر بنض ...فتصدينا للقبض على الفعال بالجد ليلا ونهارا فأخذهم الله ببغيهم ... »[٢٧] .

ومن سياق الرسالة يتضح أن السلطات المغربية كانت تحاول جاهدة إيقاف تلك الممارسات ،

ولكن يبدو أن الأجانب كانوا يتمتعون بامتيازات ومكاسب استطاعوا الحصول عليها ، ومن ثم جعلتهم يتمادون في تجاوزاتهم دون إعطاء أي اعتبار للبلاد أو لقوانينها .

التجاوزات القضائية والقانونية

من خلال المعاهدات المبرمة بين المغرب الأقصى وبعض الدول الأوروبية ، استطاع الأجانب الحصول على امتيازات قانونية خولت للقناصل أو نوابهم الحكم في معظم القضايا التي يكون الرعايا الأجانب طرفا فيها[٢٨] . ونتيجة لذلك أخذ أولئك القناصل ونوابهم يطبقون قوانين بلادهم ليس فقط على رعاياهم بل على الرعايا المغاربة ، وخاصة إذا كان أحد المغاربة يريد الحصول على حقوقه فيجب أن يعرض قضيته على القنصل الأجنبي كي يحصل عليها . وبالطبع زاد تظلم المغاربة من الممارسات التعسفية التي يقوم بها الأجانب في المغرب الأقصى خاصة وأن هؤلاء يعلمون مسبقا بأن الفصال في القضايا سوف يكون على أيدي قناصلهم الذين وضعوا في المغرب للدفاع عن قضايا رعاياهم وليس لإنصاف الرعايا المغاربة . ومن الأمثلة على ذلك ما قام به أحد الفرنسيين في مدينة مكناس حيث انهال على محتسب فاس بالسب والإهانة على وجوه الأشهاد ، ولم يستطع المحتسب أن يرد عليه خوفا من تطور القضية إلى مالا يحمد عقباه . وعندما رفعت القضية إلى القنصل الفرنسي في طنجه ليحكم فيها ويؤدب ذلك المتسلط على عمال المخزن قام بإهمالها ولم يعطها أي اهتمام ، مع العلم أن السلطان الحسن شدد على إنصاف ذلك المحتسب لكي لا تتكرر تلك الأعمال المهينة تجاه عماله[٢٩] .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أخذ القناصل ونوابهم بل ورعاياهم في تجاوزاتهم المشينة ضد المغرب وشعبه . ومن هذه التجاوزات ماكان يقوم به التجار الأجانب من محاولات لشراء ذمم الناس نظير إعطائهم الحمايات .

وفي الواقع إن الكثير من المغاربة أخذوا في البحث عن تلك الحمايات بأي ثمن وبأية وسيلة بل ووصل الأمر ببعض الناس في عدم ممانعته بالإدلاء بالشهادة زورا كي يتحصل على ورقة الحماية ، ولقد أدركت الحكومة المغربية خطر تلك التصرفات التي تركت آثارها واضحة على ضياع حقوق الناس . ليس هذا فقط بل أن الساعين وراء تلك الحمايات أصبح ولاؤهم للدول الأجنبية الحامية لهم ، لذلك حاولت الحكومة المغربية جاهدة الحد من ذلك واستنكاره . وهذا ما فعله والي الدار البيضاء ، على سبيل المثال ، الذي أرسل إلى نائب السلطان محمد بركاش طالبا منه الاحتجاج عند قناصل الدول الأجنبية فيما يصدر من رعاياهم من ممارساتهم غير القانونية[٣٠] .

لم يتوقف الأمر عند محاولات التجار الأجانب بالمساومة على بيع شهادات الحمايات ، بل أخذ بعض القناصل ونوابهم يتدخلون في شؤون القضاء المغربي ويستخدمون نفوذهم في سبيل الوصول

إلى أغراض شخصية . ومن تلك الممارسات ما طالب به القنصل الأمريكي وليم ريد لويس Wiliam Read Lewis من محمد بركاش وذلك بمعاقبة قاضي العرائش ومعاونه نظير مشادة بين نائب القنصل الأمريكي بالعرائش وبين أحد أعوان القاضي والذي ذهب إلى بيت نائب القنصل يطالبه بحضور أحد التجار الأمريكيين إلى مقر القاضي كي يناقش معه بعض القضايا المعلقة بين ذلك التاجر وبعض المغاربة . ومن فحوى الرسالة يتضح لنا حجم النفوذ الذي كان يمارسه القناصل الأجانب ضد القضاء المغربي بل وضد السلطات المغربية بدون استثناء ، وكما ورد وصف الحادثة على لسان القنصل الأمريكي في طنجه الذي زود بمعلومات عن تلك الحادثة من نائبه في العرائش وذلك بقوله « ... ذهب صاحب القاضي المذكور إلى دار خليفتنا وخرج منها صاحب خليفتنا غضبا وقدم معه إلى جسينة القاضي المذكور ... فلما كان خليفتنا آتيا إلى مسكنه صادقا مع صاحب القاضي ... فسب عون القاضي المذكور ... خليفتنا قائلا له أن مولانا قادما إلى هنا ليسجن صاحبك ولينضع (وليقطع) رأس كل النصارى ... ولتعلم أيضا أن القاضي المشار إليه كان عزله المخزن من مقامه ... وذلك عن سبب السب الصادر منه على أحد من رعية المركان في وقت ماطيوس ... ولاشك أن العون المذكور لم يفعل كما ذكر إلا بإذن القاضي المذكور وعليه فالمطلوب من فضل سيادتكم هو تمكيننا بكتاب توبخ القاضي المذكور .... وتأمر فيه عقوبة العون المذكور بما يقتضي الحق ... »(٣١) .

ومن خلال الرسالة السابقة يمكننا أن نلمس تعجرف الأجانب في المغرب الأقصى وعدم امتثالهم لقوانين البلاد . ليس هذا فقط بل إنهم استخدموا نفوذهم ضد عمال المخزن ومن بينهم القضاة الذين يقفون على هرم السلطة التشريعية . وفي حقيقة الأمر لقد كان الأجانب وخاصة من يعمل في السلك الدبلوماسي يقومون بضغوط كبيرة على الحكومة المغربية ، وأكبر دليل على ذلك ما أشارت إليه الرسالة حيث ذكر فيها بأن قاضي العرائش قد عزل من المخزن نتيجة زجر القاضي لبعض الرعايا الأمريكيين .

ومن التجاوزات القضائية التي مارسها الأجانب في المغرب الأقصى محاولات بعض القناصل تمييز اليهود في القضاء عن المسلمين . ومن الأمثلة على ذلك ما قام به القنصل الإنجليزي في الجديدة والذي طالب عامل تلك البلدة محمد بن إدريس برفع عقوبة الضرب عن اليهود* . وقد ورد ذلك في الرسالة التالية « .... وبعد فليكن في كريم علمكم أعزكم الله أن اليهود بهذا الثغر الجديدي وكذا بأزمور قد حصل منهم تطاول وبعض جسارة لأنهم سمعوا من بعض تجارهم وكبارهم أن اليهودي إذا ارتكب جريرة ورفع إلى الحاكم فإنه لا يؤدبه بالضرب وإنما يؤدبه بالسجن لاغير ... واعلم سيدي أن أصل هذه القرحة ومادتها من قونصو الإنجليز هنا فإنه الذي ينافح عن اليهود ويدفع عنهم بزعمه ، ولقد بعث إليّ بذلك غير ما مرة ... ولا يخفى على سيادتكم مافي هذا من تمييز اليهود من

المسلمين ... ولا سبيل إلى حسم هذا الداء إلا بإبطال هذا القانون من أصله مع أنه لا أصل له ، أو يرفع التأديب بالضرب حتى عن المسلمين لتحصل المساواة ... »(٣٢) .

لم تكن تجاوزات الأجانب وخاصة القناصل ونوابهم تقتصر على التدخل في القضاء المغربي في محاولة لإضعافه ، بل وصل الأمر بهم إلى ممارسة القوانين الأجنبية على الرعايا المغاربة الذين لا يحتمون بالدول الأجنبية . وبالطبع كانت تلك السلوكيات التي يقوم بها بعض القناصل الأجانب تعديات صارخة على القضاء المغربي وتتنافى مع الشروط التي ضمنت للأجانب في المعاهدات المبرمة بين المغرب والكثير من الدول الأجنبية . ومن أمثلة ما كان يقوم به القناصل ونوابهم ماورد في الرسالة التالية « ... وبعد فقد بلغنا أن النواب وخلائفهم صاروا يترامون هناك على الناس ويجرون عليهم أحكامهم ، ومن جملة من وقع له ذلك دابيد بن موسى الشريقي الذي ترك الاحتماء بالسويد واحتمى بجانبنا السعيد ، فقد رفع الشكاية لحضرتنا العالية بالله بأن خليفة قونصو الفرنصيص (الفرنسيين) ترامى عليه وحكم بسجنه أربعا وعشرين ساعة ، وكلمته في ذلك فامتنع من بيان سجنه إياه ومن تسريحه ، وهذا مخالف لما في الشروط من عدم مد يد حاكم رعية في أحد من رعية حاكم آخر ، وإنما يعلم بقضيته حاكمه وهو يجري عليه الأحكام ، ومثل هذا هو السبب في وقوع النقص في رعيتنا والزيادة في رعية أخرى ... »(٣٣) .

ومن العبارة الأخيرة في النص السابق يمكن إدراك الآثار التي ترتبت على التجاوزات الأجنبية والتي جعلت الكثير من المغاربة يبحث عن دولة يحتمي بها لكي يضمن حقوقه وحتى لا يصبح عرضة للتجاوزات الأجنبية والتي سوف يعاني منها إذا كان من رعايا المخزن .

إن تدخل القناصل الأجانب ونوابهم لم يقتصر على التدخل في القضاء المغربي وإنما تعدى ذلك إلى تطويع القوانين لصالحهم ولصالح رعاياهم في المغرب الأقصى ، بل ورفض تلك القوانين إذا كانت تتعارض مع مصالحهم . فكما هو مقرر فلقد ضمنت المعاهدات المبرمة بين المغرب وبعض الدول الأوروبية لرعايا تلك الدول حق الاتجار لحسابهم الخاص ولكنهم أخذوا في مخالطة المغاربة كشركاء تجاريين ، وبتلك الشراكة ضمنوا لهم حق الحماية . ونتيجة لذلك أخذ الكثير من أولئك الخلطاء لا يمتثلون لقانون البلاد بحجة أنهم محميون ، ومن الاستدلالات التي يمكننا الاستشهاد بها ما كتبه السلطان الحسن إلى نائبه في طنجة يطلب منه التدخل لإيقاف تلك الممارسات وذلك بقوله « .. وبعد فقد كتب خديمنا الطالب محمد بن إدريس الجراري وعامل أزمور مشتكين من نصارى الجديدة وقناصيلهم بالترامي على مالاتعلق لهم به من غير قانون ، حتى ادعى حل سكان أزمور الحماية والمخالطة ، ومن تعينت عليه دعوى شرعية يأنف منها ، حيث إنهم يدعون مخالطة أهل الحرف والمهنة ... وطول السكوت على مثل هذا يحل عرى الأحكام ويفتح الأبواب التي يتعذر سدها ... فنأمرك أن تقوم على ساق الجد في مباشرة كل ما يكتب (لك به) من ذلك حتى ينضبط الأمر

ويبنى على أساس الجد موافقا للشروط والقوانين ... »[٣٤] .

ومن الأمثلة على خرق القوانين هو اتخاذ المغرب الأقصى معبرا لتهريب الرقيق إلى أوروبا على الرغم أن الدول الأوروبية كانت قد ألغت العمل بالرق في القارة الافريقية منذ بداية القرن التاسع عشر[٣٥] . ومع ذلك لم يعر الأجانب اهتمامهم للقوانين المغربية والدولية ، بل أخذوا في تصدير الرقيق أمام مرأى ومسمع من السلطات المغربية والتي كانت لا تملك إلا الاستنكارات والاحتجاجات من خلال الرسائل التي كانت توجهها إلى قناصل الدول الأجنبية . ومن تلك الرسائل التي تؤكد على تجاوزات الأجانب في تهريبهم للرقيق ما قام بإرساله السلطان الحسن إلى محمد بركاش يزوده ببعض التعليمات والتي طالب بها بركاش نتيجة لتهريب بعض الأسبان للرقيق من المغرب . ومما ورد في تلك الرسالة على لسان السلطان الحسن قوله « ... فقد وصلنا كتابك جوابا مما كتبنا لك به في شأن الوصيفين اللذين وسقهما النصراني باروص الصبنيولي (الأسباني) نائب أسبانيا بديوانه مرسى الجديدة على وجه التعصب والافتيات ، وذكرت أنك تكلمت مع الباشدور* فألفيت باروص المذكور وجه الاسترعاء على منعه من ذلك فلم يقبله وكتبت واسترعيت وطلبت رجوع الوصيفين والعقوبة على الافتيات الواقع حسبما في النسخة من الكتاب الذي كتبته له ... وأنك لا تغفل عن هذه الدعوى فاجعلها نصب عينيك ومن أهم أمورك حتى يقع عليها الحكم ولابد ... »[٣٦] .

لقد كان للتجاوزات القانونية والقضائية من الأجانب الأثر الكبير في نفوس المغاربة الذين لم يدخلوا في حمايات الدولة الأجنبية ، حيث أخذت حقوقهم تستحل من قبل الأجانب . وبالطبع انتاب أولئك المغاربة شعور بالإحباط عندما أدركوا مقدار النفوذ الذي كان يتمتع به الأجانب والذي كان يمارس على الشعب المغربي في شبه حيرة من الحكومة المغربية التي هي الأخرى كانت تقف عاجزة أمام التدخلات الأجنبية في شؤون رعاياها . وزاد الأمور تفاقما عندما أخذ الأجانب في ممارسة تجاوزاتهم على القضاء المغربي والذي يستند إلى الشريعة الإسلامية ، بل إنهم عطلوا العمل بالدستور المغربي في أكثر القضايا حيث أخذوا يمارسون قوانين بلادهم في المغرب . ولم يتوقف بهم الأمر عند هذا الحد بل قاموا بالإساءة إلى القضاة والذين يعتبرون رمز العدالة . وبتلك التجاوزات ضاعت حقوق الشعب المغربي الخاصة وذلك في عدم تمكن أفراده من الوصول إلى حقوقهم ووجهت الضربة القاصمة إلى قانون البلاد الذي كان بمثابة الروح للعدالة والتي بدونها يغيب الأمن والاستقرار .

التجاوزات الدينية والاجتماعية

حرص الأجانب على التركيز على حقوقهم الدينية في المعاهدات المبرمة مع المغرب الأقصى والتي ضمنت لهم ممارسة شعائرهم الدينية دون التعرض لهم[٣٧] . ومع ازدياد المصالح الأجنبية في

المغرب تنامى التواجد الأوروبي في المغرب وأخذ المستوطنون الأوروبيون في تحويل حقوقهم إلى تجاوزات ضد أهالي البلاد المسلمين. ومن أهم تلك التجاوزات هو محاولة تنصير المسلمين والتي يعود جذورها في العصر الحديث إلى القرن السادس عشر الميلادي حيث كان للمسيحيين جهودهم المتواصلة في نشر المسيحية مستخدمين عدة وسائل وأساليب وطرق في سبيل الوصول إلى أهدافهم(٣٨) .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ازدادت جهود المبشرين مع ازدياد أعدادهم والتي أخذت تصل إلى المغرب من معظم الدول المسيحية . وحال وصولهم شرع أولئك المسيحيون في بناء الكنائس ومراكز التنصير والتي أصبحت منتشرة في معظم مدن المغرب الأقصى ، فلقد بلغت تلك المراكز في منتصف الثمانينيات من القرن التاسع عشر أكثر من سبعين مركزا(٣٩) . ومن الأمثلة على ازدياد جهود المبشرين والذين ربطوا نشاطهم الديني بأهدافهم الاستعمارية ما قام به شارل دوفوكو (Charles de Foucauld في المغرب الأقصى خلال النصف الثاني من القرن التاسع وبداية القرن العشرين حيث كان له جهوده المضنية في الجزائر وفي المغرب الأقصى . ومن تلك الجهود اهتمامه ببحث الوسائل التي تساعد الفرنسيين على التدخل في شؤون المغرب وعمله كمبشر نشط بين قبائل جنوب المغرب(٤٠) . وبالطبع كانت تلك الممارسات تجاوزات تعدت ماهو معطى للمسيحيين في المغرب .

ولم يقتصر التنصير المسيحي على المسلمين ، بل تعدى ذلك ليشمل الأقلية اليهودية في المغرب . فلقد قامت إحدى البعثات المسيحية الإنجليزية بالدعوة إلى المسيحية بين يهود الصويرة ، فما كان من أعيان اليهود في تلك البلدة إلا أن دفعوا شكايتهم إلى السلطان الحسن بن محمد يطلبون منه منع البعثات المسيحية من الدعوة بين اليهود . ونتيجة لذلك قام السلطان الحسن بإرسال تعليمات إلى نائبه في طنجه محمد بركاش يخبره بتلك التجاوزات ويطلب منه إخبار القنصل الإنجليزي بذلك ، بل ويطالبه بكف مواطنيه عن الدعوة إلى المسيحية في تلك المدينة وورد ذلك على لسان السلطان بقوله « ... وبعد فقد رفع الشكاية لحضرتنا العاليه بالله تجار اليهود بمرسى الصويرة أن أصحاب الدين الجديد الحادثين (الحديثي) السكنى بالصويرة اشتغلوا بالوسوسة والخوض في دينهم وحض أولادهم (أي أولاد المسلمين) ومساكينهم على إبدال دينهم بدينهم الجديد ، وأعطوهم الدراهم التي لها بال على ذلك ، حتى جلبوا منهم نحو المئتين بين صبيان وصبيات وصاروا يقرؤنهم قراءتهم ، وطلبوا رفع ضررهم عنهم بمنعهم من السكن معهم . فنأمرك أن تتكلم مع باشدور جنسهم ، وأن لا تقصر معه في كل ما يبعدهم ويجليهم ويقصيهم عن هذه الإيالة المحروسة بالله ... »(٤١) .

ولم تقف تجاوزات الأجانب عند الدعوة إلى المسيحية ، بل حاولوا استخدام أساليب ملتوية . ومن بين تلك الأساليب إخراج الناس من دينهم أو بمعنى آخر إضعاف الإسلام في نفوس الناس ومن

ثم استدراجهم إلى المسيحية[٤٢] . ومن الأمثلة على تلك التجاوزات ماكان يقوم به بعض الأجانب في المغرب وخاصة في مدينة طنجه من لعب القمار والذي تحرمه الشريعة الإسلامية ، لذلك حاولت الحكومة المغربية إيقاف تلك التجاوزات وهذا ما نلمسه من رسالة محمد الطريس الموجهة إلى القنصل الأمريكي فليكس ماثيوز Felix Mathews حيث قال فيها « ... فغير خاف عن جانبكم أن لعب القمار هو أمر محرم في ديننا مضروب على يد متعاطيه من الرعية المراكشية ، كما أننا نعلم أن التجاهر بلعبه هو ممنوع أيضا في جل إيالات الأجناس كما هو معلوم عند كافة العقلاء ... وحيث شاع لعب القمار بهذه البلدة بيد رعايا الأجناس ... (حيث إن) بعض الأجانب في الأسواق يتحيلون بها على نزع الدراهم من يد الأولاد ويحرضونهم بذلك على اختلاس أموال أهلهم وغيرها (و) صدر لنا أمر شريف بتكليم جانبكم في ذلك بغاية التأكيد فنرجو منكم كف هذه الأضرار العامة بوقفكم أحسن الوقوف في قطع لعب القمار وإبطال محلاته والضرب على أيدي متعاطيه من رعاياكم والتشديد في إجراء الأحكام عليهم نظرا لما في ذلك من المصلحة العامة الواضحة وحب الخير والسلامة لساير الناس ...»[٤٣] .

إن التجاوزات الأجنبية في المغرب لم تقتصر على الدعوة المسيحية وإدخال بعض العادات الغربية إلى المغرب ، بل تعدت ذلك إلى توريد الخمرة إلى المغرب وبيعها ، مع أن الشريعة الإسلامية تحرمها باعتبارها أم الخبائث وأكبر الكبائر[٤٤] . تلك التجاوزات وردت في إحدى الرسائل المرسلة من السلطان عبد الرحمن إلى نائبه في طنجه والتي يقول فيها « ... وبعد فقد صار تجار النصارى يأتون من الخمر للمراسي بأكثر مما يكفيهم هم واليهود ، ولم يكن الأمر كذلك قبل هذا الوقت وتوقف أمناء الصويرة فيما يفعلون فيه فأمرناهم بأن يعشروا مما يأتون به القدر الذي يكفيهم ، وأما مازاد عليه فلا يعشرونه ولا يقبلونه لما فيه من الضرر ... »[٤٥] .

ومن الرسالة السابقة يمكننا ملاحظة أن الحكومة المغربية كانت تحاول جاهدة إيقاف استيراد مازاد عن حاجة الأجانب من الخمر والتي تسمح به شريعتهم ، ولكنها لم تنجح في ذلك حيث أخذ بعض التجار في الاستمرارية في توريد الخمر إلى المغرب . فلقد قام أحد التجار الأمريكيين والمدعو حيم كوهين Haim Cohen باستيراد خمسة وعشرين برميلا من الخمر والزيتون ، ومن الطريف في الأمر أنه عندما وجد كوهين أن برميلين غير ممتلئين طالب بتعويضات من الحكومة المغربية نظير ذلك النقص . ولقد وردت شكوى ذلك التاجر على لسان القائم بأعمال القنصلية الأمريكية روبرت ستوكر Robert Stolker حيث قال « ... فلنرفع لعلم جنابكم دعوة أتى بها التاجر حيم كوهين على أمناء مرسى طنجة ونصها : أنه إن قد وصله بالمركب (الذي) اسمه فاس خمسة وعشرون برميلا من الخمر والزيتون ومن جملتهم قد وجد برميلان غير ممتليان فطلب التاجر كوهين المذكور ثمنها سبعة وستون ريالا وأربعة بلاين من الأمناء ... وعليه أطلب من جنابكم اجتماع المبلغ المدعى به في

الحساب طيه لأن تلك الخسارة واقعة لإهمال خدام الأمناء ... »(٤٦) .

ومن الأمثلة أيضا على توريد الخمر وبيعه دون إعطاء أي اعتبار للقيود الدينية والقوانين المغربية ، ما كان يقوم بعض الأسبان من بيع الخمر في مراكش ، حيث ورد ذلك في رسالة السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى نائبه محمد بركاش والذي قال فيها « ... وبعد فإن هنا بمراكشة نصرانيا من جنس الصنبيول يسمى ببي مشتغل بأمور لا تصلح ولا يليق السكوت عنها ، منها أنه يبيع الخمر جهارا للمسلمين ويفسد بذلك أولادهم ومن لا عقل عنده منهم ، وترتبت على ذلك مفاسد ، إذ من يفقد عقله لا يضبط ما يفعل ولا يبالي بشيء ... »(٤٧) . وفي نهاية الرسالة طلب السلطان من نائبه أن يضع حد لتلك الممارسات عن طريق مناقشة ذلك مع القنصل الأسباني في طنجه .

ولم يأبه الأجانب بشعور أهالي البلاد من المسلمين ، خاصة عندما أخذوا في تربية الخنازير والتي يعتبرها المسلمون نجسه وأكل لحومها محرم في الإسلام . وضاعف الأجانب من تحديهم للمسلمين عندما أخذوا في تربية الخنازير على نطاق واسع ، وكان هدفهم من ذلك هو المتاجرة فيها وتصديرها للخارج وليس من أجل الاستهلاك المحلي والذي سمح لهم به من قبل السلطات المغربية على أن لا تضر تلك الخنازير بمصالح المسلمين . وفي الواقع أن انتشار تربية الخنازير في المغرب أضر بمصالح المسلمين ، خاصة وأن تلك الخنازير عادة ما تخلف آثاراً واضحة على مزارع المغاربة وبساتينهم . ولقد رفع المسلمون تذمرهم من ممارسات الأجانب التعسفية إلى السلطان محمد بن عبد الرحمن والذي زود نائبه بركاش بتعليمات وأوضح له خطورة الاستمرارية في ذلك حيث قال « ... وبعد فإن من الأمور المضرة بالمراسي ما أحدثه بعض النصارى بها من تربية الحلاليف* حتى كثروا (كثرت) وصاروا يسرحونها في الخلاء ويروحون بها للمدينة ، وحصل للناس ضرر كبير بها لأنها تضر بالناس ، خصوصا بالنساء والصبيان وبأجنتهم وبحائرهم** فلابد تتكلم مع نواب الأجناس فى أمرها وبين لهم ضررها ليحسموا مادتها ، ومن أراد منهم واحدا أو اثنين منها فليجعلنه باروى*** مثلا ويحصره عن الناس ، وقد أحدثوها حتى بالبادية ولا يليق ذلك لإضرارها بالناس ... »(٤٨) .

إن التجاوزات الأجنبية وصلت إلى حد لم يكن يتصوره المغاربة البتة ، فلقد تجاوزت ممارسات الأجانب التعسفية المغاربة الأحياء لتشمل المغاربة الأموات . فلقد أخذ بعض التجار بوسق (بتصدير) العظام إلى أوروبا واستخدمها في بعض الصناعات ومن أهمها تكرير السكر . وفي حقيقة الأمر أن تصدير العظام كان مقصورا على عظام الحيوانات ولكن التجار الأجانب تطاولوا على مقابر المسلمين وأخذوا في نبش القبور وجمع العظام وتصديرها إلى أوروبا خاصة وأن عظام الآدميين نوعية مرغوب فيها . ونتيجة لذلك تدخلت السلطات المغربية ومنعت وسق العظام ولم تعد وسقها مرة أخرى ألا بعد أن وضعت تنظيمات تحرم تحريما باتا وسق عظام الآدميين ، وذلك بسبب أن للميت المسلم حرمة كحرمة المسلم الحي(٤٩) . ولقد وردت فحوى تلك التجاوزات في الرسالة الموجهة إلى

القنصل الأمريكي بطنجه حيث قال فيها « ... فقد أخبر المحب منسطر (منستر*) دولة الألمان الفخيمة أن تجار رعيتهم يطلبون تسريح وسق العظام من مراسي هذه الإيالة السعيدة لتوفر عدد كثير منها تحت أيديهم ... ولم يجدوا سبيلا لوسقها لمنع المخزن لهم بسبب ماوقع من نبش المقابر ووسق عظام الموتى ، وذكر أنهم التزموا بأن لا توسق العظام إلا من ديوانة المرسى يفحصها طبيبا لاستبيانها (هكذا) ويشهد كتابة بأن لا عظام فيها للآدمي وحينئذ توسق ... »[٥٠] .

وعلى أن الحكومة وضعت ضوابط لعدم وسق عظام الآدميين ، إلا أن هناك الكثير من التحايل خاصة وأن النفوذ الغربي كان قد وصل إلى مداه في تلك الفترة . ويجب الإشارة إلى أن هذا المقتطف من الوثيقة السابقة يوضح لنا الوجه الحقيقي للاستغلال الأوروبي ، بل والإهانة والازدراء الحقيقيين واللذين يوجهان إلى أفراد الشعوب التي فرضت عليهم السيطرة أو كانوا في موقف ضعيف سواء كانوا أحياءً أم أمواتا . ويجب إدراك حقيقة واحدة ولا غير ألا وهي محاولة الغربيين الوصول إلى مصالحهم ، ومن ثم المحافظة عليها مهما تعددت الطرق وتنوعت الأساليب .

وإلى جانب التجاوزات الدينية مارس الأجانب تجاوزات تكاد تكون اجتماعية أكثر منها دينية ، ولو أنها تمس الشعور الديني للمسلمين بطريقة أو بأخرى . ومن تلك التجاوزات هو إصرار الأجانب على البقاء على المقاهي وعدم تنفيذ أوامر السلطان محمد بن عبد الرحمن بإغلاقها . وفي الحقيقة أن أوامر السلطان جاءت بإغلاق المقاهي لكي يقضى على تلك الأماكن التي تعتبر وكراً من أوكار بيع الخمر والذي تحرمه الشريعة الإسلامية[٥١] . وعلى أن المغاربة غير المحميين امتثلوا لأوامر السلطان بإغلاق المقاهي ، إلا أن الأجانب أخذوا في تحريض المحميين بعدم غلقها بحجة أن هؤلاء لايخضعون للقانون المغربي . ونتيجة لذلك أخذ بعض ولاة المدن بالشكوى إلى نائب السلطان في طنجة محمد بركاش لعله يوقف تلك التجاوزات وورد في تلك الشكوى قوله « ... وبعد فالإعلام لسيادتك المحفوظة بالله بأنه وردني أمر سيدنا الشريف بقطع سائر القهاوي التي هنا لاجتماع الأوباش بها والسفلة من الناس ، فامتثلنا أمر سيدنا الشريف وقطعناها عن آخرها ولم يبق واحد من المسلمين يتعاطاها ، فإذا ببعض النصارى مع بعض اليهود الذين هم في الحماية تولوها واشتغلوا في ما ينشأ عن جمعهم بها من المناكر والكلام (و) اللغو الذي تمجه الطباع ولا يقبله السماع فلما تكلمنا في أمرها مع بعض نواب القناص (القناصل) ذكروا لنا أنهم لا يقدرون على منع من في حمايتهم منها إلا إن صدر لهم الإذن من أكابرهم هناك ... (أي في طنجه) وعليه فنحبك بارك الله فيك أن تباشر الكلام مع الباشدورات هناك وتسعى في قطع تعاطيها على يد من كانت أهل الحمايات ... »[٥٢] .

وبلغ الطيش بالأجانب عندما أخذ بعضهم في فتح أماكن خاصة لبيع الخمر وأماكن للدعارة ، وبالطبع وقفت الحكومة المغربية من ذلك موقفا حازما ، ولكن يبدو أن النفوذ الأجنبي كان أقوى من موقف الحكومة المغربية ضد التجاوزات الأجنبية . فلقد قام أحد الأسبان في الرباط بفتح محل تجاري

لبيع الخمر ووضع بجانبه مكان آخر للترويح للبغاء ، مما جعل عامل المدينة يقوم بمراسلة نائب السلطان في طنجة ، يطلب منه تعليمات يوقف بها تلك الممارسات التي تتعارض مع الدين الإسلامي ومع تقاليد المجتمع المغربي . وجاء في رسالته قوله « ... وبعد فاعلم أخي أن نصراني من جنس الصبنيول اسمه فرشيشك ساكن بدار المكي وجعل فيها تبرنات* ، ولها بابين ، باب السوق ، والباب الآخر هو بابها القديم بدرب السلالين جعله حانوت مفتوح للدار وجعل فيه رجل يقال له الجيلالي البسلامي** يبيع الخمر ، ... وهذا الجيلايلي الذي يجلس به هو مشتغلا بالفساد ، وجماعة السفهاء مثله لا يبعدون عنه من الحانوت لحظة واحدة ، وجواره بالحومة يترددون إلينا كل ساعة يقولون أن هذا الحانوت فسد أولادهم بشرب الخمر وشرب سكار وخلطة الفساد وهذا الرجول (الرجل) يتعرض للنسوان الذي (اللاتي) بجواره ويسومهم بالفساد ، فمن طوعه يدخله بداره هو ومن أراد ... ويمنعون أهلهم منهم ولا يتمكنون منهم إلا بعد مشقة ، ومن لم يطاوعه على الفساد يسبه ويقدحه ولا يخاف من لومة الأحكام أبدا حيث هو مخالط مع النصراني المذكور .... وقد شهد جواره بالسوق النسوان المومسات خارجين من عنده ولازلت لم نجد سبيلا لنزع هذا الضرر العظيم من البلاد ، لئن النصراني لما يسمعنا تكلمنا في هذا الأمر نسمع منه مالا يصلح ومرارا يتهدد بالحديد على من يروم الكلام في شئ ... »[٥٣] .

لقد كان لتجاوزات ذلك المفسد الأسباني وغيره من الأجانب الذين كانوا على شاكلته أثر كبير في زعزعة أركان المجتمع المغربي وضربه في الصميم . فلقد أخذ أولئك الفساد في التسلل إلى داخل المجتمع المغربي ذي الشخصية الإسلامية ، محاولين إضعافه دينيا والقضاء على عاداته وتقاليده . وفي الواقع أن تلك الممارسات لم تلاق النجاح الكبير ، بل ظلت فردية خاصة عندما تنبهت الحكومة المغربية لخطر تلك التجاوزات وحاولت تحجيمها منذ البداية ، إضافة إلى ذلك أنها وجدت رفضاً من معظم أفراد الشعب المغربي لأنها تتعارض دينيا وخلقيا مع مقومات مجتمعهم المحافظ .

التجاوزات الاقتصادية

تعتبر المصالح الاقتصادية الأجنبية على رأس قائمة المصالح الأجنبية في المغرب . ومن هذا المنطلق أخذت معظم الدول الأجنبية تركز على مصالحها التجارية سواء كان ذلك في تجارتها الخارجية مع المغرب أو في مصالح رعاياها التجارية داخل المغرب . لذلك نجد أن بعض المعاهدات الأجنبية مع المغرب خُصِصَت فقط للشؤون التجارية ، وهذا ما حدث بعد هزيمة المغرب من أسبانيا سنة ١٨٦٠م حين وقَّعَ المغرب صلحاً مع الأسبان ثم عقد في السنة التالية معاهدة تجارية مستقلة كان الهدف منها ضمان امتيازات تجارية جديدة للأسبان[٥٤] . وعلى أن من بين شروط المعاهدة ماذكر فيه بأن جميع الواردات إلى المغرب يفرض عليها عشرة في المائة ، أما الصادرات فلقد ألحق قائمة بأحد بنود المعاهدة توضح ما يؤخذ عليها . وبالطبع حصلت أسبانيا على امتيازات جمركية ضمنت من

خلالها حصولها على الكثير من المواد الغذائية والمواد الخام بأسعار زهيدة[٥٥] . ومع ذلك لم يقتنع الأسبان ولا غيرهم من الأجانب بما حصلوا عليه من امتيازات في المغرب ، بل أخذوا في ممارسة تجاوزاتهم المشينة والتي أضعفت المغرب اقتصاديا حيث أصبح يعاني من مشاكله الاقتصادية إلى جانب مشاكله الأخرى .

ومن الأمثلة على تجاوزات التجار الأجنبية ماكان يقوم به التجار الأجانب والمقيمين في المغرب من استيراد سلع من أوروبا ، وعند وصولها إلى مراسي المغرب لا يؤدون الأعشار عليها بحجة أن تلك السلع للاستخدام الشخصي ، أو الإهداء وليس لغرض المتاجرة ، وللاستشهاد على ذلك ماورد في إحدى الرسائل المخزنية والموجهة من محمد بركاش إلى السلطان حيث قال فيها « ... أنه بلغنا كتاب مولانا الشريف بما كتبوا به أمناء مرسى الصويره أن التجار ترد عليهم حوائج من بر النصارى يدعون أنها لضرورياتهم لا بقصد التجارة ولا يعشرونها ، فتفاوض قونص النجليز (قنصل الانجليز) في ذلك مع نائب الصبنيول (الأسبان) وكتب الأول للباشدور بطنجه يستشيره ، فأجابه بأن جميع ما يرد على تجار إيالته يعشر عليهم قليلا كان أو كثيرا على شرط تسويتهم مع غيرهم من الأجناس في ذلك ، فاتفق هو ونائب الصنبيول (الأسبان) على تعشير الجميع إلا نائب الفرنصيص (الفرنسيين) قال أن جميع ما يرد على من بإيالته هناك من الحوائج لدورهم يحاز من غير تعشير .. »[٥٦] . ولم تقف تجاوزات التجار الأجانب عند حد إدخال بعض السلع الخاصة بهم دون تعشير ، بل أخذوا في إعطاء الحمايات للمغاربة والذين انتهجوا نفس الأسلوب الذي انتهجه التجار الأجانب ، وبذلك فقدت الخزينة المغربية كثيرا من مداخيلها الضريبية .

وفي الواقع أن ازدياد المصالح الأجنبية في المغرب والتسابق المحموم بين القناصل للحفاظ على مصالح رعاياهم في المغرب ، جعل الكثير منهم يحاول تنمية مصالح بلدانهم بشتى الوسائل والطرق ، دون النظر إلى ما تخلفه تلك الآثار على المغرب . ومن تلك الوسائل دفع تجار بلدانهم للاحتجاج على ارتفاع الضريبة الجمركية والمطالبة بتخفيضها وإمهال التجار في دفعها . وتطور الأمر إلى أن احتج أولئك التجار على دفع العشر نقدا وطلبوا من أمناء المرسى أخذ عشر السلعة عينا . وبالفعل كان الأمناء يضطرون إلى أخذ ذلك مع أن أكثر المعاهدات نصت على دفع العشر نقداً[٥٧] والغريب في الأمر أنه بعد حيازة الأمناء لتلك الضريبة يقوم التاجر بشرائها من الأمناء وعادة ما يبخس قيمتها وبالطبع يكون الضرر في المقام الأول على الخزينة المغربية[٥٨] . وهنا تكمن التجاوزات الأجنبية في التحايل على قوانين البلاد وهضم حقوق الآخرين .

لم يقتصر نشاط الأجانب على التهرب من الضريبة في مراسي المغرب الأقصى بل أخذوا في البحث عن طرق أخرى يمكنهم من خلالها عدم دفع الضريبة على البضائع المستوردة إلى المغرب أو المصدرة منه كلية . فلقد أخذ بعضهم وخاصة الأسبان والذين كانوا يسيطرون على بعض الثغور

المغربية ، حيث كان هناك منهم أعداد غير قليلة تستقر في المدن المغربية الشمالية مثل طنجة وتطوان والعرائش ، في تهريب بعض السلع التجارية وخاصة الممنوعة كتهريب الأسلحة والعملات المزورة[٥٩] . تلك الأعمال كانت في العادة تثير المشاكل بين الحكومة المغربية وبين قناصل أولئك المهربين والذين بتهريبهم لتلك السلع يهددون الأمن المغربي ويوجهون ضربة إلى أهم مصدر من مصادر الخزينة المغربية ألا وهي الضرائب .

وإلى جانب التجاوزات الضريبية أخذ بعض الأجانب في التمادي في تجاوزاتهم الاقتصادية ، والتي تمثلت في رفض بعض القناصل ونوابهم بل ورعاياهم من دفع الإجارات المستحقة عليهم للحكومة المغربية نظير استخدامهم للأملاك المخزنية بغرض السكنى أو الإيجار أو الزراعة[٦٠] . بل وبلغ الأمر ببعض الأجانب أنهم أخذوا يعطون الحمايات للمغاربة ويقوم هؤلاء الأخيرون بعدم دفع كراء الأملاك المخزنية . ومن الأمثلة على ماكان يقوم به الأجانب من عدم التزامهم بدفع تلك المستحقات ما فعله نائب القنصل الأمريكي بالدار البيضاء جون كوب **John Cobb** حيث تقاعد* على كثير من الأملاك المخزنية إلى جانب تهم أخرى وجهت إليه من نائب السلطان في طنجه محمد الطريس[٦١] .

وإلى جانب التجاوزات الضريبية والتقاعد على كراء الأملاك المخزنية ، أخذ بعض الأجانب في خرق القوانين التنظيمية لبعض الشؤون المغربية كاحتكار بعض الكماليات كالتبغ والشاي والسكر ، والتي حاولت الحكومة المغربية من خلاله أن تضمن عوائد ثابتة . ذلك الاحتكار كان يقوم على بيع سلعة واحدة أو عدة سلع من قبل الحكومة المغربية على تجار معروفين مقابل مبالغ سنوية مقطوعة تدفع للخزينة المغربية ، مع مراعاة عدم السماح لأحد بممارسة بيع السلعة المحتكرة إلا من هو مصرح له بذلك . وعلى أن المخزن حاول المحافظة على تلك القوانين التنظيمية ، إلا أن بعض الأجانب أخذوا في تهريب السلع التجارية المحتكرة وبيعها بأسعار تقل بكثير عن الأسعار المفروضة من التجار المحتكرين . ونتيجة لتلك التجاوزات الأجنبيّة أخذ التجار المحتكرون يشتكون للحكومة المغربية نتيجة للأضرار التي لحقت بهم . ومثال على ذلك ما قام به محتكر تجارة التبغ والذي قدم شكوى إلى السلطان وضح فيها الأضرار التي تلحق به نتيجة لتلك التجاوزات . فما كان من السلطان الحسن إلا أن أرسل إلى نائبه محمد بركاش يطلب منه أن يناقش تلك التجاوزات مع القناصل الأجانب في طنجة وذلك بقوله « ... وبعد فقد أخبرنا خديمنا القائد الطيب بن هيمة الأسفي أن نائب الأمناء على كنطردة تبغا هناك تشكى بما لحقه من الضرر بكثرة بيع أهل الحماية لها ، وأنه كتب للنواب في ذلك فلم يلتفتوا لكلامه وأن قونصو الصبنيول « قنصل أسبانيا) رد الكتاب الذي كتب له في ذلك وعليه فنأمرك أن تتكلم مع النواب هناك في ذلك ليجروا الأمر فيه على مقتضى القوانين ... »[٦٢] .

لم تقتصر التجاوزات الأجنبية ضد الاقتصاد المغربي على ما سبق ذكره ، بل امتدت لتضرب

النقد المغربي في الصميم . فلقد أخذ الكثير من التجار الأجانب بالمضاربة في السوق المغربية وذلك برفع أو خفض السلع حسب ما تمليه مصالحهم . وتطور الأمر إلى قيام بعض الأسبان في التسعينيات من القرن التاسع عشر بتهريب السكة الفيلبية أو ريال زابيل* إلى المغرب وكان أول من قام بتهريبها سكان سبته ومليله ، ثم بعد ذلك أخذ المرابون في استيراد تلك العملة إلى المغرب بالملايين وتصريفها هناك ومن أشهرهم جون باتيستي انصادو J. B. Ansado الإيطالي الجنسية[٦٣] . ومارس أفراد آخرون تجاوزات جديدة محاولين تهريب السكك المزورة بل وضربها نقودا مغربية . وهذا ما أشارت إليه بعض الرسائل المخزنية موجهة الاتهام إلى أحد الأسبان حيث ذكر فيها « ... وبعد فإن هنا بمراكشة نصرانيا من جنس الصبنيول (الأسبان) يسمى بيبي مشتغل بأمور لا تصلح ولا يليق السكوت عليها ... ومنها أنه يتعاطى دفع السكة الفاسدة الرومية المزورة ، وأفسد على الناس بذلك بيعهم وابتياعهم بل قيل أنه يضربها هنا هو ورفعت بذلك إلينا شهادة جماعة ، وهذه الأمور ومثلها لا يقدرون على تعاطيها في بلادهم ، فيأتون بها لبلادنا ويفسدون بها أمور رعايانا ، فبوصول كتابنا هذا إليك تكلم مع الباشدور في شأنه ليؤدبوه على هذه الأفعال القبيحة التي تصدر منه بما يستحقه ... »[٦٤] .

ومن خلال الرسالة يتضح أن الحكومة المغربية كانت غير قادرة على إيقاف تلك التجاوزات ، لذلك عادة ما تقوم بالالتجاء إلى قناصل الدول الأجنبية ليوقفوا رعاياهم عن الاستمرارية في ممارساتهم . وبالطبع كان أولئك القناصل يضعون مصالح رعاياهم في أولويات مهامهم ، ونتيجة لذلك نجد أن توسلات الحكومة المغربية عادة ما تجد طريقها للإهمال .

وعلى أن الحكومة المغربية وضعت بعض التنظيمات مثل عدم السماح بذبح إناث الأنعام كالغنم والبقر والإبل ، والتي كان الهدف منها المحافظة على مصالح رعاياها العامة والتي تتمثل في المحافظة على تكاثر الثروة الحيوانية ، إلا أن الأجانب أخذوا في خرق تلك التنظيمات . بل وامتد أذاهم ليشمل تلويث البيئة وذلك عندما يقومون بذبح تلك الأنعام ويتركون مخلفاتها في الطرقات . وهذا ما نص عليه الخطاب التالي « ... أعلم بأن سيدنا المنصور بالله كما أمر بتنظيف البلد كما كتبت لنا أنت بذلك ، وبالغنا في تنظيفها كما أمرنا نصره الله بعدم ذبح إناث البقر والغنم ، وقطعت ذبيحتهم عندنا في المجزرة ، ومن اطلع عليه ذبح من ذلك شيئا فيزجر امتثالا لأمر سيدنا نصره الله ، ماعدا البعض من الأجناس يذبحهم جهرا بداره بوسط دور التجار ، ولا يرتقب أحد ويترك دمهم وفرثهم بل بقية ذلك ولا يخفى ما ينشأ عنها ... »[٦٥] .

ومن الآثار الاقتصادية التي كانت تلحق بالمغاربة نتيجة التجاوزات الأجنبية ما كان يقوم به النصارى من تربية الخنازير على شكل تجاري ، ويقوموا بإطلاقها في بساتين المغاربة حيث تتسبب في إتلاف الكثير من المزارع . ونتيجة لذلك قام الناس بالشكوى لدى السلطات المغربية وطلبوا منها

كف الممارسات الأجنبية التي لاتستند إلى قانون أو عرف . ومن بين تلك الشكاوى ما قام به أهل تطوان لدى عاملها عبد القادر أشعاش والذي بدوره قام بإرسال خطاب إلى نائب السلطان في طنجه يوضح له الأضرار التي لحقت بالناس نتيجة لتربية الخنازير ويطلب منه إيجاد حلولاً جذرية لتلك الممارسات . ولقد ورد في الرسالة ما نصه « ... وبعد فاعلم رعاك الله أن النصارى أكثروا من استعمال دول* الخنازير ، وكل دولة يسرحها رجلان منهم أو ثلاثة في بساتين المسلمين وفدادنهم وهم حاملون معهم المكاحل المعدة** فإذا أدخلوا خنازيرهم في بستان أو فدان لأحد قام يتكلم معهم على ذلك تهددوا عليه بضربة بالبارود وزادوا بخنازيرهم لملكه قهرا عليه ، واشتكينا بهم على جميع القناصوا (القناصل) وخصوصا الفرنصيص (الفرنسيين) والصبنيول (والأسبان) وأخبرناهم بما يفعلون في أمتعة الناس غصبا عليهم ولم يلتفتوا لكلام قنصواتهم (قناصلهم) وبقوا على حالهم ، وكل يوم باتوا الناس شاكين بهم ... فالمطلوب من إحسانك أن تنظر لنا كيف يكون في حملها من بلادنا لأنها حادثة وكسبها على هذه الحالة ربما يؤدي إلى قيام الفتنة ونحن لا حاجة لنا بذلك ... »[٦٦] .

وبالفعل لقد كانت السلطات المغربية محقة في تخوفها من الأخطار التي تنتج عن تلك التجاوزات ، فلقد قام بعض المغاربة في تطوان بالتصدى لرعاة الخنازير حيث قتلوا واحداً منهم وجرحوا آخر . ولقد ورد ذلك في إحدى الرسائل المخزنية المرسلة من السلطان حيث ذكر فيها « ... وبعد وصلنا كتابك (الذي) أخبرت فيه أنك استرعيت مرارا على نواب الأجناس في عدم تأخر رعاة خنازيرهم التي عندك إلى غروب الشمس خشية أن يدس لهم الفساد دسيسة يحرجونكم بها معهم . فإذا بهم تأخروا إلى قرب العشاء وتعرض لهم الفساد الذي سميت من قبيلة أودراس وقتلوا واحدا أفرنصيصا (فرنسي) وجرحوا آخر ... »[٦٧] .

تلك الحادثة وغيرها من الحوادث التي يعبر بها الشعب المغربي عن امتعاضه لما يقوم به الأجانب من تجاوزات عادة ما تخلق مشاكل للحكومة المغربية مع قناصل الدول الأجنبية الذين كانوا يمارسون ضغوطهم دون إعطاء أي اعتبار لما يعاني منه الشعب المغربي والحكومة المغربية على حد سواء من تلك التجاوزات .

إن التجاوزات الاقتصادية للأجانب متعددة في مغرب النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولكن سنسوق مثالا ختاميا يوضح لنا هدف الأجانب والذي يتلخص في الهيمنة على خيرات المغرب واستغلالها دون النظر إلى الوسائل وإنما الوصول إلى الأهداف . فلقد كان هناك بعض الأجانب يقومون بقطع أشجار غابات المغرب وتصديرها إلى خارج البلاد . وبالطبع كان لتلك الممارسات آثارها السلبية على معايش الناس حيث كانت تلك الغابات تستغل من قبل المغاربة ، ومنافسة الأجانب لهم في ذلك يحرمهم مصدراً من مصادر رزقهم . إضافة إلى ذلك أن وصول الأجانب إلى الغابات يخلق بعض المشاكل مع سكان القبائل والتي تفتقد الحكومة المغربية السيطرة الكاملة عليهم .

وفي العادة عندما يحدث أي احتكاك بين الأجانب وبين الرعايا المغاربة ، فإن الحكومة المغربية تكون ملزمة بأي تعديات يقوم بها رعاياها .

ورغم تعديات الأجانب والتي يعطونها صفة الشرعية مستندين في ذلك إلى المعاهدات المبرمة مع المغرب ، والتي يحاولون أن يحملوا نصوصها أكثر مما تحمله[٦٨] ، إلا أن الحكومة المغربية حاولت عدم الاصطدام معهم . ومما يؤكد هذا القول ماورد في الرسالة التالية « ... وبعد وصلنا كتابك (و) أخبرت فيه أن فيما قبل تاريخه بنحو ثلاثة أشهر ورد عليك باشدور دولة الصبنيول (الأسبان) برجل ، وذكر لك أنه مفوض له من دولته في قطع العود من الأغياب* فأجبته أولا بأنا محتاجون لذلك لمصالح رعيتنا ، فقال لك أنه هذا مقرر في الشروط ولابد من تمامه ، واعتذرت له بأن ذلك لا يمكن في هذا الوقت لما عليه قبائل الأغياب ... »[٦٩] .

تلك الأمثلة عن التجاوزات الأجنبية بشتى أنواعها وأشكالها لم تكن إلا غيضاً من فيض . وفي حقيقة الأمر لقد أعطت المعاهدات المبرمة بين المغرب وبعض الدول الأوروبية قبل بداية القرن التاسع عشر صفة الشرعية لممارسة الأجانب لحقوقهم في المغرب الأقصى . ولكن نظرا للمتغيرات الدولية والتي تمثلت في المد الاستعماري الأوروبي ونمو مصالحه في بلدان المغرب العربي ، أخذت بعض الدول ذات المصالح الكبرى بتحقيق مكاسب عسكرية في المغرب والتي ترجمت فيما بعد إلى مكاسب اقتصادية وذلك في المعاهدات التي أبرمت في منتصف القرن التاسع عشر . ومن خلال تلك المعاهدات استطاع الأوروبيون الحصول على امتيازات قنصلية وقضائية ومالية ، ولكن على مايبدو أن تلك الامتيازات لم تكن مرضية لهم فأخذوا في ممارسة تجاوزات متعددة شملت النواحي السياسية والأمنية والقضائية والقانونية والدينية والاجتماعية والاقتصادية .

وفي الواقع أن هناك عوامل ساعدت الأجانب بل ودفعتهم لممارسة تلك التجاوزات ، ومن أهمها محاولتهم البحث عن مصالحهم وتحقيقها بأي وسيلة كانت دون النظر إلى ما تخلفه على المجتمع المغربي . وثانيتها ، هو تفسير الأجانب للمعاهدات المبرمة بين المغرب وبين الدول الغربية لصالحهم ، بل وتحميل النصوص أكثر مما تحمل في سبيل إضفاء الشرعية على تلك التجاوزات . وثالثها ، هو التنافس بين الأجانب والذي جعل الكثير منهم يحاول الوصول إلى ما عجز عنه الآخرون وبالطبع كان المغرب وأهله هم ضحية ذلك التنافس والذي ترجم إلى « تعديات » . أما رابع تلك العوامل ، فهو عجز المخزن عن إيقاف تلك التجاوزات التي أخذت تعمق من جراح المغرب وتزيده ضعفا سنة بعد أخرى خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تركت تلك التجاوزات آثارها واضحة على المغرب والتي يمكن وصفها بأنها أصبحت كالمرض المستعصي الذي لا يمكن علاجه . وبالطبع عانى المغرب منها كثيرا ، وأصبح قدره المحتوم ينتظره بعد أن شاخ وهرم ، إذ وقع تحت الحماية الفرنسية في بداية العقد الثاني من القرن العشرين .

التعليقات

(١) من أهم المعاهدات التي عقدت بين المغرب الأقصى وبعض الدول الأوروبية في القرن الثامن عشر على سبيل المثال المعاهدة المغربية السويدية سنة ١٧٦٣م ، والمعاهدة المغربية الفرنسية ١٧٦٧م ، والمعاهدة المغربية الدنماركية ١٧٦٧م ، والمعاهدة المغربية البرتغالية ١٧٧٣م ، ولمعرفة مقتطفات عن تلك المعاهدات انظر مجموعة الوثائق . الجزء الرابع ص ١٢٥ – ١٣٩ ، جمع وتعليق **عبد الوهاب بن منصور** ، الرباط : المطبعة الملكية ، ١٩٧٧م .

(٢) تمثلت الضغوط السياسية والعسكرية في منتصف القرن التاسع عشر في الحرب المغربية الفرنسية عام ١٨٤٤م ، ثم توقيع المعاهدة التجارية مع فرنسا وتليها توقيع المغرب معاهدة مع المملكة المتحدة عام ١٨٥٦م ، والتي استطاعت فيها بريطانيا الحصول على امتيازات جديدة ، أما أسبانيا فقد دخلت في حرب مع المغرب لكي تحصل على امتيازات تجارية مثلما حصلتا عليه كل من فرنسا وبريطانيا . لمزيد من المعلومات انظر **صلاح العقاد** ، المغرب العربي : دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة ، الجزائر ، تونس ، المغرب الأقصى القاهرة : مكتبة الأنجلو ، بدون تاريخ ، ص ص ٢٠٦ – ٢١٠

(٣) **عبد الرحمن بن زيدان** ، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس . الجزء الخامس ، الرباط : المطبعة الوطنية ، ١٩٣٣م ، ص ١٩٤

(٤) نفس المصدر ونفس الصفحة

(٥) من الممنوع المتاجرة فيه الأفيون والكبريت والبارود وآلة الحرب ، لمزيد من المعلومات عن ذلك الاقتباس المذكور انظر **ابن زيدان** ، الجزء الخامس ، ص ١٨٧

* دورهم أو منازلهم

(٦) **ابن زيدان** ، الجزء الثالث ، ص ٤٩٣

(٧) نفس المصدر السابق ، الجزء الخامس ، ص ١٩٤

(٨) نفس المصدر السابق ، الجزء الثالث ، ص ٤٩١ .

(٩) نفس المصدر السابق ، الجزء الخامس ، ص ١٩٥

(١٠) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(١١) نفس المصدر السابق ، ص ١٩٦

(١٢) **محمد أحمد بن عبود** ، مركز الأجانب في مراكش ، دراسة قانونية لوضعية الأجانب في المغرب قبل عهد الحماية وخلاله الطبعة الثانية ، تطوان : مطبعة الشويخ ، ١٩٨٠م ، ص ٦٠

(١٣) **ابن زيدان** ، الجزء الخامس ، ص ١٨٩

* نظام الحماية كان يرتكز على حماية المغاربة من القوانين المغربية حيث يصبح المحمي يعامل معاملة رعايا الدولة الحامية له ويتمتع بنفس الامتيازات التي يتمتعون بها . انظر **ابن عبود** ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٧١ – ٤٩ .

(١٤) نفس المصدر ، ونفس الصفحات .

(١٥) **Leland Lowis Bowie.** The Portege System in Morocco, 1880 - 1904. The University of Michigan, Ph. D.,1970, p.17.

(١٦) Op cit, p.119.

(١٧) **عبد الوهاب بن منصور** ، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة ١٨٨٠ الرباط : المطبعة الملكية ، ١٩٨٥ ، ص ٣٥ – ٣٦ .

قبل الانتقال إلى معرفة التجاوزات السياسية ، يجب أن نشير إلى خطر استفحال الحماية الأجنبية في المغرب والآثار التي تركتها على المغرب وموقف الحكومة المغربية من ذلك . فعن انتشار الحماية الأجنبية نجد أن التسابق المحموم أخذ في التزايد بين دبلوماسيي وتجار الدول الأجنبية في محاولة للحفاظ على مصالحهم الشخصية ومصالح دولهم ، وذلك بمنح الحماية بقانون وبدون قانون وفي الواقع أن ليس لدينا إحصائية يمكن الاعتماد عليها ولكن خير شاهد على ذلك ما قاله السلطان الحسن بن محمد عندما وصف استفحال الحماية الأجنبية بقوله « إن إدارتنا تكاد لا تجد في البلاد من هو باق تحت سلطتها من كثر ما منحته الدول الأجنبية من حمايات غير مشروعة » انظر **ابن عبود** ، ص ١٧٢ .

أما عن موقف الحكومة المغربية فإنها لم تقف مكتوفة الأيدى إزاء استشراء الحماية الأجنبية والآثار التي ترتبت عليها . فلقد حاولت عبر قنوات سياسية ودبلوماسية الحد منها ولكن دون جدوى ومن أهم المحاولات المغربية في ذلك الشأن هو التحضير لمؤتمر يمكن من خلاله تنظيم الحماية الأجنبية كما نصت عليه المعاهدات المبرمة بين المغرب والدول الأجنبية المعنية بالأمر وبالفعل عقد المؤتمر في مدريد سنة ١٨٨٠م ولكن لم يتخذ أي قرارات إيجابية لصالح المغرب ، بل إن ذلك المؤتمر أضفى الشرعية على بعض المطالب الأجنبية والتي أصبحت امتيازات جديدة زادت من مشاكل المغرب .

أيضا انظر **ابن منصور** ، ص ١٠٣ – ١٠٧

* بصفعه انظر الوثائق ، الجزء الرابع ، ص ٣٥٥

(١٨) رسالة من الأغا الحاج محمد بن قريخة (عامل العرائش) إلى محمد بركاش (نائب السلطان في طنجة) في ٢٨ رمضان ١٢٨٣هـ (٣ فبراير ١٨٦٧م) نفس المصدر السابق ، ص ٣٥٥ – ٣٥٦

(١٩) رسالة السلطان محمد بن عبد الرحمن الى محمد بركاش ، ١٦ جمادى الأول ١٢٨٥هـ (٤ سبتمبر ١٨٦٨م) نفس المصدر السابق ، ص ٣٧٦ – ٣٧٧

* عصا في رأسها مخطاف ، نفس المصدر السابق ، ص ٤٠٠

(٢٠) رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى محمد بركاش ٢٢ صفر ١٢٨٩هـ (١ مايو ١٨٧٢م) ، نفس المصدر السابق ، ص ٤٠٠ – ٤٠١

(٢١) **مصطفى بوشعراء** ، الاستيطان والحماية بالمغرب 1280 1311 . الجزء الثاني ، الرباط : المطبعة الملكية ، ١٩٨٧ ، ص ص ٥٨٧ – ٥٨٨ .

لمزيد من المعلومات عن المطالب بشأن الديون التي طالب بها رعايا أو محميون للولايات المتحدة الأمريكية والتي معظمها ديون وهمية انظر : **T.A.Al-Harithi.** Moroccon Policy Toward The United States: A Study in Moroccan Society Under the Impact of Western Penetration 1830-1912. vol. I Ph.D. Thesis, U.K. Exeter University 1987, p. 186.

* قام بالاحتماء والاستجارة

** أي لا تؤاخذه

(٢٢) رسالة من محمد بركاش إلى أحمد بن الطاهر (عامل الجديدة) ٢٤ ذي الحجة ١٢٧٨هـ (٢٢ يونيو ١٨٦٢م) ، الوثائق ، الجزء الرابع ، ص ٢٢٧ – ٢٢٩ .

(٢٣) **مصطفى بوشعراء** . أبعاد الاستيطان الأمريكي بالمغرب أواخر القرن التاسع عشر . بحث غير منشور مقدم لمؤتمر الصداقة المغربية الأمريكية في الولايات المتحدة سنة ١٩٨٦م والذي عقد بمناسبة مرور مائة عام على تلك الصداقة ، ص ١٠ .

* الذخيرة ويقصد بها هنا رصاص البنادق .

(٢٤) رسالة من السلطان الحسن بن محمد الطريس ، ٢٩ ربيع الأول ١٣٠٧هـ / (٢٢ نوفمبر ١٨٨٩م) ، ظهائر مولاي الحسن ، محفظة ٨ ، رقم الوثيقة ٢٤ ، خزانة تطوان : تطوان .

(٢٥) **Mohammed Kenbib** "Contrebande d'armes et" "Anarchie" dans le Maroc precolonial 1844-1912" *Revue Dar Al-niaba*. lere annee, No.4. automne 1984, pp. 8-10.

(٢٦) رسالة محمد محمد غريط إلى محمد بركاش ، ١١ ذي القعدة ١٣٠٥هـ (٢١ يوليو ١٨٨٨) ، رسائل للوزير غريط ، محفظة ٢٧ ، رقم الوثيقة ١٥٩ خزانة تطوان ، تطوان

* عربة نقل وهي مشتقة من الفرنسية Carrosse

** التهريب وهي مشتقة من الفرنسية Contrebande

للتعريفات السابقة الذكر انظر المنهل (قاموس فرنسي عربي) .

*** فنضة أو فندة وتعنى الفندق بالعربية ، للتعريف السابق ، انظر الوثائق ، الجزء الرابع ، ص ٥١٠ .

(٢٧) رسالة من محمد بن أحمد السلاوى إلى محمد بركاش في ١٨ شوال ١٢٩٧هـ (٣٠ سبتمبر ١٨٨٠م) ، نفس المصدر السابق ، ص ٥٠٩ – ٥١٠

(٢٨) انظر : الحقوق القانونية في بداية البحث .

(٢٩) **ابن عبود** ، ص ص ٧٨ – ٧٩ .

(٣٠) رسالة من أحمد بن العربي إلى محمد بركاش ، ١ ذي الحجة ١٣١٣هـ (١٥ مايو ١٨٩٦م) ، رسائل خاصة بالعلاقات المغربية الأمريكية ، المحفظة التاسعة ، مديرية الوثائق الملكية ، الرباط .

(٣١) رسالة من وليم ريد لويس Walliam R.Lewis إلى محمد الطريس ، ٣٠ محرم ١٣٠٧هـ (٢٦ سبتمبر ١٨٨٩م) ، نفس المصدر السابق

* لقد كان لموقف الدبلوماسيين إلى جانب اليهود الأثر الكبير في ممارسات اليهود للكثير من التجاوزات ، انظر : **تركي عجلان الحارثي** « تغيير وضعية اليهود في المغرب الأقصى خلال القرن التاسع عشر وموقف الحكومة المغربية منها» بحث تحت النشر في مجلة دراسات تاريخية

(٣٢) رسالة من محمد بن إدريس الجراري إلى محمد بركاش ٢٨ شوال ١٢٩٦ هـ (١٥ أكتوبر ١٨٧٩ م) ، الوثائق ، الجزء الرابع ، ص ٤٧٩ – ٤٨٠ .

(٣٣) رسالة من السلطان الحسن ابن محمد إلى محمد بركاش ، ٧ رمضان ١٢٩٦هـ (٢٥ أغسطس ١٨٧٩ م) ، نفس المصدر السابق ، ص ٤٦٩

(٣٤) رسالة من السلطان الحسن بن محمد إلى محمد بركاش ٢٠ ربيع الثاني ١٢٩٦هـ (١٦ ابريل ١٨٧٩م) ، نفس المصدر السابق ، الجزء الخامس ، ص ١٩٢ .

(٣٥) كما هو معروف أن الدول الأوروبية لعبت دورا كبيرا في تفريغ القارة الأفريقية من سكانها العاملين والذين

هَجَرّتهم إلى أمريكا ، ولكنها عادت مرة أخرى ولأسباب اقتصادية واجتماعية وإنسانية على حد قول الأوروبيين وألغت الاتجار بالرق . وكان من أكثر متزعمي ذلك كل من بريطانيا والدنمارك وأسبانيا وفرنسا والبرتغال ، وذلك في العقدين الأولين من القرن التاسع عشر ومع ذلك استمرت تجارة الرقيق حتى أواخر القرن التاسع عشر .

لمزيد من المعلومات : انظر : **عبدالله عبد الرزاق ابراهيم** « الجهود الدولية لإلغاء الرق في إفريقيا » المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٣٢ (١٩٨٥م) ، ص ١٩١ – ١٩٧ .

أيضا لم تقتصر جهود بريطانيا على وقف الاتجار بالرقيق خارج إفريقيا ، بل حاولت إلغاءه في داخلها ، ومن تلك المحاولات ما قامت به الحكومة البريطانية وجمعية مكافحة الرق في بريطانيا والتي أرسلت خطابا إلى الوزير البريطاني في المغرب جون هاي (John Hay) تطلب منه تقريرا عن الرق في المغرب وهل من الممكن الضغط على الحكومة المغربية لإلغاء الرق في المغرب ورد هاي برسالة مؤرخة في ٣٠ ابريل عام ١٨٨٦م ، والتي في رأيي تعتبر كشهادة على معاملة المغاربة للرقيق في المغرب حيث قال فيها « ... فيما يتصل بالعبيد في المغرب فهم عموما في حالة من السعادة والرضاء ، منهم يعملون أساسا في الخدمات المنزلية بدور المغاربة الأثرياء وعندما يحدث ويتم عتق بعضهم بسبب وفاة سادتهم أو لأي سبب آخر ، فإنهم يفضلون استمرار البقاء مع العائلات التي عاشوا في وسطها . وعادة ما يتم شراء العبيد من النساء ليتحولن إلى محظيات في الحريم ، بيد أن الغالبية من هؤلاء في حالة أفضل وأقل فجورا من آلاف الفتيات في أوروبا اللاتي يبيعهن آباؤهن واللاتي يبعن أنفسهن أو يسقطن إلى مهاوى الرذيلة ولا يزيد ما يتم استحضاره سنويا من الداخل عما يتراوح بين ثلاثمائة وخمسمائة يشتريهم التجار من نواحي السودان ... » انظر : **ب . ج روجرز** ، تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى عام ١٩٠٠م ، ترجمة يونان لبيب رزق الدار البيضاء : دار الثقافة ، ١٩٨١م ص ٢٦٨ .

* باشدور كلمة عثمانية وأصلها باشا وهي لقب رفيع يقصد بها هنا القنصل الأسباني ، انظر قاموس إلياس العصري (قاموس عربي / انجليزي) إعداد إلياس انطوان وإدوارد إلياس (١٩٨٠) الطبعة الثالثة عشر .

(٣٦) رسالة من السلطان الحسن بن محمد إلى محمد بركاش ، ٧ رمضان ١٢٩٦هـ (٢٥ أغسطس ١٨٧٩م) ، الوثائق ، الجزء الرابع ، ص ٤٦٥ .

(٣٧) لقد أشير إلى تلك الحقوق في بداية البحث ولمزيد من المعلومات انظر : **عبد الرحمن ابن زيدان** ، الجزء الخامس ، ص ١٩٤ .

(٣٨) **بالقاسم الحناشي** . الحركات التبشيرية بالمغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . رسالة دكتوراه ، تونس ، الجامعة التونسية ، ١٩٨١ ، ص ٤٤ – ٤٥ .

أيضا لمعرفة الكثير عن أساليب المسيحيين في محاولتهم لتنصير المسلمين انظر : **تركي عجلان الحارثي** : «البعثات التبشيرية الأمريكية في المغرب الأقصى قبيل الحماية الفرنسية » المجلة التاريخية المغاربية . العدد ٦٣ – ٦٤ ، يوليو ١٩٩١ ، ص ص ٢٧٧ – ٢٨٠ .

(٣٩) **الحناشي** ، ص ص ١٠٣ – ١٠٤ .

(٤٠) لمزيد من المعلومات عن جهود دوفوكو انظر : المصدر السابق ، ص ٩٨ ، ١٠٦

(٤١) رسالة من السلطان الحسن بن محمد إلى محمد بركاش ، ٦ رجب ١٢٩٦هـ (٢٦ يونيو ١٨٧٩م) ، الوثائق ، الجزء الرابع ، ص ٤٥٧ .

(٤٢) **الحارثي** ، البعثات التبشيرية في المغرب قبيل الحماية الفرنسية ، ص ٢٨٠ .

(٤٣) رسالة من محمد الطريس إلى فليكس ماثيوز ، ١٦ ذي الحجة ١٣٠٨هـ (٢٣ يوليو ١٨٩٠م) ، رسائل خاصة بالعلاقات المغربية الأمريكية ، محفظة رقم ٦ ، مديرية الوثائق الملكية . الرباط .

T.A.Al-Harithi, vol. II. p.443.

(٤٤) كما هو معروف أن هناك الكثير من الآيات التي تحرم الخمر في القرآن الكريم ، وفي السنة النبوية وصفت الخمر بأنها أم الخبائث وأكبر الكبائر ، وقد ورد ذلك في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم والذي رواه ابن عباس بقوله « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر من شربها وقع على أمه وعمته وخالته » .

انظر : **ماجد أبو رخيه** : الأشربة وأحكامها في الشريعة الإسلامية « المسكرات والمخدرات » عمان : المطبعة التعاونية ، ١٩٨٠ ، ص ١٠١ .

(٤٥) رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى محمد بركاش ، ٢٧ محرم ١٣٩٧هـ (٢٥ يوليو ١٨٦٢) ، الوثائق ، الجزء الرابع ، ص ٢٣١ .

(٤٦) رسالة من روبرت ستوكر إلى محمد الطريس ، ٢١ فبراير ١٨٩٠ م (٢١ جمادى الآخرة ١٣٠٨هـ) ، رسائل بين المغرب والولايات المتحدة ، محفظة ٥٣ ، رقم الوثيقة ١٤٢ ، خزانة تطوان ، تطوان

(٤٧) رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى محمد بركاش ، ١٥ محرم ١٢٨٥هـ (٨ مايو ١٨٦٨م) ، الوثائق ، الجزء الرابع ، ص ٣٧١ .

* تعنى الخنازير في اللهجة المغربية .

** الأجنة يقصد بها الجنان أو الحدائق ، أما البحائر فهي الأراضي التي تزرع فيها الفواكه والخضروات .

*** الأروى تعنى الحظيرة .

للتعريفات السابقة انظر الوثائق ، الجزء الرابع ، ص ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٤٨) رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى محمد بركاش ، ٢٦ شوال ١٢٧٩ هـ (١٦ ابريل ١٨٦٣م) ، نفس المصدر ، نفس الصفحات .

أيضا هناك بعض الرسائل التي توضح أضرار تربية الخنازير في المغرب والتي وردت من عمال المدن إلى نائب السلطان في طنجه ، لمزيد من المعلومات انظر الرسالة الموجهة من عامل تطوان عبد القادر اشعاش إلى محمد بركاش في ٢٩ ذي الحجة ١٢٧٩هـ (٧ يونيو ١٨٦٣م) ، نفس المصدر السابق ، ص ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

* منستر Minister كلمة انجليزية تعنى الوزير ، انظر معجم اكسفورد الوجيز ، وفي رأيي أنها تعني السفير فوق العادة . انظر المورد قاموس انجليزى / عربي ، إعداد منير البعلبكي (١٩٨٢) الطبعة السادسة عشر .

(٤٩) للميت حرمة داخل قبره وهناك الكثير من الأحاديث التي تحذر بل تحرم نبش القبور أو كسر عظام الأموات ، فمن الأحاديث التي تحذر من الاقتراب من قبور الأموات حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر » .

انظر : **الأمين الحاج محمد أحمد** ، أحكام الجنائز . جدة : مكتبة ومطابع المطبوعات الحديثة ، د . ت . ، ص ٦٤ .

في حديث آخر عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال فيه « إن كسر عظم المؤمن ميتا مثل كسره حيا » أخرجه ابن داود وابن ماجه وغيرهم . انظر : **محمد ناصر الألباني** . أحكام الجنائز وبدعها ، المكتب الإسلامي ، د . ت . ، ص ٢٣٣ .

أيضا هناك مقالة طريفة تتحدث عن استغلال عظام المسلمين في تصفية السكر ليس في المغرب فقط ، بل في الجزائر حيث أخذ بعض الأجانب بالاتجار في ذلك منذ أن وطأت أقدام المستعمرين أرض الجزائر ، لمزيد من المعلومات : انظر مرسال امرى ، « استغلال عظام المسلمين في تصفية السكر » ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد الأول ، (يناير ١٩٧٤) ، ص ص ٩ - ١١ .

(٥٠) رسالة من مجهول ويبدو أنه نائب السلطان في طنجه محمد الطريس إلى وليم ريد لويس W. Read Lewis ، ٥ رمضان ١٣٠٥هـ (١٧ مايو ١٨٨٨م) ، رسائل خاصة بالعلاقات المغربية الأمريكية ، المحفظة الرابعة ، مديرية الوثائق الملكية ، الرباط

(٥١) كان هناك الكثير من المقاهي المنتشرة في المدن المغربية وخاصة الساحلية منها وبالذات في مدينة طنجة ، فلقد كان هناك أكثر من ٥٧ مقهى في سنة ١٨٨٤م وكان أكثر العاملين في تلك المقاهي من الأسبان والبرتغاليين ، وهؤلاء عادة ما يقومون ببيع الخمر فيها ، انظر ، **مصطفى بوشعراء** ، الاستيطان والحماية بالمغرب ، الجزء الأول ، ١٤٠٧هـ ، ص ٢٩٥ .

(٥٢) رسالة من الحاج على بن محمد (والي اصيله) إلى محمد بركاش ٢٥ رمضان ١٢٨٣هـ (٣١ يناير ١٨٦٧م) ، الوثائق ، الجزء الرابع ، ص ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

* كلمة لاتينية تعني مكان بيع الخمر ، وتكتب بالفرنسية Taverne ، انظر المنهل (قاموس فرنسي عربي)

** يعنى الإسلامي وهو الرجل من أهل الكتاب والذي دخل في الإسلام .

للتعريفين السابقين انظر ، الوثائق ، الجزء الرابع ، ص ٤١١

(٥٣) رسالة من عبد السلام السويسي عامل الرباط إلى محمد بركاش ، ٥ جمادى الثانية ١٢٩٠هـ (٣١ يوليو ١٨٧٣م) ، المصدر السابق ، ص ص ٤١١ - ٤١٤ .

(٥٤) لقد اشتملت المعاهدة التجارية التي عقدت بين المغرب وأسبانيا على أربعة وستين شرطا استطاع الأسبان من خلالها الحصول على الكثير من الامتيازات سواء كانت إعفاءات ضريبية أو تسويق أو تسهيلات أو غيرها ، لمزيد من المعلومات ، انظر **عبد الرحمن بن زيدان** ، الجزء الثالث ، ص ص ٤٩٠ - ٥١٧

(٥٥) نفس المصدر ، ص ص ٥١١ - ٥١٣ .

(٥٦) رسالة من محمد بركاش إلى السلطان محمد بن عبد الرحمن ، ٨ ربيع الثاني ١٢٧٩هـ (٣ اكتوبر ١٨٦٢م) ، الوثائق ، الجزء الرابع ، ص ص ٢٣٦ - ٢٣٧

(٥٧) للمثال على المعاهدات التي نصت على أخذ السلعة نقدا المعاهدة المغربية الإنجليزية سنة ١٨٥٦م ، حيث ورد فيها مانصه « السلع التي ترد على يد التجار منهم (أي الإنجليز) لا يؤدوا عنها أكثر من عشرة في المائة على تقويمها بالمال ... » ، انظر : **ابن زيدان** ، الجزء الخامس ، ص ١٨٩

أيضا المعاهدات المغربية الأسبانية ١٨٦١م ذكر فيها ما نصه « .. أن أعشار السلعة الداخلة لمراسى إيالته

على بر رعية الصبنيول (الأسبان) لا يؤدوا عليها أكثر من عشرة في المائة على تقويمها بالمال ... » انظر : **ابن زيدان** ، الجزء الثالث ، ص ٥١١ .

(٥٨) **بو شعراء** ، الاستيطان ، الجزء الأول ، ص ٢٨٨ .

(٥٩) المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، ص ص ٥٦٠ – ٥٦٥ .

جلال يحيى ، المغرب الكبير : العصور الحديثة وهجوم الاستعمار ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٨١ ، ص ٤١٨

(٦٠) **ابن عبود** ، ٧٦ .

* لم أقف على معنى لكلمة تقاعد في القاموس المحيط ولكنها يبدو أنها تعنى هنا عدم دفع الكراء .

(٦١) من بين تلك التهم الأخرى بيعه للحمايات وفتحه للرسائل التي تصل من الوزير المغربي في طنجة إلى الحكومة بدون حق .

هذه المعلومات وردت في رسالة من ديفيد بيرك David Burke إلى وزير الخارجية الأمريكية (دون ذكر الاسم) ٨ يوليو ١٩٨٦م (٢٦ محرم ١٣١٤هـ) مجموعة ٥٩ ، رسائل خاصة بالقناصل الامريكيين في طنجه ، فيلم رقم ٢١ ، الأرشيف القومي ، واشنطن .

ولقد ورد في الرسالة ما نصه على لسان ديفيد بيرك "... a letter from the Moorish Minister of foreign äffairs alleging that Cobb was engaged in selling protection certificates at from $400 to $600 each and that he owed that government of morocco a large sum of money for the rent of a house. Cobb was also accused of opening letters addressed by the minister to the governors ..."

(٦٢) رسالة من السلطان الحسن بن محمد إلى محمد بركاش ، ٣ شعبان ١٢٩٤هـ (١٣ أغسطس ١٨٧٧م) ،الوثائق ، الجزء الرابع ، ص ٤٢٩ .

* سكة أسبانية لم تكن رائجة بأسبانيا وممنوع تداولها لمزيد من المعلومات انظر : **بو شعراء** ، الاستيطان ، الجزء الأول ، ص ٢١٨ .

(٦٣) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة

(٦٤) وثيقة سبق الاقتباس منها ، انظر هامش رقم ٤٧

(٦٥) رسالة من عمارة بن عبد الصادق البخاري إلى محمد بركاش ، ٢٠ جمادى الثانية ، ١٢٩٦هـ (٢٤ مايو ١٨٧٩م) ، الوثائق ، الجزء الخامس ، ص ص ٢٠٤ – ٢٠٥

* تعني القطيع أو السرب من البقر والغزلان والخنازير ونحوها

** البنادق المملوءة بالرصاص .

للتعريفات السابقة ، انظر الوثائق ، الجزء الرابع ، ص ٢٥٧ .

(٦٦) رسالة من عبد القادر أشعاش إلى محمد بركاش ، ٢٩ ذي الحجة ١٢٧٩هـ (٧ يونيو ١٨٦٢م) ، نفس المصدر السابق ، ص ص ٢٥٧ – ٢٥٨

(٦٧) رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى عبد القادر أشعاش ، ١٥ جمادى الأولى ١٢٨٠هـ (٢٩ اكتوبر ١٨٦٣م) وردت تلك الرسالة في : **محمد دواد** ، تاريخ تطوان ، المجلد السادس ، تطوان : المطبعة المهدية ، ١٩٧٠ ، ص ٥٩ .

(٦٨) لم أقف على شرط في المعاهدة الأسبانية المغربية والتي عقدت سنة ١٨٦١م تخول الأسبان استغلال غابات المغرب أو حتى الإشارة إلى ذلك من قريب أو بعيد ، وللاطلاع على تلك المعاهدة انظر : **ابن زيدان** ، الجزء الثالث ، ص ص ٤٩٠ – ٥١٧ .

* جمع غابة وهي من اللهجات المغربية ، انظر الوثائق ، الجزء الرابع ، ص ٢٥٢ .

(٦٩) رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى محمد بركاش ٢٤ ذي الحجة ١٢٧٩هـ (٢ يونيو ١٨٦٣م) ، نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

المراجع

أولا : المراجع العربية

إبراهيم ، عبد الله عبد الرزاق ، « الجهود الدولية لأبعاد الرق في افريقيا » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٣٢ (١٩٨٥) ، ص ص ١٨١ – ٢٢٠

أحمد ، الأمين الحاج محمد ، أحكام الجنائز ، جدة ، مكتبة ومطابع المطبوعات الحديثة ، د ت

الألباني ، محمد ناصر ، أحكام الجنائز وبدعها بدون مكان ، المكتب الإسلامي ، د ت

الياس ، القاموس العصري ، قاموس عربي – انجليزي ، إعداد الياس انطوان وادوارد الياس ، الطبعة الثالثة عشر ، ١٩٨٠ .

امري ، مرسال ، « استغلال عظام المسلمين في تصفية السكر » ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد الأول (يناير ١٩٧٤) ، ص ص ٩ – ١١

بوشعراء ، مصطفى . الاستيطان والحماية بالمغرب (جزءان) الرباط ، المطبعة الملكية ، ١٤٠٧هـ

الحارثي ، تركي عجلان ، « البعثات التبشيرية الأمريكية في المغرب الأقصى قبيل الحماية الفرنسية » المجلة التاريخية المغاربية العدد ٦٣ – ٦٤ (يوليو ١٩٩١) ، ص ص ٢٦٩ – ٢٨٩

الحارثي ، تركي عجلان ، « تغيير وضعية اليهود في المغرب الأقصى خلال القرن التاسع عشر وموقف الحكومة المغربية منها » بحث تحت النشر في مجلة دراسات تاريخية

الحناشي ، بالقاسم ، « الحركات التبشيرية بالمغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر » رسالة دكتوراه ، تونس ، الجامعة التونسية ، ١٩٨١

داود ، محمد ، تاريخ تطوان ، ٨ أجزاء ، تطوان ، المطبعة المهدية ومعهد مولاي الحسن ، ١٩٥٩ – ١٩٧٩

أبو رخية ، ماجد ، الأشربة وأحكامها في الشريعة الإسلامية « المسكرات والمخدرات » عمان ، المطبعة التعاونية ، ١٩٨٠م

رسائل بين المغرب والولايات المتحدة ، محفظة ٥٣ ، خزانة تطوان ، تطوان

رسائل خاصة بالعلاقات المغربية الأمريكية ، ١٤٠ محفظة ، مديرية الوثائق الملكية ، الرباط

رسائل خاصة بالقناصل الأمريكيين في طنجة ١٧٩٧ – ١٩٠٦م ، ٢٧ فيلم ، الارشيف القومي الأمريكي ، واشنطن .

روجز ، **ب** . ج ، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام ١٩٠٠م ، ترجمة يونان لبيب رزق ، الدار البيطاء ، دار الثقافة ، ١٩٨١ .

ابن زيدان ، **عبد الرحمن** ، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ، ٥ أجزاء ، الرباط ، المطبعة الوطنية ، ١٩٣٠ – ١٩٣٣م

ابن عبود ، **محمد أحمد** ، مركز الأجانب في مراكش : دراسة قانونية لوضعية الأجانب في المغرب قبل عهد الحماية وخلاله ، الطبعة الثانية ، تطوان ، مطبعة الشويخ ، ١٩٨٠م

العقاد ، **صلاح** ، المغرب العربي : دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة ، الجزائر ، تونس ، المغرب الأقصى القاهرة ، مكتبة الانجلو ، د ت .

القاموس المحيط ، قاموس عربي – عربي ، إعداد الفيروز ابادى ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧

ابن منصور ، **عبد الوهاب** ، الوثائق ، ٦ مجلدات ، الرباط ، المطبعة الملكية ، ١٩٧٦ – ١٩٨٧م .

ابن منصور ، **عبد الوهاب** ، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة ١٨٨٠ ، الرباط ، المطبعة الملكية ، ١٩٨٥

المنهل ، قاموس فرنسي – عربي ، إعداد سهيل ادريس و جبور عبد النور ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٠

المورد ، قاموس انجليزي – عربي ، إعداد منير البعلبكي ، الطبعة السادسة عشر ، ١٩٨٢

يحي ، **جلال** ، المغرب الكبير : العصور الحديثة وهجوم الاستعمار ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١م

ثانياً : المراجع الأجنبية

Al-Harithi, T.A., Moroccan Policy Towards the United States: A Study in Moroccan Society Under the Impact of Western Penetration 1830-1912. **Vol. II**, Ph.D. Tesis, U.K., Exeter University, 1987.

Bowie, Leland Lowis, The Portege System in Morocco 1880-1904. Ph.D. Thesis, U.S., The University of Michigan, 1970.

Kenbib, Mohammed, Contrebande d'arms et "Anarchie" dans le Maroc precolonial 1844-1912, *Revue Dar Al-Niaba,* lere annee, **No. 4.** automme 1984, pp. 8-13.

Examples of Foreign Encroachments in Morocco During the Second Half of the Nineteenth Century

TURKI AJLAN AL-HARITHI
Assistant Professor, Department of History, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

ABSTRACT. This research is an attempt to identify foreign encroachments and their historical background in Morocco during the second half of the nineteenth century. This can be traced back to the treaties concluded between Morocco and some European countries in the seventeenth and eighteenth centuries. These treaties guaranteed security, economic and religious rights of foreigners.

As a result of nineteenth century international competition, colonial expansion, and military pressure, some European countries began to impose other treaties which acquire more economic, legal and juridical privileges for Europeans. These privileges started an era of foreign domination of Morocco. The European diplomats and nationals conducted themselves as if they were superior of Morrocan government and citizens. This manifested itself in some illegal practices or "encroachments" including political, legal, juridical, religious, social, economical and security aspects.

These encroachments were aggravated by competition among foreigners in Morocco, and their interpretation of the treaties articles according to their wishes and interests without taking others into their consideration.

Surely those encroachments have their apparent and dangerous impact on Moroccan society and finally lead Morocco to be a victim of so called French "protection"

مجلة جامعة الملك عبد العزيز الآداب والعلوم الإنسانية ، م٦ ، ص ص ١٣٥ - ١٧٧ (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)

بين معيارية العروض وإيقاعية الشعر

« نماذج من الشعر القديم »

عبد المحسن فراج القحطاني

أستاذ مشارك ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ، جـدة ، المملكة العربية السعودية

المستخلص : هناك نصوص شعرية قيلت في العصر الجاهلي والإسلامي ، حكم بعض الباحثين عليها بالاضطراب ، وبعضهم وضعها بداية للشعر الحر .

وحيث إن هذه النصوص في أغلبها اتخذت لنفسها تشكلا إيقاعيا يُسْلَك في أكثر من (مسمى عروضي) وإنها أيضا وضعت نفسها في منطقة ضيقة يدعيها أكثر من بحر ، فقد رأى الباحث أن يناقش ذلك كله ، ويحاكَم كلّ نص على حده ، فبدأ بالبيت أو البيتين ثم ناقش النصوص التي تتجاوز الخمسة من الأبيات ، وقسمها إلى مجموعات متقاربة .

فبدأ بنصوص توصف بـ (مجزوء البسيط) و (مخلَّع البسيط) و (البسيط) ونصوص بـ (السريع ... الكامل ... الرجز ...) وأخرى بـ (الخفيف .... الرمل ....) .

وقد رأى الباحث أن يتعامل الناقد العروضي مع النص مقروءا لا مكتوبا فقط ، لأن الكتابة وحدها تلاحظ فروقا في الرسم ، ما تلبث أن تضمحلَّ في النطق .. أو تتلاشى .... والرسم قد يخرجها إلى تفعيله أخرى فيحكم على البيت بأنّه خرج إلى بحر آخر أو وزن ثانٍ .

ترددت في بعض الكتب التي تُعْنَى بدراسة الأدب ، أو تؤسس للعروض بعض الإشارات الخاطفة إلى أن هناك قصائد قديمة مضطربة في الوزن ، وهي بمقارنتها مع الشعر العربي مقارنة كمية لا تتجاوز خمسا بين مقطوعة وقصيدة(١) ولقد أثارت هذه الإشارات العجلى أمام الباحث تساؤلات عن هذه القصائد ، فهل هناك اضطراب حقيقي في تلك النصوص ، مما جعل صاحب هذا البحث يرصد نصوصا تتجاوز ثلاثة عشر نصا ، وأن تلك الظاهرة – إن صحت أن تكون ظاهرة – أو لتدخل في باب المحاكمة العروضية الإيقاعية ، جديرة بالبحث ، فكان لابد من وجود من يَحْكُمُ بين القوانين العروضية وتلك النصوص التي تدخل في عصر الاحتجاج ، فكان لها سند تأريخي يحتج به ، وهذا ما جعلها في مصاف أقوال العرب في عصر الاحتجاج حينما تصطدم بقواعد أو قوانين نحوية ، وقد جاءت بعد أن كان النص نموذجا قائما أو وجودا فرض نفسه على المتلقي ، مما حدا بالنحَويين إلى الأخذ بظاهرة التأويل حينا ، وبلسان قوم دون آخرين حينا آخر ، ولذا فإن تلك النصوص تحتاج إلى وقفات متأنية ، قبل أن تكون السلطة الحقيقية للقوانين العروضية – التي أوجدها الاستقراء والاستنتاج – وهل تلك القوانين فيصل في ما قيل وما سيقال ؟ تلك أسئلة تُطرح لمعالجة أي قضية لا تستوعبها التقنيات الصرفية والبلاغية والعروضية .

وقد يحتج قارئ بأن الاحتجاج كان للغة « نحوا وصرفا » وأن الحركة الموسيقية لم تدخل في دائرة قضايا الاحتجاج ، بدليل أن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ – ١٧٠هـ) وضع بحورا مهملة ، وترك الباب مواربا لمن سيأتي من الشعراء ، وأن عمل الخليل هذا استقراء واستنتاج ، وهذه المقولة في صالح النص الشعري أيا كان زمنه – غير أن المشتغلين بالعروض وقعوا في المعيارية ، وإن لم تكن ملزمة ، فإنه أصبح لها نماذج تحتذى ، وهذا مأزق أوجد نفرا من النظاميين العروضيين يقولون الشعر ، ليحققوا القاعدة التي نتجت عن حركة الدوائر العروضية(٢) .

ويجدر بنا – نحن الباحثين – ألا نهمل تلك الدراسات الجادة والرائدة لهذه العلوم ، وألاّ يقف الباحثون عندها ، فيلجأ اللاحقون إلى الشرح والتهميش والاختصار ، وهذه النظرة حكمت على بعض القصائد بالاضطراب ، تقابلها نظرة أخرى بأن تلك القصائد كانت بداية للشعر الحر بل جذرا له(٣) .

وسيحاول هذا البحث أن يتلمس دراسة تلك النصوص بعد توسيع القاسم المشترك ، لَيدْخِلَ فيه مسمى جديد حينا ، أو يزيد أشكالا موسيقية للأعاريض والأضرب في البحور حينا آخر ، شريطة أن لا يصيب الشعر خلل إيقاعي ، وألاّ تكون التسمية العروضية هي الفاصل في قبول القصيدة وزنا أو رفضها ، وإنما تخرج من مسمى لتدخل في مسمى آخر ، لا يؤثر ذلك على العملية الإيقاعية ، بل يظن غير المتخصص أو حتى بعض المتخصصين في هذا العلم – الذين يتعاملون مع التقطيع الكتابي ويُغْفِلُون التقطيع الصوتي يظنون أن القصيدة تمردت على الوزن فأخفقت فيه ، وهو

نص سابق لهذا القانون الذي يطرح سؤالا آخر : أيؤخذ بهذا القانون المبني على الاستقراء والأوزان الشائعة ؟ وهل يحتكم إليه مثلما يحتكم لحركات الإعراب الشائعة ولا يحتكم في النحو لبعض لهجات القبائل التي لم تخلد شواهدها ؛ ولو احتُكِم لتلك اللهجات لأفضت إلى خلخلة في تقدير الأشياء ؛ وربما كانت القِلَّةُ النادرة قاعدة شائعة ، وما يُظَنُّ أن باحثا جادا يقول بتلك المقولة ، ولا يُظَنُّ أن دراسة مثل هذه الظواهر تحيلها إلى قواعد بل هي ظاهرة محتملة الوقوع ، ولاسيما في موسقة الشعر – وقابلة للاحتذاء إذا كانت نصا موسقا بالمراوحة أو المزاوجة أو ما يجعل الأذن العربية لا تنفر منه ولا تحس بخلل فيه ، ومادام الأمر كذلك فإن دراسة تلك القصائد ونقاط الالتقاء بين البحور والفوارق البسيطة التي يفرضها أحيانا التقطيع الكتابي ، ويقبلها الشكل الصوتي ، هو ماحدا بأكثر الدارسين أن يُغْفِلَ نقاط الالتقاء والاحتكام إلى التسمية العروضية وهو ما يُبْعِدُ النظرة العجلى عن قبول قصيدة في بحر من البحور ، إذ ربما جاءت القصيدة في منطقة برزخية – إن صحت هذه التسمية – فلا تتصف بجميع أحكام بحر واحد بل تتخذ لنفسها تَشَكُّلاً إيقاعيا ممزوجا من بحرين أو من إيقاعين في حالتين مختلفتين في بحر واحد .

وقد درج دارسو العروض على الاتكاء على قواعد بحوره وفصل تلك الحالات عن بعضها بعضا ، بحيث لا تلتقي في طريق واحد ، وهذا ما حصل لبعض تلك القصائد في هذا البحث .

إذن أين يكون موقع هذه القصائد من تسميات العروضيين ؟ وهل هي مموسقه (موزونة) ؟ أم أن هناك خللا واضطرابا في أوْزانها ؟ فقد تناول البحث قصائد الاحتجاج بالدراسة على ضوء الاحتمالات سالفة الذكر .

ولن يقف البحث عند معالجة وزن تلك القصائد بل سيدرسها ظاهرة إيقاعية وإذا تعرض لبحرين فإنه سيتناول نقاط التقائهما ، لأن هذا الالتقاء وانحرافه قليلا أثار بلبلة عند بعض الدارسين ، ولاسيما وهم لم يتصدوا لتلك القصائد كلها بدراسة مستقلة ، بل يدرسونها نموذجا من الظواهر ، وقد يكتفون بمطلعها أو قراءة عجلى لها ، أو يتكئون على أحكام سابقة ، فيصدرون عليها تلك الأحكام ، لأنه ليس من هَمِّ دراساتهم التصدى لظاهرة الإيقاع وإنما يدرسونها ظاهرة في تاريخ الأدب أو في الخصائص الفنية لعصر من العصور ، فإذا ما اعترض طريقهم نصٌ اختلف عن أجناسه ، حكموا عليه بخروجه من الأوزان الخليلية أو اضطراب القصيدة وزنا ، أو خروج بعض أشطار أبياته من بحر إلى بحر آخر(٤) .

لذا فليس مما يُطْمَأَنُّ إليه أن ينسب البيت إلى بحر من البحور الخليلية من غير أن يُنْظَر لبقية النص وما إذا كان ثمة تشابه في بعض أبيات القصيدة مع نغمة من نغمات البحور الأخرى ، كأن تكون القصيدة من الكامل وبعض أبياتها جاء على مستفعلن /٥/٥//٥ فَيُحْكَمُ عليه رجزا ، أو تكون

من مجزوء الوافر في حين جاءت تفاعيله في بيت أو أكثر على مفاعيلن //ه/ه/ه فَيُحْكَمُ عليه أنه من الهزج ؛ وذلك في أضيق حدود الدراسة الداخلية لأبيات القصيدة على غير ما يكون الحكم على هذه النصوص من باب أوسع الافتراضات أو أعلى سقف للنغمة المشتركة في القصيدة ، وليس ذلك دليلا على توافق النغمات بعضها مع بعض .

وأرى أنه حين يصطدم أي نصّ من النصوص بتلك التجزئة التي ارتآها العروضيون فيصلا فارقا بين أنواع موسقة الشعر ، فإنهم بكل تأكيد لم يكونوا ينوون أن تكون هذ التجزئة حكما في كل النصوص ، وأن يرفضوا ما يصطدم مع تلك التقسيمات التي وضعوها لتتسع لقبول عامة الشعر العربي .

ومن المحتمل أن الخليل لم يقم بقراءة النصوص كاملة ، وإنما اكتفى ببيت أو بيتين من القصيدة ، فإذا ما عرف وزنها انتقل إلى نص آخر ، وحينها يختلف عليه الضرب أو العروض من نص إلى نص آخر كان يضعه قسما في البحر نفسه ، يدل على ذلك التوزيع العروضي لكل بحر حينها يقال مثلا : إن لبحر الطويل عروضا واحدة وثلاثة أضرب(٥) .

ولو اطلع الخليل على النصوص التي ظلت مقطوعات متناثرة هنا وهناك لوسّع صور البحر حتى تستوعب هذه النصوص ، ولاسيما أنها قد أعطت إيقاعا إنشاديا أو لحنيا ، وسلكت في وزن مموسق متناغم مع ما قبله وما بعده (غير الوزن الصرفي) وهذا ما جعل العروضيين يقفون متهيبين حينا أمام نص من النصوص الشعرية أو يوردونه وهم يصفونه بـ « الشاذ » حينا آخر ، وقد تصدى له بعضهم بأن وضعه في صورة جديدة من صور العروض ، فقد استدرك بعض العروضيين على الخليل أعاريض وأضربا بلغت أحد عشر صنفا هي مجموع ما أثبتوه(٦) وهي نصوص وجدوها في الشعر العربي القديم .

وفيما أخال فإن الشاذ عند العروضيين – وإن لم يشيروا لنوع الشذوذ – يختلف تماما عن « الشاذ » عند النحويين ، فهما مصطلحان مختلفان في المعنى ، فـ « الشاذ » في العروض ليس معناه ضد القاعدة المتسقة ، وإنما معناه فيما أحسب عدم اطراده وشيوعه ، غير أنه يتسق إيقاعا ، وإنشادا وتقطيعا ، فلندرته حكم عليه بـ « الشاذ » ولو استعمل العروضيون مصطلح « الندرة » لكان أقرب إلى عدم توسع المتلقي في تفسير معنى « الشذوذ » الذي قد يتجه إلى كونه وزنا مضطربا ، وهذا مالم يقصده العروضيون فيما أخال . غير أنه مصطلح لم يستقر عند دارسي العروض فتناولوه على خمسة مفاهيم ، فما لم يذكره الخليل وصفوه بـ « الشذوذ » وهم يعنون – فيما أرى – ما استدركوه على الخليل ، غير أنهم لم يستطيعوا أن يصفوه وصفا غير « الشذوذ » وكأنهم يوافقون الخليل بأنه ترك ذلك لـ « شذوذه » وتجدهم مرة أخرى يستدركون نماذج من الإيقاع الشعري من

غير أن يصفوه بـ « الشذوذ » .

وثالثة يرون أن الخليل أورد نصوصا وصفوها بـ « الندرة » .

وفي المرة الرابعة يختلفون مع الخليل في نسبة البيت إلى بحر معين ، فقد وصفه الخليل أو وضع قاعدته في بحر فسلكوه هم في بحر آخر(٧) .

ويأتون مرة خامسة ليرفضوا ما أثبته الخليل من أعاريض وأضرب(٨) .

وهذا يبين أن ذلك غير مرفوض إيقاعا ، وإنما لم يطرد عند العرب ؛ وعدم الاطراد لا يعني اضطراب الوزن ، ولا خروجه عن الإيقاع ، وإنما قد تستثقله أذن أخرى ، وقد يُسْتَثْقَلْ في حالة وتُرَى خفته في حالة أخرى . وهو على أي حال شعر موزون اتخذ لنفسه إيقاعا خاصا به .

وهذه القصائد التي كثر الحديث حولها ، عن اضطرابها حينا ، وعن خروجها من وزن إلى وزن آخر حينا ثانيا إنما مرده إلى الاتكاء على تفعيلة محددة كسقف أعلى لهذه النغمة ، وعليها يبني محلل القصيدة حكمه بأن الشاعر خرج إلى تفعيلة أخرى ، وفي داخل التفعيلة من الحرية للشاعر ما يجعل النغمة في الأخير تختلف اختلافا واضحا ، ولعله يبرز حين تأتي بـ « فاعلن » في بيت ثم نأتي بـ « فعلن » في بيت آخر ، وهي تفعيلة واحدة أجازت العروض فيها (الخبن) ، حذف الثاني الساكن ، غير أن النتيجة اختلاف النغمة اختلافا بينًا ، فـ « فاعلن » يمثلها البيت :(٩)

جاءنـــا عامـــــر سالما صالحا   بعدمــــا كان ماكان من عامـــــر

وفَعْلُن : /ه/ه يمثلها

إن الدنيــــا قد غرتنـــــا   واستهوتنـــــا واستلهتنــــــا(١٠)

فعِلُن : ///ه يمثلها

أبكــــيت على طلـــــل طربـــــا   فشجـاك ، وأحـــزنك الطلـــل(١١)

واجتماع فَعْلُنْ /ه/ه مع فَعِلُنْ ///ه يمثله :

ياليــــــل الصبُّ متـــــــى غدُه   أقيــامُ الساعـــة موعــــــدُه(١٢)

وهناك مثل آخر : مستفعلن /ه/ه//ه حينا تصير مستعلن أو متفعلن أو متعلن أو اجتماعها في بيت ، وهذا حق للشاعر ، تختلف إيقاعا مع متفاعلن ///ه//ه ومتْفاعلن /ه/ه//ه حينما تجتمع في بيت ، وهذان مثالان لهما :

الأول :

مالك من شيـــــخِك إلاّ عملُــــــه   إلا رسيمُــــــه وإلا رمَلُــــــهْ(١٣)

الثاني :

نجنـى الكـواكب من قلائِد جُنْـــده   تنثالُ عينُ الشمس من خُلْخَالِـهِ(١٤)

فإذا دلفنا إلى « مستفعلن » وكونها تتكرر مع نفسها ، فإننا سنكون أمام بحرين : الرجز ،

والسريع ، إذا دخل التفعيلة الأخيرة حذفٌ .

ولذا فإن الشاعر حينما تكون قصيدته في حالة أو وضع يسمح لها أن تدرج في بحر من بحور ثلاثة « الكامل – الرجز – السريع » ، فإن ذلك ليس راجعا لخلل فيها أو كسر ، وإنما جاءت لتحقق نقاط الالتقاء عند البحور الثلاثة ، وتلك حالة فريدة لا تتوافر في جل القصائد ، حيث اتخذت مكانا يَدَّعي كلُّ بحر أحقيته لها ، وهذه حالة تُحَيِّر أو تربُك أو تُجْهِدُ أولَ قارئ لها ، ولكن المشتغلين بالعروض أو الموسيقى لا يقفون عندها طويلا ، إذْ ما يفتأون حملَها على أوضح البحور وأقربها نغميا له .

والعروضيون قد جعلوا السناد (اختلاف حروف أو حركات ما قبل حروف الروى) عيبا من عيوب القافية محافظة على المقطع الصوتي ، فاستكرهوا اختلافَ حركاتِ الدخيل (ما قبل حرف الروى) .

دعاني زهيرٌ تحت كَلْكَــل خالــدِ فأقبلتُ أسعى كالعَجُولِ أُبَادِرُ[١٥]
فَشُلَّتْ يمينــي يوم أضربُ خالــدا ويمنَعُــه منــى الحديــدُ المظَاهَــرُ

فالدال في (أبادِر) مكسور ، والهاء في (مظاهَر) مفتوح .

وآخر يكون حرف الدخيل واواً في بيت وياء في بيت آخر فَيُشعِرُ أن الحركة اختلفت تبعا للحرف مع أنه ساكن في كليهما « خَمُوشا » « قُرَيْشا »
واستشهدوا له بقول الشاعر :

عبــدُ شمس أبي فان كنت غضبــى فأَمِيلي وجَهَكِ المليحَ خُمُوشا[١٦]
نحن كنــا سكانَهــا من قريشٍ وبِنَــا سُمِّــيَتْ قريشٌ قُرَيْشَا

بل إذا كان الدخيل ياء وما قبله حذو اختلفت حركته ولن تكون إلا كسرة أو فتحة فإنهم يستكرهونه مثل قول عبيد :

فإن يك فاتنــي ومضى شبــابي وأصبح عارضِي مثل اللُّجَيْــنِ[١٧]
فقــد ألج الخبــاء على عذارى كأن عيونَهُــنَّ عيــونُ عِيــنِ

وإذا تغيرت الحركة كأن يأتي ردف مضموم ما قبله مع غير ردف فيُكره ذلك كقول الشاعر :

إذا كنت في حاجــة مرسلا فأرسل حكيمــا ولا تُوْصِهِ[١٨]
وإن باب أمــرٍ علــيك التــوى فشاور لبيبــا ولا تَعْصِهِ

فالجمع بين « تُوْصِهِ » و (تَعْصِهِ) ضم يؤول إلى واو وفتح بعده حرف ساكن .

إذا كانت هذه الأنواع يستكرهها العروضيون فكيف بهم إذا اختلف المقطع الصوتي الأخير « القافية » فهي تختلف من بيت إلى بيت آخر . كاجتماع الضربين ///٥ فَعِلُنْ مع /٥/٥ فَعْلُنْ ،

فالضرب الأخير هو أحد تعاريف القافية ، وبه يقول الجمهور « آخر ساكنين وما بينهما من متحركات مع المتحرك السابق له » ، فالضرب الأول لا يشكل القافية على هذا التعريف ولنأخذ مثلا من قصيدة المرقش :

هل بالديـــار إن تجيب صمـــم لو كان رسم ناطقـــا كَلَّـــمْ[١٩]
الـــدار قفـــرٌ والـــرسوم كما رَقَّشَ في ظهـــر الأديم قَلَـــمْ

فالضربان كَلْلَمْ /٥/٥ وم قَلَمْ ///٥ يختلفان في الشكل الصوتي بين نطق كَلْلَمْ و مِ قَلَمْ ، ويبعدان عن بعض أبعد من اللجين ، و « عين » و « توصه » و « تعصه » ولذا جاء تردد بعض العروضيين . لإدراكهم هذا الفرق ، ولعدم تعود الأذن العربية على حركته الموسيقية ، وعند التقطيع اتضح بعد المسافة الصوتية بين الشكلين كللم /٥/٥ ومِ قَلَمْ ///٥ حتى إن العروضيين وضعوا هذا النص وأشباهه في « الندرة » أو « الشاذ » .

وهناك نقطة جديرة بالملاحظة وهي أن حرف الروى « ميم » حركته سكون ، وإذا أشبعت بأي حركة فإنها ستكون في بعض الأبيات حرفين أحدهما ساكن والآخر متحرك .
فالبيت :

أضحت خلاء نبتها ثَئِـــــدُ نَوَّرَفيها رهـــــوه فاعْتَـــــمْ

فلو حرك الميم لأصبح فـ « عتمم » /٥/٥/
أما

ديـــار أسماءَ التـــي بتـــلت قلبـــي فعينـــى ماؤهـــا يُسْجَـــمْ

فأنك تقف على ميم خفيفة « يسجم » /٥/٥

وهنا يتضح الفرق بين حرف الروى في البيتين بين ميم خفيفة وميم ثقيلة تشعرك بالتضعيف .

ولا يُظَنُّ أن التشابه وتقارب النغمة بين البحور نتيجة اتكائها على دائرة واحدة ، فكل بحر ينتمي إلى دائرة تختلف عن الأخرى ، أما البحور التي تنتمي إلى دائرة واحدة ، فهي أبعد ما تكون عن بعضها في التوافق الإيقاعي ، أو التقارب التقطيعي ، بل يكون بحر أي دائرة عكس البحر الثاني من الدائرة نفسها ، أو أن البحر يبدأ من آخر سبب أو وتد للبحر الثاني ، وأمثلة ذلك واضحة في الدوائر .

لذا فإن بحرا من دائرة « المشتبه » وآخر من دائرة « المؤتلف » وثالثا من دائرة « المجتلب » أقرب إلى بعضها بعضا في الإيقاع « التقسيم العروضي » ، ولعل أقرب مثال لذلك مجزوء الوافر من دائرة « المؤتلف » والهزج من دائرة « المشتبه » فإنه يصح أن يكون كل هزج مجزوء وافر ولا عكس ، إذ التفعيلة « مفاعلْتن » //٥/٥/٥ أصابها « العصب » تسكين الخامس اللام من مفاعلْتن

//٥/٥/٥ فصارت مفاعيلن . كبيت طرفه أو اخته الخرنق[٢٠] .

عفا من آل ليلى السهب فالأملاح فالغَمْرُ

فما أقرب هذا البيت من مجزوء الوافر في هذا البيت :

أُعَاتِبُهـــــا وآمرهـــــا فتغضِبُنـــى وتَعْصينـــي[٢١]

أو قول أحمد بن عبد ربه :

بكـــيت لنأيــــهِ عنـــــي ولا أبْكـــى بتشهيـــقِ[٢٢]

والبحور المتشابهة هي في الغالب :

١ – مجزوء الوافر (دائرة المؤتلف) والهزج (دائرة المشتبه » .

٢ – الكامل (دائرة المؤتلف) و الرجز (دائرة المشتبه) .

٣ – الكامل والسريع (دائرة المجتلب) .

٤ – السريع والرجز (المجتلب) و (المشتبه) .

٥ – مخلع البسيط (دائرة المختلف) و المنسرح « دائرة المجتلب »

٦ – الرمل (دائرة المشتبه) و المديد (دائرة المختلف) .

٧ – الخفيف (دائرة المجتلب) والمنسرح وهذا التشابه يحدث حين يدخل هذه البحور زحافات وعلل[٢٣] .

ولا يظن قارىء أن هذا البحث ينتصر لعالم دون آخر ، أو يؤيد توجها ، ويرفض آخر ، وإنما هدفه ألاّ يغمط حق علمائنا الأفذاذ حين يُدَافَعُ عنهم بعاطفة عندما يُحْكَمُ عليهم بما لم يقولوه أو حتى يتصوروه في ما خلفوه من عمل علمي ، ولذا فإن تلك القصائد التي سيناقشها البحث حكم أحدُ الباحثين عليها بأن الخليل بن أحمد الفراهيدي « استبعدها إذ تُعَدُّ كسرا للنغمة الموسيقية[٢٤] .

وفي يقيني أن الخليل بعقليته الفذة ، وحسه الموسيقي الفريد ونظرته الرياضية لا يقول ذلك ، وأن بعض من جاء بعده نظر إلى تفعيلات الخليل على أنها « الفيصل » في حين كانت لوضع القياس ، فأتاحت التصرف ، وأجازت زحافات وعللا يمكن أن نوظفها بحيث تتسع لقبول إيقاعية الشعر .

ومن الغريب أن نقاد الشعر أحيانا يتكئون على بيتين من الشعر أو حتى على بيت واحد اتضحت شعريته واتخذ لنفسه إيقاعا لم يعهد في غيره من النصوص الشعرية ولم يعضد هذا الوزن نصوص أخرى ، فيتخذون حُكْماً بعدم شاعريته ، لخروجه على أوزان الخليل .

وهذه الأبيات المتفرقة تفردت عن قصائد شعرائها، فلم تجىء أبياتا ضمن قصائد بل جاءت هكذا متناثرة وظل النقاد والعروضيون يوردونها شاهدا على الاضطراب أحيانا عند من يحتكم إلى الأوزان المعهودة ، وعلى التجديد عند النقاد الذين لم يحتكموا إلى الأوزان الخليلية ، وفي هذين الحكمين – فيما

أخال – إفراط وتفريط ، إذ المعروف عن الخليل أنه ترك الباب مواربا للشعراء ، بل أوقعه نظام الدوائر العروضية الرياضي – كما مر – في أن يوجد أوزانا مهملة ، ومازالت كذلك ، وإن حاول النظام العروضيون أن يقولوا عليها نظما .

وإن في الكتب التي ناقشت الزيادة أو النقص في البيت الواحد كالخرم والثلم ما يعضد هذا القول(٢٥) ،

وقد كان لبيتي عروة بن الورد :

ياهنـــــــــــد بنت أبي ذراع اخلفتنى ظنـى ووترتنـي عشقـى(٢٦)
ونكـــحت راعـــي ثلّة ينمّـــرها والدهــــر فائتـــه بما يُتْقِـــــى

وقفات عند قدامه رددها المرزباني في موشحه(٢٧) واستشهد بها د . عبد الله الطيب على أن هذا وزن مشرق لم يستقر بعد في قلب الشاعر حيث حاول وزن الكامل الأحذّ(٢٨) ومزجه بالتقسيم وأورد البيت الأول منها .

وهما على أي حال – فيما أخال – بيتان أطلقهما الشاعر على سجيته وقد خلا منهما ديوانه(٢٩) .

وأقرب ما يقال فيهما أنهما من الكامل الذي اتخذ صدره تمام تفعيلة الكامل ، متفاعلن مستفعلن متفاعلن

وعجزه مستفعلن متفاعلن . فعلن

أما البيت الأول فجاء صدره

ياهنـد بن /ت أبي ذرا/ ع اخْلفتنـــى
/٥/٥//٥ ///٥//٥ /٥/٥//٥
مستفعلن متفاعلن مستفعلن

وعجزه :

ظنـــى ووتْ / تَرْتَنـــيْ /عشقـــى
/٥/٥//٥ /٥//٥ /٥/٥
مستفعلن مُتْفَعِلن فعلن

وفي تعميم هذه الأبيات لتكون معيارية للشعر أو نموذجا له يحتذى يحتاج إلى شاعر لا يستطيع أن يخرج عن عالم الشعر إلى رصّ كلمات ، أو تناثر نغمات ، لما له من قدرة موسيقية وإدراك شعري ، وفي هذا مأزق من مآزق المعيارية التي تظل نادرة الاحتذاء ، لأنها بطبعها اختارت لنفسها دائرة ضيقة جدا يصعب معها تحقيق نغمة مطردة ، تألفها الأذن وتستساغ حركة وسكونا ، يلونهما التكرارية أو المراوحة ،

أو التقسيم الجزئي المنسق مع بعضه ، وهو لا يتوافر في مثل هذه الأبيات ، وإن كانت تتصف بموسيقى من نوع خاص لها ، فرضه الموقف ، أو آحادية البيت ، لا تكراريته كّماً وقافية ، لذا ظلت هذه الأبيات تشكل استقلالية لنفسها ، لكنها لا تلتئم مع نصّ شعري متعدد الأبيات .

وإذا تجاوزنا هذه المرحلة إلى قصائد تتجاوز الخمسة الأبيات ، فإن النصوص التي تناولها العروضيون وهي متناثرة في كتبهم في اتجاهات لا تخرج عن الموسيقى الشعرية بأي حال من الأحوال .

وقد وجد بعض النقاد والعروضيين ثلاثة شعراء جاهليين أحدهم في شمال الجزيرة « عَبيد بن الأبرص[٣٠] » والثاني في وسطها في نجد « امرؤ القيس » وثالثهم في الجنوب « اليمن » علقمة بن ذى جَدَن الحميري . فهؤلاء الشعراء الثلاثة وبخاصة الأولان – ضربوا على أوتار نغمية لم تكن مستقرة في أذهان بقية الشعراء في عصرهم فلا هى تتصف بأوزان مجزوء البسيط « مقطوع الضرب » /٥/٥/٥ مفعولن ولا بأوزان مخلع البسيط //٥/٥ فعولن الذي عرف أخيرا ، إذ لم يكن واضح الاستعمال عند عبيد بن الأبرص « وامرىء القيس ، فكانت لديهما من الحرية في استعمال التفاعيل أكثر مما حددها العروضيون فيما بعد ولاسيما « فاعلن » حيث اشترطت سالمة في مخلع البسيط ، مع أنها جاءت » فَعْلُن /٥/٥ أو فَعِلُنْ ///٥ ، في أبيات من بائية عبيد[٣١] ولامية امرىء القيس ، وقد جاء الضرب في قصيدتيهما مراوحة بين « مستفعل = مفعولن » و « متفعل = فعولن » تلك المراوحة التي جعلت بعض العروضيين يصف هذه النصوص بأنها خارجة عن الأوزان الخليلية ، وكل ما عمله الشاعران أنهما جعلا مجزوء البسيط « مقطوع الضرب » « مستفعل = مفعولن » يؤول حينا إلى = متفعل = فعولن « فيصير مخلعا وهذا لانشاز فيه ولا كسر ، فامرؤ القيس نظم قصيدة لامية تبلغ سبعة عشر بيتا تناولها النقاد والعروضيون ، فقال السكاكي حين تحدث عن بحر البسيط » العروض الثانية مقطوعة ولها ضرب واحد مقطوع ، وهذا البيت المقطوع العروض والضرب يسمى « مخلعا » وعن الخليل أن العروض المقطوعة لا تجامع غير الضرب المقطوع ، والكسائي يروى خلاف ذلك ثم أورد بيت امرىء القيس :

عينـــاك دمعهمـــا سجـــال كأن شأنيهمـــا أوشـــال[٣٢]

أما الدكتور همّل (Hommal) فقد ناقش لامية امرىء القيس مع بائية عبيد قائلا إنهما من « نوع البسيط غاية في الندرة ، بل لا أعرف مثالا آخر في الشعر العربي القديم »[٣٣] .

واحتار د . حسين نصار أمام وزن هذه اللامية مع بائية عبيد – فقال « وبحرها – أي قصيدة عبيد – نادر غير مألوف ، لا نراه إلا في قصيدة امرىء القيس »[٣٤] .

ووضعها د . شوقي ضيف مع القصائد المضطربة[٣٥] وأورد البيتِ الأول منها ، وقد جاءت أبياتها على وزن « مخلع البسيط » و « مجزوء البسيط » مقطوع الضرب والعروض ، ويتسق وزناهما مع بعضهما بعضا ، ولا يكشف تلك الفروق إلا الكتابة العروضية ، التي أوجدت إشكالا هو اختلاف

العروض والضرب بين /٥/٥/٥ مفعولن و //٥/٥ فعولن ، أما تقطيعها الصوتي فإن الفرق بين /٥/٥/٥ تن تن تن و //٥/٥ تِ تن تن هو أن الأولى مدت مسافة الحركة فيه فآلت بسكون /٥ تن أما في فعولن //٥/٥ فإن الحركة قصيرة فجاءت تِ ، وهو صوت يدركه القائل أكثر من السامع ، لذا لا يدركه المتلقى سماعا ، فيحكم على القصيدة بأن وزنها مطرد ، وقد جاءت أبياتها شبيهة إلى حد عجيب مع بائية عبيد بن الأبرص[٣٦] ،

وهذا تقطيعها :

١ –	عيناك	دمعهما	سجال	كأن	شأنيهما	أو شال
	عيناك دم	عهما	سجالو	كأنْنشأ	نيهما	أوشالو
	/٥/٥//٥	///٥	//٥/٥	//٥//٥	/٥//٥	/٥/٥/٥
	مستفعلن	فعلن	فعولن	متفعلن	فاعلن	مفعولن
٢ –	أو جدول	في ظلال	نخل	للماء	من تحته	مجال
	أوجدولن	في ظلا	لنخلن	للماء من	تحتهى	مجالو
	/٥/٥//٥	/٥//٥	//٥/٥	/٥/٥//٥	/٥//٥	//٥/٥
	مستفعلن	فاعلن	فعولن	مستفعلن	فاعلن	مفعولن
٣ –	من آل	ليلى	واين ليلى	وخير	مارمت	ماينال
	من ءال لِيْ	لا وأى	نليلى	وخيرما	رمتما	ينالو
	/٥/٥//٥	/٥//٥	//٥/٥	//٥//٥	/٥//٥	//٥/٥
	مستفعلن	فاعلن	فعولن	متفعلن	فاعلن	فعولن
٤ –	قد أقطع	الأرض وهى	قفر	وصاحبى	بازل	شملال
	قد أقطع لـ	أرض وهـ	يقفرن	وصاحبى	بازلن	شملا لو
	/٥/٥//٥	/٥//٥	//٥/٥	//٥//٥	/٥//٥	/٥/٥/٥
	مستفعلن	فاعلن	فعولن	متفعلن	فاعلن	مفعولن
٥ –	ناعمة	نائمة	أبجلها	كأن	حاركها	أثـال

ناعمتن	نائمتن	أبجلها	كأننحا	ركها	ءاثالـو
/٥///٥	/٥///٥	/٥///٥	//٥//٥	///٥	/٥/٥/٥
مستعلن	مستعلن	مستعلن	متفعلن	فعلن	مفعولن

٦ –

كأنها	مفرد	شبوب	تلفه	الريح	والظلال
كأننها	مفردن	شبوبو	تلففهر	ريحوظ	ظلالو
//٥//٥	/٥//٥	//٥/٥	//٥//٥	/٥//٥	//٥/٥
متفعلن	فاعلن	فعولن	متفعلن	فاعلن	فعولن

٧ –

أو أنها	عنز	بطن واد	تعدو	وقد أفرد	الغزال
أو أننها	عنزبط	نوادن	تعدووقد	افردل	غزالو
/٥/٥//٥	/٥//٥	/٥/٥//٥	/٥/٥//٥	/٥//٥	//٥/٥
مستفعلن	فاعلن	فعولن	مستفعلن	فاعلن	فعولن

٨ –

عدوا	ترى بينه	أبواعا	تحفره	أكرع	عجال
عدون ترى	بينهو	ابواعن	تحفرهو	اكرعن	عجالو
/٥/٥//٥	/٥//٥	/٥/٥/٥	/٥///٥	/٥//٥	//٥/٥
مستفعلن	فاعلن	مفعولن	مستفعلن	فاعلن	فعولن

٩ –

وغائط قد	قطعت	وحدى	للقلب من	خوفه	اجلال
وغائطن	قد قطع	توحدى	للقلب من	خوفهي	إجلالو
//٥//٥	/٥//٥	//٥/٥	/٥/٥//٥	/٥//٥	/٥/٥/٥
متفعلن	فاعلن	فعولن	مستفعلن	فاعلن	مفعولن

١٠–

صاب عليه	ربيع	باكر	كأن	قريانه	الرحال
صاب عليْ	هِرَبيـ	عن باكرن	كأننقر	يانهْ	رِحالو
/٥///٥	///٥	/٥/٥//٥	//٥//٥	/٥//٥	//٥/٥
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	متفعلن	فاعلن	فعولن

١١-	تقدمنى	نهدة	سبوح	صلبها	العض	والحيال
	تقدمنى	نهدتن	سبوحن	صللبهل	عضضول	حيالو
	o///o/	o//o/	o/o//	o///o/	o//o/	o/o//
	مستفعلن	فاعلن	فعولن	مستفعلن	فاعلن	فعولن

١٢-	كأنها	لقوة	طلوب	كأن	خرطومها	منشال
	كأننها	لقوتن	طلوبو	كأنن خر	طومها	منشالو
	o//o//	o//o/	o/o//	o//o//	o//o/	o/o/o/
	متفعلن	فاعلن	فعولن	متفعلن	فاعلن	مفعولن

١٣-	تطعم	فرخا	ساغبا	أضربه	الجوع	والاحثال
	تطعمفر	خاسا	غبن	أضربهل	جوعول	إحثالو
	o///o/	o/o/	o//	o///o/	o//o/	o/o/o/
	مستفعلن	فعلن	فعو	مستفعلن	فاعلن	مفعولن

١٤-	قلوب	خزان ذى	أورال	قوتا	كما يرزق	العيال
	قلوبخز	زانذى	أورالو	قوتن كا	يرزقل	عيالو
	o//o//	o//o/	o/o/o/	o//o/o/	o//o/	o/o//
	متفعلن	فاعلن	مفعولن	مستفعلن	فاعلن	مفعولن

١٥-	وغارة	قد تلببت	بها	كأن	اسرابها	الرعال
	وغارتن	قدتلبْ	بيتبها	كأننأس	رابهر	رعالو
	o//o//	o//o/	o//o//	o//o//	o//o/	o/o//
	متفعلن	فاعلن	متفعلن	متفعلن	فاعلن	فعولن

١٦-	كأنهم	حرشف	مبثوث	بالجو إذ	تبرق	النعال
	كأننهم	حرشفن	مبثوثو	بلجوو إذ	تبرقن	نعالو
	o//o//	o//o/	o/o/o/	o//o/o/	o//o/	o/o//
	متفعلن	فاعلن	مفعولن	مستفعلن	فاعلن	فعولن

١٧- صبحتها	الحى في	غداة	فكان	أشقاهم	الرجال
صبيحتهل	حي في	غداتن	فكان أش	قاهمْ	رِجالو
/٥/٥//٥	/٥//٥	//٥/٥	//٥//٥	/٥//٥	//٥/٥
مستفعلن	فاعلن	فعولن	متفعلن	فاعلن	فعولن

وأما علقمة بن ذي جدن الحميري فقد كانت النغمة عنده أكثر اتساقا ، فنظم عليها مقطوعتين إحداهما حائية والأخرى نونية :

الحائية :

أبعـــد غمـــدان حين أُمسى ... يَسْفِــى به المورُ والريـــاحُ[٣٧]
ياعَيـنُ « سَلْمَيْــنِ » فاندبيـه ... إذ هاضَ من أهلِهِ الجنـاحُ
وناعـــط أوحشَتْ ونـــادَتْ ... فهـــــــل لذى ثَرَّة فلاحُ

قاعدته :

مستفعلن فاعلن فعولن ... مستفعلن فاعلن فعولن

وهى تمثل مخلع البسيط أتم تمثيل ، فلم يكن فيها ضرب أو عروض جاءت على وزن مفعولن بل على //٥/٥ فعولن

كما أن « فاعلن » سالمة لم يصبها تغيير ،

وفيما أخال فإن هذا النصّ يعُدّ من أقدم النصوص الشعرية على الإطلاق فقد اتضحت فيه معالم مخلع البسيط اتضاحا حقق القاعدة التي وضعت له وهي :

مستفعلن فاعلن فعولن ... مستفعلن فاعلن فعولن

أما النونية[٣٨] فهى :

١ - اتعبت	أذ اقفرت	بينون	فأنت	صب بها	حزين
أتعبت إذ	أقفرت	بينونو	فأنت صب	بن بها	حزينو
/٥/٥//٥	/٥//٥	/٥/٥/٥	//٥//٥	/٥//٥	//٥/٥
مستفعلن	فاعلن	مفعولن	متفعلن	فاعلن	فعولن

٢ - تبكى	على اثرحي	صدق	خانتهم	عيشة	خؤون

تبكي على	اثرحيْ	يِ صدقن	خانتهمو	عيشتن	خؤونو
٥//٥/٥/	٥//٥/	٥/٥//	٥//٥/٥/	٥//٥/	٥/٥//
مستفعلن	فاعلن	فعولن	مستفعلن	فاعلن	فعولن

٣ –	إذاً	لأبكي	ديارحي	قد فرقت	أهلها	المنون
	إذن لأب	كي ديا	رحيين	قد فررقت	أهلهل	منونو
	٥//٥//	٥//٥/	٥/٥//	٥//٥/٥/	٥//٥/	٥/٥//
	متفعلن	فاعلن	فعولن	مستفعلن	فاعلن	فعولن

٤ –	خانتهم	عقبة	الليالى	وطحطحتهم	لها	طحـون
	خانتهمو	عقبتل	ليالي	وطحطحت	هم لها	طحونو
	٥//٥/٥/	٥//٥/	٥/٥//	٥//٥//	٥//٥/	٥/٥//
	مستفعلن	فاعلن	فعولن	متفعلن	فاعلن	فعولن

٥ –	فأصبحت	دورهم	خواء	يسفى	بهاالحرجف	الحنون
	فأصبحت	دورهم	خواءن	يسفى بهل	حرجفل	حنونو
	٥//٥//	٥//٥/	٥/٥//	٥//٥/٥/	٥//٥/	٥/٥//
	مستفعلن	فاعلن	فعولن	مستفعلن	فاعلن	فعولن

ولم يشذ في هذه القصيدة عن مخلع البسيط إلا العروض في البيت الأول « بينون » جاءت على مفعولن ، أما بقية التفاعيل فقد جاءت على مخلع البسيط .

ولذا فإن علقمة اتضحت أمامه صورة مخلع البسيط فأعطاها نغمتها الحقيقية فاتسقت له في نصيه هذين ، ولذا فإنه بحق يعد من أوائل من نظم على مخلع البسيط بصورته هذه مستفعلن فاعلن فعولن – مستفعلن فاعلن فعولن خلاف ما ذكره د . إبراهيم أنيس حين قال : وقد أجمعوا على أن مخلع البسيط من اختراع المولدين ، وأنه لم يكن معروفا قبل عهود العباسيين[٣٩] .

وحتى بائية عبيد ولامية امرىء القيس لم تحققا معيارية « مخلع البسيط » وإنما اتخذت كلٌّ لنفسها شكلا ايقاعيا يقرب من المخلع ومجزوء البسيط بل هو مزيج منهما .

أما قصيدة سلمى بن ربيعة

إنّ شــــــــواء ونشــــــــوة ... وخــبب البـــازِلِ الأمــــونِ[٤٠]

فهى من الأوزان التي استدركها العروضيون على الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) ؛ فقد تناولها الخطيب التبريزي في شرحه الحماسة فحكم عليها « بأنها خارجة عن العروض التي وضعها الخليل بن أحمد ، وما وضعه سعيد بن مسعدة الأخفش » وأقرب ما يقال إنها تجيء على السادس من البسيط ، وقد تجنب الحديث عن هذه القصيدة حينما ناقش العروض وخاصة « بحر البسيط » في كتابه الكافي في العروض والقوافي . بيد أنه أورد في ص (٤٧) من كتابه الكافي بيتا يتفق مع نص سلمى في الضرب ويختلف في العروض وهو :

أصبحت والشــيب قد علانــــى ... يدعــو حثيثــا إلى الخضـــــاب

فالعجز يتسق تماما مع أعجاز نص سلمى :

إن شــــــواء ونشـــــوة ... وخبــب البـــازل الأمـــــون

ووضعه تحت « المخلع » ولم يحكم عليه بالشذوذ ولا بالندرة ، ويتبين من استبعاده نص سلمى مجيئه العروض //ه فعو = فعل

إن شوا	ءن و نشـ	وتـن	وخبب ل:	بازلِلْ	أمونى
٥///٥/	٥//٥/	٥//	٥////	٥//٥/	٥/٥//
مستعلن	فاعلن	فعو=فعل	متعلن	فاعلن	فعولن

وأول من فسح لها مجالا وحكم على وزنها بالجواز ابن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) حين ناقش عروض المخلع إذ قال : يجوز الحذف فيبقى « فعو » فينقل إلى « فعل » وأورد شاهدا من هذا النص :

والبــيض يرفلـــــن كالدمـــــــى ... في الريـــف والمذهب المصـــون[٤١]

وحكم عليها الشنتريني والسكاكي والدماميني بأنها عروض شاذة مجزوءة حذاء مخبونه في البسيط لها ضرب مقطوع مخبون[٤٢] .

والجوهرى أكثر العروضيين إنصافا لهذه القصيدة وأشباهها إذ لم يحكم عليها بالشذوذ ولا بالندرة ، وإنما بالجواز المطلق . ولم يكتف بهذا الحد بل أورد بيتا لم يعهد قياسه عند العرب حيث قال : ولم يجيء طيه – أي البسيط – وقد طواه المحدثون وبيته :

يامــن يلــوم فتــى عاشـــقـــا ... لمت فلومـك لـــى أعشــــق[٤٣]

إذن فقصيدة سلمى من مخلع البسيط ، عروضه محذوفة السبب « لن » وعلى هذا تكون إحدى صور المخلع :

	مستفعلن	فاعلن	فعل	مستفعلن	فاعلن	فعولن :
١ –	إن	شـواء	ونشـوة	وخيب	البازل	الأمـون
	انن شوا	ءن ونشـ	وتـن	وخبيل	بازلل	أمونـى
	/ه///ه	/ه//ه	//ه	////ه	/ه//ه	//ه/ه
	مستعلن	فاعلن	فعو=فعل	متعلن	فاعلن	فعولن
٢ –	يجشمها	المرء	في الهوى	مسافة	الغائط	البطين
	يجشمهل	مرء فل	هـوى	مسافتل	غائطل	بطينى
	/ه///ه	/ه//ه	//ه	//ه//ه	/ه//ه	//ه/ه .
	مستعلن	فاعلن	فعل	متفعلن	فاعلن	فعولن
٣ –	والبيض	يرفلن	كالدمى	في الربط	والمذهب	المصون
	ولبيض ير	فلن كَدْ	دُمَى	فِرْرَبْط ول	مذهبل	مصونى
	/ه/ه//ه	/ه//ه	//ه	/ه/ه//ه	/ه//ه	//ه/ه
	مستفعلن	فاعلن	فعل	مستفعلن	فاعلن	فعولن
٤ –	والكثر	والخفض	آمنـا	وشرع	المزهـر	الحنـون
	ولكثرول	خفض ء ا	منن	وشرعل	مزهرل	حنونـى
	/ه/ه//ه	/ه//ه	//ه	////ه	/ه//ه	//ه/ه
	مستفلن	فاعلن	فعل	متعلن	فاعلن	فعولن
٥ –	من لذة	العيش	والفتى	للدهر	والدهر	ذو فنون
	من لذذتل	عيش ول	فتى	لددهرود	دهرذو	فنونى
	/ه/ه//ه	/ه//ه	//ه	/ه/ه//ه	/ه//ه	//ه/ه
	مستفلن	فاعلن	فعل	مستفعلن	فاعلن	فعولن
٦ –	والعسر	كاليسر	والغنى	كالعدم	والحين	للمنـون

	ولعسر كل	يسرول	غنى	كلعدم ول	حين لل	منونى
	/ه/ه//ه	/ه//ه	//ه	/ه/ه//ه	/ه//ه	//ه/ه
	مستفلن	فاعلن	فعل	متفعلن	فاعلن	فعولن
٧ -	أهلكن	طمسا	وبعده	غذى	بَهْم وذا	جـدون
	أهلكن طم	سن وبع	دهو	غُذِيْيٰ بَهْ	من وذا	جدوني
	/ه/ه//ه	/ه//ه	//ه	//ه//ه	/ه//ه	//ه/ه
	مستفعلن	فاعلن	فعل	متفعلن	فاعلن	فعولن
٨ -	وأهل	جأش	ومـارب	وحيي	لقمـان	والبقـون
	وأهل جأ	شُ وما	ربن	وحَيْي لق	مان وَلْ	بقوني
	//ه//ه	/ه//ه	//ه	//ه//ه	/ه//ه	//ه/ه
	متفعلن	فاعلن	فعل	متفعلن	فاعلن	فعولن

وقد تردد العروضيون القدماء في مناقشة هذا النص إذ لم يألفوا صورته في الشعر القديم .

كما أجاز الكسائي مجامعة الضرب غير المقطوع في البسيط للعروض المقطوعة وشاهده لذلك قول الأسود بن يعفر :

ونحن قوم لنـــــا رمـــــــاح وثـــــروة من موال وصميـــــم[٤٤]

وجعل قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) التخلع من عيوب الوزن وهو «أن يكون قبيح الوزن قد أُفْرِط في تزحيفه ، وجعل ذلك بنية للشعر كله حتى ميّله إلى الإنكسار ، وأخرجه من باب الشعر الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهلة إلى ما ينكره حتى ينعم ذوقه أو يعرضه على العروض فيصح فيه ، فإن ماجرى هذا المجرى من الشعر ناقص الطلاوة قليل الحلاوة» ثم ضرب مثلا لذلك بقول الأسود بن يعفر المذكور أنفا[٤٥] .

وتبعه في تلك المقولة المرزباني (ت ٣٨٤هـ)[٤٦] فأورد ما قاله قدامة من غير أن يناقش ذلك .

بيد أن علماء العروض استشهدوا بالبيت الأول :

إنـــا ذممنـــا على ما خُيّـــلَتْ سعـــد بن زيـــد وعمـــرو بن تميم

للعروض الثانية المجزوءة من البسيط ، وضربها مجزوء مذال ، والمذيل مازيد في الوتد المجموع في آخره

حرف ساكن والردف لازم له[٤٧] .

وتردد ذكر البيت الرابع كذلك مثالا على العروض الثانية :

ونحن قوم لنـــــا رمـــــــاح وثــــروة من مــــوال وصميــــــم

حيث أجاز الكسائى جواز مجامعة الضرب غير المقطوع مع العروض المقطوعة كما ذكرنا سابقا[٤٨] .

ولو دققنا في عبارة قدامة سالفة الذكر « الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهلة . لكفانا عناء التقطيع ، ففي نظر قدامه – على مايدو – أن الإنشاد أو الغناء ، أو حتى الجهر بقراءة هذا الشعر يستقيم معه الوزن ، غير أنه إذا أدخل النص مرحلة التقطيع كتابةً وجد فروقا في ذلك .

وأما نص الأسود بن يعفر فمن البسيط العروض الثانية وضربها مذال « مستفعلان » .

١ –	إنا ذممنا	على	ماخيلت	سعد بن	زيدوعمرو	بن تميم
	إننا ذمم	نا على	ماخييلت	سعد بنزى	دن وعم	ر بن تميم
	/o/o//o	/o//o	/o/o//o	/o/o//o	/o//o	/o///oo
	مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	مستفعلن	فاعلن	مستعلان
٢ –	وضبة	المشترى	العاربنا	وذاك	عم بنا	غير رحيم
	وضببتل	مشترل	عاربنا	وذاك عمْ	مُنْ بنا	غير رحيم
	//o//o	/o//o	/o///o	//o//o	/o//o	/o///oo
	متفعلن	فاعلن	مستعلن	متفعلن	فاعلن	مستعلان
٣ –	لاينهضون	الدهر عن	مولى لنا	قورك بالسهم	حافات	الأديم
	لاينهضو	نددهر عن	مولى لنا	قورك بسـ	سهم حا	فاتل أديم
	/o/o//o	/o/o//o	/o/o//o	/o///o	/o//o	/o/o//oo
	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن	فاعلن	مستفعلان
٤ –	ونحن قوم	لنا	رمـاح	وثروة	من موا	وصميم
	ونحن قو	من لنا	رماحن	وثروتن	من مو	لن وصميم
	//o//o	/o//o	//o/o	//o//o	/o//o	/o///oo
	متفعلن	فاعلن	متفعل	متفعلن	فاعلن	مستعلان

٥ –

لاتشتكى	الوصم في	الحرب	ولا تئن	كنانات	السليم
لاتشتكل	وصم فل	حربى	ولا تئن	نكنأ	ناتِسْسَليم
/٥/٥//٥	/٥//٥	/٥/٥	//٥//٥	////٥	/٥/٥//٥٥
مستفعلن	فاعلن	فعلن	متفعل	فعلن	مستفعلان

وكان ابن قتيبة يحوم حول نص شعري لم ينسبه لقائله ، ولم يضع يده على مكان الخلل الوزني أو الأساليب التي لا تصح في الوزن ولا تحلو في الأسماع ، وحين قراءة هذا النص وجد أنه ينشد ويغنى ويقطع وأنه من العروض الثانية « المجزوءة » في البسيط وضربها مجزوء مذال ، وأنها حققت هذا الوزن ، من غير أن تخرج عنه .

وقد أدرك ذلك الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب حين وصف هذه الأوزان – ومنها هذا النص – ليست مضطربة في الحقيقة وإنما كرهتها آذان العلماء الأوائل فرأوها وكأنها غير مستقيمة[(٤٩)] ، وهذا هو النص كما أورده ابن قتيبة[(٥٠)] .

١ –

قل لسليمى	إذا	لاقيتها	هل تبلغن	بلدة	الا بزاد
قل لسيلى	ما اذا	لاقيتها	هل تبلغن	بلدتن	ءللابزاد
/٥///٥	/٥//٥	/٥/٥//٥	/٥/٥//٥	/٥//٥	/٥/٥//٥
مستعلن	فاعلن	مستفعلن	مستفعلن	فاعلن	مستفعلان

٢ –

قل	للصعاليك لاتستحسروا		من التماس	وسير في	البلاد
قل لصصعا	ليك لا	تستحسرو	منلتما	سن وسى	رن فلبلاد
/٥/٥//٥	/٥//٥	/٥/٥//٥	//٥//٥	/٥//٥	/٥/٥//٥
مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	متفعلن	فاعلن	مستفعلان

٣ –

فالغزو	احجى على	ماخيلت	من اضطجاع	على غير	وســاد
فلغزواح	جا على	ماخييلت	من ضطجا	عن على	غير وساد
/٥/٥//٥	/٥//٥	/٥/٥//٥	//٥//٥	/٥//٥	/٥///٥٥
مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	متفعلن	فاعلن	مستفعلان

٤ –

لو وصل	الغيث بنا	إمرئ	كانت له	قبة سحق	بجـاد

لو وصلل	غيث بنا	ء مرءن	كانت لهو	قبيتن	سحق بجاد
٥///٥/	٥//٥/	٥//٥/	٥//٥/٥/	٥//٥/	٥٥///٥/
مستعلن	فاعلن	مسعلن	مستفعلن	فاعلن	مستعلان

٥ –	وبلدة	مقفر	غيطانها	اصداؤها :	مغرب	الشمس تناد
	وبلدتن	مقفرن	غيطانها	أصداءُها	مغرب ش	شمس تناد
	٥//٥//	٥//٥/	٥//٥/٥/	٥//٥/٥/	٥//٥/	٥٥///٥/
	متفعلن	فاعلن	مستفعلن	مستفعلن	فاعلن	مستعلان

٦ –	قطعتها	صاحبي	حوشية	في مرفقيها	عن الزور	تعاد
	قطعتها	صاحبي	حوشييتن	في مرفقي	هاعنز	زورتعاد
	٥//٥//	٥//٥/	٥//٥/٥/	٥//٥/٥/	٥//٥/	٥٥///٥/
	مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	مستفعلن	فاعلن	مستعلان

ويتضح من هذه الأبيات الستة أنها جميعا جاءت على وزن :

مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلان

وتطالعنا قصيدة لطرفه بن العبد (ت ٦٠ ق هـ) (خمسة عشر بيتا) لم يلتفت إليها أغلب العروضيين وهى تمثل مرحلة من مراحل المزاوجة أو الجمع في الضرب بين ///٥ فعلن و /٥/٥ فعلن وقد أجاز الزجاج (٣١١هـ) تلك المزاوجة أو الجمع[٥١] واستشهد بعض العروضيين – كما سيأتي – بأبيات للمرقش الأكبر (ت ٧٥ ق هـ)[٥٢] ولو استشهدوا بهذا النص لكان أولى لأنه يصلح أن يُحْمَلَ على السريع كما يحمل على الكامل ، بيد أنه على السريع أظهر ، إذ لم يتبين في القصيدة تفعيلة من تفاعيل الكامل سالمة ///٥//٥ متفاعلن ، وقد أجاز العروضيون في الكامل أن يكون الضرب ///٥ فعلن مع /٥/٥ فعلن في قصيدة واحدة ، واستشهدوا له بقول امرىء القيس :[٥٣]

أحلـــلت رحلى في بنـــى ثعـــــل ... إن الكـــريم لكريـــمُ مَحَــــــلْ
ووجـــدت غير النـــاس كلهـــــم ... طُرًّا وأوفـاهـــم أبـــا حَنْبَـــــلْ

فـ « مُمَحَلْ » ///٥ فَعِلُنْ و « حَنْبَلْ » /٥/٥ فَعْلُنْ .

وهذا فيما أخال ما جعل الأربلي (ت ٦٧٠هـ) يحملها على الكامل فجاءت بروايات مختلفة

عما في الديوان بحيث حققت وجهة نظر الإربلي ، فجاء بيت منها بهذه الرواية :

لولا رجــاء أنـــه لا يعصـــــر فرع من النـــاس كما تُعْصِــــر

وقد جاءت العروض فيه « لايعصر » /ه/ه/ه مفعولن ، وقال وليس في الكامل عروض وزنها « مفعولن » ومن هنا بدأ يناقش هذه القصيدة التي ورد منها بيتان استحقا أن يناقشا لخلل في الرواية ، فالبيت :

والجون من ربيعـــة القشـــعــــم أنهم تكنفهـــــم عن اليمين مضر

جاء بزيادة « انهم » ورواية الديوان له جاءت مستقيمة :

والجون من ربيعـــة القشـــعــــم تكنفهــــم عن اليمين مضــــــر

أما البيت الذي لم يرد في الديوان فهو :

لو كان يملكنـــــا مالـــــــك يعصر فينــا كالــذي يعصـــــر

وهو رواية اختلفت موسقة صدره عن عجزه فالصدر

لو كان يم	لكنا	مالكـــن
/ه/ه//ه	///ه	/ه//ه
مستفعلن	فعلن	فاعلن

وعجزه :

يعصر في	نا كاللذى	يعصـــر
/ه///ه	/ه/ه//ه	/ه/ه
مستفعلن	مستفعلن	فعلن

وحين ناقش الإربلي هذه الأبيات قال : « ويجوز أن تكون هذه القصيدة من العروض الثانية من السريع وهي المخبونة المكشوفة » .

ولو لم تكن عروض البيت الأول /ه/ه/ه مفعولن كما رواها لحملها على السريع بدلا من الكامل حيث قال : « ولكن وقع في العروض فيها مفعولن وليس من أعاريضها ، ومع هذا فلا يمنع أن تكون سريعا[٥٤] .

وحاول الإربلي أن يتخلص من التبويب العروضي حينما وضع الباب مواربا لقبول هذه القصيدة في بحر السريع .

غير أن التقسيم العروضي يسجل ما يجده من اختلاف الضرب عن العروض ويجعله قسما آخر ؛ ففى بحر السريع ضرب وعروض بين ///ه فعلن و /ه/ه ؛ فعلن ؛ وتلك هي المزاوجة أو الجمع الذي لم يكثر في تقسيم السريع . وإن كان أقرب صورة له الضرب الأصلم (وهو ما سقط من

آخره وتد مفروق كان أصله مفعولات فحذف منه « لات » فبقى « مفعو » فنقل إلى « /٥/٥ فعلن » وشاهده :

قالت ولم تقصد لقيـــــل الخنـــــا   مهـلا فقـد أبلـغت اســـماعي(٥٥)

وليس المتتبع لهذه النصوص على يقين بأن العروضيين اطلعوا على هذا النص كاملا ، أو أنهم اكتفوا بوضعه في بحر الكامل .

ومهما اختلفت التسمية فإن النص قد جاء موزونا إلا أنه قد أصبح في منطقة ضيقة جدا ، ادعاه الكامل في حالة تنازله عن سقفه الأعلى ، فلم تأت تفعيلة سالمة كما سبق ، ولم يكن سالم الضرب أو العروض .

وادعاه السريع أيضا لأن محل الخلاف في التفعيلة الأخيرة من الصدر « العروض » والعجز « الضرب » ؛ حيث جاءت الأبيات كما في الديوان من بحر السريع الذي جمع في ضربه بين ///٥ فَعِلُنْ و /٥/٥ فَعْلُنْ فقد جاء الضرب في الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٩ ، ١٥ على وزن /٥/٥ فعلن . والأبيات ٣ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ضربها ///٥ فَعِلُنْ .

أما عروضها فكل الأبيات ///٥ فعلن ماعدا الخامس والرابع عشر فقد جاءت على /٥/٥ فعلن .

وها هو تقطيع القصيدة :(٥٦)

١ - لو كان في   أملاكـنا   أحــد   يعصر فينا   مثلما   يعصــر
لو كان في   املاكنا   احـدن   يعصر في   نا مثلما   يعصـر
/٥/٥//٥   /٥/٥//٥   ///٥   /٥///٥   /٥/٥//٥   /٥/٥
مستفعلن   مستفعلن   فعلن   مستعلن   مستفعلن   فعلن

٢ - لاجتبت   صحنى   العراق على   حرف أمون   ، دفها   ازوره
لجتبت صح   نَي لعرا   ق على   حرفن أمو   نن دففها   أزوره
/٥/٥//٥   //٥//٥   ///٥   /٥/٥//٥   /٥/٥//٥   /٥/٥
مستفعلن   مستفعلن   فعلن   مستفعلن   مستفعلن   فعلن

٣ - متعنى   يوم   الرحيل بها   فرع تنقاه   القداح   يسـر
متتعنى   يومررحى   ل بهـا   فرعن تنق   قاهلقدا   حُ يَسَرْ

/o///o   /o/o//o   ///o   /o/o//o   /o/o//o   ///o

مستعلن   مستفعلن   فعلن   مستفعلن   مستفعلن   فعلن

٤ – تنزل   افنان الصريم   معـــا   كأنها   تروح أو   تبكـــر

تنزل أفـ   نا نصصرى   ممعــن   كأننها   تروح أو   تبكــر

/o///o   /o/o//o   ///o   //o//o   //o//o   /o/o

مستعلن   مستفعلن   فعلن   متفعلن   متفعلن   فعلن

٥ – ذعلية ،   في رجلها   روح   مدبرة ،   وفي اليدين   عســـر

ذ عليتن   في رجلها   روحن   مدبرتن   وفليدى   نعســـر

/o/o//o   /o/o//o   ///o   /o///o   //o//o   ///o

مستفعلن   مستفعلن   فَعِلُنْ   مستعلن   متفعلن   فَعِلُنْ

٦ – كأنها   من وحش   انبطة   خنساء ،   يحنو خلفها   جؤْذر

كأننها   من وحش إن   بطتن   خنساء يح   نوخلفها   جؤذر

//o//o   /o/o//o   ///o   /o/o//o   /o/o//o   /o/o

متفعلن   مستفعلن   فعلن   مستفعلن   مستفعلن   فعلن

٧ – باتت   عليه ليلة   ، لَثِقٌ   أولها ،   شنانة   وقُطُـرْ

باتت على   هي ليلتن   لثقن   أوولها   شننانتن   وقطـر

/o/o//o   /o/o//o   ///o   /o///o   /o/o//o   ///o

مستفعلن   مستفعلن   فعلن   مستعلن   مستفعلن   فعلن

٨ – الجأها   في دف   غر قدة   يحوطها   من البروق   ســدر

ألجاها   في دففغر   قدتـن   يحوطها   منلبرو   قســدر

/o///o   /o/o//o   ///o   //o//o   //o//o   ///o

مستعلن   مستفعلن   فعلن   متفعلن   متفعلن   فعلن

٩ –	باكرها	غدوا	بأكلبه	مشجعة	الجرمى أو	ناتـر
	باكرها	غدون بأكـ	لبهي	مشجعتل	جرميـ أو	ناتـــر
	٥///٥/	٥//٥/٥/	٥///	٥///٥/	٥//٥/٥/	٥/٥/
	مستعلن	مستفعلن	فعلن	مستعلن	مستفعلن	فعلن
١٠–	فأيقنت	إذ شاع	مطلبها	أن ليس	يخلو ما	لكلاب مكر
	فأيقنت	إذ شاعمط	لبها	أن ليس يخـ	لو ملكلا	بمكـــر
	٥//٥//	٥//٥/٥/	٥///	٥//٥/٥/	٥//٥/٥/	٥///
	متفعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	مستفعلن	فعلن
١١–	لاجابة	من الجذع	ولا	يخلجها ،	من الشباب	كبر
	لاجابتن	منلجذ	ع ولا	يخلجها	منششبا	بكبـر
	٥//٥/٥/	٥/٥//	٥///	٥///٥/	٥//٥//	٥///
	مستفعلن	متفعل	فعلن	مستعلن	متفعلن	فعلن
١٢–	تقد أجواز	الصريم	كما	قد بازميل	المعين	خـــور
	تقدد اج	وازصصرى	مكما	قدد باز	ميل لمعى	نخور
	٥//٥//	٥//٥/٥/	٥///	٥///٥/	٥//٥/٥/	٥///
	متفعلن	مستعلن	فعلن	مستعلن	مستفعلن	فعلن
١٣–	أعطاك	أهل الطود	عن عرض	سيف صحار	كلها ،	وهجـر
	أعطاك أهـ	للطود عن	عرضن	سيف صحا	رن كللها	وهجـر
	٥//٥/٥/	٥//٥/٥/	٥///	٥///٥/	٥//٥//	٥///
	مستفعلن	مستفعلن	فعلن	مستعلن	مستفعلن	فعلن
١٤–	والجون	من ربيعة	القشعم	تكنفهم	عن اليمين	مضـر
	ولجونمن	ربيعتل	قشعم	تكنفهم	عن ليمى	نمضـر
	٥//٥/٥/	٥//٥//	٥/٥/	٥///٥/	٥//٥//	٥///
	مستفعلن	متفعلن	فعلن	مستعلن	متفعلن	فعلن

١٥-	من يعص	منهم أمر	كفك لا	يحقنها	في ماعز	أوفر
	من يعص من	هم أمر كف	فك لا	يحقنها	في ماعزن	أوفر
	/٥/٥//٥	/٥/٥//٥	////٥	/٥///٥	/٥/٥//٥	/٥/٥
	مستفعلن	مستفعلن	فعلن	مستعلن	مستفعلن	فعلن

وفي قصيدة المرقش نرى أن ابن قتيبة يتعجب من الأصمعي إذ أدخلها في « متخيره » مع أنه « شعر ليس بصحيح الوزن ولا حسن الروى ولا متخير اللفظ ولا لطيف المعنى ثم قال ولا أعلم فيه شيئا يستحسن إلا قوله :

النشر مسك والوجوه دنا نيرٌ وأطراف الأكف عَنَمْ

ويستجاد منه قوله :

ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يَعْلَمْ[٥٧]

وهذه القصيدة ليست في الأصمعيات بل هي في المفضليات[٥٨] . وقد اتكأ على مقولة ابن قتيبة د . عبد الله الغذامي إذ جعلها أصمعية حين قال : « وليس الأصمعى وحده من أدخلها في متخيره بل فعل ذلك أيضا المفضل الضبى في المفضليات ، وغيره من أهل العربية»[٥٩] . وقصيدة المرقش هذه زاوجت بين الضرب « الأحذ المضمر » والضرب الأحذ فقط .

وفي تقسيم العروضيين إما أن يكون الضرب أحذّاً مضمرا أو أحذّاً .

ووصف د . شوقي ضيف قصيدة المرقش الأكبر بالاضطراب وقال : فهي من وزن السريع ، وخرجت شطور بعض أبياتها على هذا الوزن كالشطر الثاني من هذا البيت :

ماذنبنا في أن غزا ملك من آل جفنه حازم مرغم

فإنه من وزن الكامل[٦٠] .

وتبعه في ذلك د . أحمد سليمان ياقوت[٦١] .

وقد تنبه الزجاج لذلك فجعل ضروب السريع ستة فقط ، وهى عند الخليل سبعة . وذلك بأن أدخل ضربا منها في الآخر وهما الضرب « الأصلم » للعروض المطوية المكشوفة ، والضرب المكشوف المطوى للعروض المكشوفة المطوية . وقد قاده إلى ذلك اجتماع الضربين في قصيدة واحدة ، كقصيدة المرقش . وعد الشنتريني ذلك بعيدا في القياس ، لأن أحدهما لا يكون فرعا للآخر[٦٢] .

وقد كان أمام العروضيين من قصيدة المرقش أبيات حملت على السريع لأنها لم تتضح في الأبيات المستشهد بها تفعيلة واحدة سالمة تدل على البحر الكامل ///٥//٥ متفاعلن ، وكل ماورد في

البيت أو البيتين المستشهد بهما هى تفعيلة أصابها الإضمار /ه/ه//ه متفاعلن وآخر مضمر /ه/ه وهو في بحر السريع ضرب أصلم عروضه مكشوفة مطوية /ه/ه أو مطوية مخبونه ///ه .

ولذا حملوها على بحر السريع ، وتنبه الشنتريني إلى اختلاف الضرب في قصيدة واحدة واستشهد بـ :

هل للديـــار أن تجيب صمـــــم لو أن حيـــا ناطقـــا كلـــــم

ثم قال فيها :

الـــنشر مسك والوجـــوه دنـــا نير وأطراف الأكُــفّ عنـــم[٦٣]

وتنبه الزجاج لذلك فقسم ضروب السريع إلى ستة فقط في حين قسمها بعض العروضيين إلى سبعة أضرب[٦٤] وتبع الزجاج التبريزي في ذلك (ت ٥٠٢ هـ)[٦٥] .

ولو اطلع العروضيون على قصيدة المرقش كاملة لحملوها على بحر الكامل لوجود ///ه//ه متفاعلن في أكثر من بيت من القصيدة[٦٦] .

وتبعهم في هذا الحكم د . شوقي ضيف إذ جعل القصيدة من وزن السريع[٦٧] .

وقال إبراهيم أنيس : وقد حدثنا أهل العروض عن نوع آخر من قصائد البحر السريع فيه تنتهى كل الأشطر بوزن (فعلن) وذكروا أن (فعلن) هذه حين تكون في آخر البيت تصير أحيانا إلى (فعلن) من باب التخفيف ولا نكاد نظفر بهذا النوع في الشعر القديم إلا بمثل واحد يذكرونه دائما وهو قول المرقش :

هل بالديـــار أن تجيب صمـــــم لو كان رســما ناطقــا كلـــم[٦٨]

والعروضيون حين استشهدوا ببيتى المرقش حملوهما على السريع ، بيد أن حملهما على الكامل أولى ، لأن الكامل أصابه إضمار وحذف ، والحذف علة حسنة ، وأنا على يقين لو أنهم اطلعوا على القصيدة كاملة لحملوها على الكامل ، لأن فيها ///ه//ه متفاعلن ، وهى قاعدة اتخذوها فيصلا في أحكامهم .

وقد ذكر هذه القصيدة كثير من العروضيين ونقاد الشعر غير أن دراساتهم كانت تدور حول بيت أو بيتين منها[٦٩] .

ومما يجدر السؤال عنه – بغض النظر عن التسمية أو ادعاء البحر الذي تنتمي القصيدة له – هو هل يؤثر ذلك على النص ، أو يخرجه من الموسقة الشعرية أو الوزن الشعري أو حتى التقسيم الخليلي ؟ .

إن الدراسات السابقة كلها قد نظرت إلى أبيات متفرقة منها فكانت أحكامهم قائمة على ما

شاهدوه ولم تتعرض القصيدة كاملة للدرس العروضي ، بل يكتفى بإيراد بيت أو بيتين منها ، ولذا يتبين من هذه الدراسة أن القصيدة من بحر الكامل حسب التوزيع الخليلي لها . وهي خمسة وثلاثون بيتا سأكتفي بإيراد عشرة أبيات منها تمثل تفاعيلُها القصيدَةَ كاملة :

١ – هل بالديار أن تجيب صمم — لو كان رسم ناطقا كلـــم
هل بدديا ر أن تجى ب صمم — لوكان رس من ناطقن كللم
/٥/٥//٥ //٥//٥ ///٥ — /٥/٥//٥ /٥/٥//٥ /٥/٥
مستفعلن متفعلن فعلن — مستفعلن مستفعلن فعلن

٢ – الدار قفر والرسوم كما — رقش في ظهر الأديم قلـــم
اددار قف رن وررسو م كما — رققش في ظهر لأدى م قلم
/٥/٥//٥ /٥/٥//٥ ///٥ — /٥///٥ /٥/٥//٥ ///٥
مستفعلن مستفعلن فعلن — مستعلن مستفعلن فعلن

٣ – ديار أسماء التى تبلت — قلبي ، فعينى ماؤها يســـجم
ديار أس ماء للتى تبلت — قلبي فعى ني ماؤها يسجم
//٥//٥ /٥/٥//٥ ///٥ — /٥/٥//٥ /٥/٥//٥ /٥/٥
مستفعلن مستفعلن فعلن — مستفعلن مستفعلن فعلن

٤ – أضحت خلاء نبتها ثئـــد — نور فيها زهـوه فاعتـــم
أضحت خلا ءن نبتها ثئدن — نوورفي هازهوهو فعتـــم
/٥/٥//٥ /٥/٥//٥ ///٥ — /٥///٥ /٥/٥//٥ /٥/٥
مستفعلن مستفعلن فعلن — مستعلن مستفعلن فعلن

٥ – بل هل شجتك الضعـــف باكـــرة — كأنهن النخل من ملهـــم
بل هل شجت كضضعف با كرتن — كانهن ننخل من ملهم
/٥/٥//٥ /٥/٥//٥ ///٥ — /٥/٥//٥ /٥/٥//٥ /٥/٥
مستفعلن مستفعلن فعلن — متفعلن مستفعلن فعلن

٦ –	النشر	مسك	والوجه دنا	نير	وأطراف	البنان عنم
	انشرمس	كن‌ولوجو	هدنا	نيرن وأط	رافل بنا	نعنم
	٥//٥/٥/	٥//٥/٥/	٥///	٥/٥/٥/٥/	٥//٥/٥/	٥///
	مستفعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	مستفعلن	فعلن

٧ –	ماذنبنا	في أن	غزا ملك	من آل جفنة	حازم	مرغم
	ماذنبنا	في أن غزا	ملكن	من‌ءال‌جف	نتحازمن	مرغم
	٥//٥/٥/	٥//٥/٥/	٥///	٥//٥/٥/	٥//٥///	٥/٥/
	مستفعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	متفاعلن	فعلْن

٨ –	بيض	مصاليت	وجوههم	ليست مياه	بحارهم	بعمم
	بيض مصا	ليتن وجو	ههمو	ليست ميا	هبحارهم	بعمم
	٥//٥/٥/	٥//٥/٥/	٥///	٥//٥/٥/	٥//٥///	٥///
	مستفعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	متفاعلن	فعلن

٩ –	حارب	واستعوى	قراضية	ليس لهم	مما يحاز	نعم
	حارب‌وس	تعوى قرا	ضيتن	ليس لهم	مما يحا	زنعم
	٥//٥/	٥//٥/٥/	٥///	٥///٥/	٥//٥/٥/	٥///
	مستعلن	مستفعلن	فعلن	مستعلن	مستفعلن	فعلن

١٠–	لكننا	قوم	أهاب بنّا	في قومنا	عفافة	وكرم
	لاكننا	قومن أها	ب بنا	في قومنا	عفافتن	وكرم
	٥//٥/٥/	٥//٥/٥/	٥///	٥//٥/٥/	٥//٥//	٥///
	مستفعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	متفعلن	فعلن

ولعل أول من تحدث عن أبيات عدى بن زيد العبادى اللاميه د . شوقى ضيف حيث وصفها بالاضطراب ، وأنها من وزن السريع ، وقد خرجت بعض شطورها عنه إلى وزن المديد ، وأورد منها هذا البيت :

أنعـم صباحـا علقـم بن عـدى أثـويت اليـوم أم ترحـل[٧٠أ]

وعلى تلك المقولة اتكأ د . أحمد سليمان ياقوت[٧٠ب] بل أورد كل ماقاله د . شوقي ضيف في هذا النص دون أن يناقشه ، والأبيات جميعها من بحر السريع أصلم الضرب ، مطويا مكشوف العروض .

ولعل الدكتور شوقي ضيف حكم على خروج هذا البيت إلى البحر المديد .

انعـم صباحـا علقـم بن عدى أثـويت اليـوم أم ترحـل

لوجود تفعيله في عجز البيت « أثويت الـ ///٥/٥ فعلاتن وأخرى « يوم أم » /٥//٥ فاعلن . أما صدر البيت فلا يوحى مطلقا بالمديد وما أوقع اللبس هو قراءة البيت غير مدور بحيث خفف ياء « عدى » وعلى هذه القراءة « بدأ العجز بـ » أثويت ؛ وهي قراءة عجلى أوقعت في هذا الحكم ، ولو قرئ هكذا :

انعم صبا	حنعلقمبـ	نعـدى	ين أثوى	تليوم أم	ترحل
/٥/٥//٥	/٥/٥//٥	///٥	/٥///٥	/٥/٥//٥	/٥/٥
مستفعلن	مستفعلن	فعلن	مستعلن	مستفعلن	فعلن

لاستقام البيت على وزن السريع .

وإذن فالأبيات موزونة ولم تخرج حتى عن التقسيم العروضي الذي أوجده العروضيون ، بل نراها تحقق هذا التقعيد من غير أن تتجاوزه .

تَعْـرف أمسِ من لميسِ الطلَـلْ مثـل الكتـاب الـدارس الأحـولْ[٧١]
أنعـم صباحـا علقـم بن عدىْ يِ أثـويت اليـوم أم ترحـل
قد رحـل الفتيـان عبرهـم واللحـم بالغيطـان لم يُنْشَلْ
إذ هى تسبـى الناظريـن وتجـ لو واضحـا كالأفحـوان رَتِـلْ
عذبـا كما ذقت الجنـىَّ من التـ تفّـاح مسقيـا ببرد الطـلْ

ولعدى العبادى أيضا ثلاثة أبيات رائية جاءت على السريع نفسه وبعروضه المخبونة وهي[٧٢] :

قد آن أن تَصْحُـوَ أو تُقْصِرْ وقـد أتى لما عَهِـدْتَ عُصُرْ
عن مُبرقـاتٍ بالبُريـنَ وتبـد دو بالأكـفّ اللامعـات سُـوُرْ
بيض عليهنّ الدمـقس وبالـ أعنـاق من تحت الأكفّـة دُرْ

فجاءت العروض « ت عصر » و « ت سور » و « فت در » ///٥ فعلن .

ولعلقمة خمسة أبيات ، حين اطلع الدمامينى على أولها أوقعه ذلك في الحكم على هذه الأبيات « بأنها مختلة الوزن ، حتى قيل : إنها ليست بشعر »[٧٣] بيد أن الأبيات الأربعة الأخيرة مستقيمة

الوزن من بحر السريع .

١ —

فكان فيه	ما أتاك	وفي	تسعين	اسرى مقرنين	صفد
فكان في	هما أتا	ك وفي	تسعين أس	رامقرني	نصفد
//o//o	//o//o	///o	/o/o//o	/o/o//o	///o
متفعلن	متفعلن	فعلن	مستفعلن	مستفعلن	فعلن

٢ —

دافع	قومى في	الكتيبة إذ	طار لأطراف	الظباة	وقد
دافع قو	مي فلكتى	بت إذ	طار لأط	راف ظظبا	توقد
/o///o	/o/o//o	///o	/o///o	/o/o//o	///o
مستعلن	مستفعلن	فعلن	مستعلن	مستفعلن	فعلن

٣ —

فأصبحوا	عند ابن	جفنة في الـ	أغلال منهم	والحديد	عقد
فأصبحو	عندبنجف	نتفل	أغلال من	هم ولحدى	د عقد
//o//o	/o/o//o	///o	/o/o//o	/o/o//o	///o
متفعلن	مستفعلن ،	فعلن	مستفعلن	مستفعلن	فعلن

٤ —

إذ مختب	في المختبين	وفي النـ	نكهة	غى بادى	ورشـد
اذ مختبن	فلمختبى	ن وفن	نكهة غى	ين بادين	ورشد
/o/o//o	/o/o//o	///o	/o///o	/o/o//o	///o
مستفعلن	مستفعلن	فعلن	مستعلن	مستفعلن	فعلن

ولو حاول الدمامينى النظر في القطعة لما حكم على خمسة أبيات لمجرد أن البيت الأول اتخذ لنفسه ايقاعا غير ايقاع الأربعة الأخر(٧٤) ، وقد حكم على هذا البيت شارح ديوان علقمة يوسف الشنتمرى (ت ٤٧٦ هـ) بأنه مكسور ، حيث قال « وهذا البيت مكسور وكذا وقع في جميع النسخ »(٧٥) .

والبيت :

دافعت	عنه	بشعرى	إذ كان	في الفداء	جحد
دافعت عن :	هبشعرى		إذ كان فل	فداء جحد	

o//o/o/ o/o///   o//o/o/ o///o//

مستفعلن فعلاتن   مستفعلن متفاعلن

وفي إحدى النسخ جاءت روايته :

دافـــعت عنـــــه بشـــــعـــــرى   إذ كان مس الفـــــداء جحـــــــد

وتكون التفعيلة الأولى « متفعلن » وهى لا تغير في الأمر شيئا ؛ فالبيت سلك وزنا غير بقية الأبيات .

ووردت سبعة أبيات لأمية بن أبى الصلت في كتب الانساب وأول مصدر لها نسب قريش لأبى عبد الله مصعب بن الزبير (١٥٦ – ٢٣٦هـ)[٧٦] ، ثم أوردها بعده الزبير بن بكار (١٧٢ – ٢٥٦هـ) في جمهرة نسب[٧٧] قريش وأورد البلاذري[٧٨] خمسة أبيات منها ، أما الدماميني فقد أورد سبعة أبيات[٧٩] .

ولم يتطرق لها عروضياً إلا الدماميني حين أوردها عرضا وهو يتحدث عن الأبيات مختلة الوزن ، ثم تناولها د . عبد الله الغذامي[٨٠أ] بالمناقشة .

وإذا اعتمدنا على رواية أول مصدر لها وما تلاه من كتب الأنساب فإننا سنجد الأبيات مستقيمة الوزن من بحر الخفيف .

وهذه الأبيات :

١ – عين بكى بالمسبلات أبا العا   ص ولاتذ كرى على زمعه

عين‌بككى بلمسبلا ت أبلعا   ص ولا تذ كرى على زمعه

o//o/o/ o//o/o/ o/o///   o/o//o/ o//o// o///

فاعلاتن مستفعلن فعلاتن   فاعلاتن متفعلن فعلن

٢ – لبنى مسلم لهم خرت الجو   زاء لاختنا ولا خدعه

لبنى مس لمن لهم خررت‌لجو   زاء لاخا نتن ولا خدعه

o/o/// o//o// o/o//o/   o/o//o/ o//o// o///

فعلاتن متفعلن فاعلاتن   فاعلاتن متفعلن فعلن

٣ – وهم الهامة الوسيطة من كعـ   ـب ومن‌هم كذروة القمعه

وهملها	متلوسى	طة من كعـ	بن ومن هم	كذروتل	قمعه
o/o///	o//o//	o/o///	o/o//o/	o//o//	o///
فعلاتن	متفعلن	فعلاتن	فاعلاتن	متفعلن	فعلن

٤ – انبتو من	معاشر	شعر الرأ	س وقد	بلغوهم	المنعه
انبتو من	معاشرن	شعر رأ	س وقد بل	لغوهمل	منعه
o/o//o/	o//o//	o/o///	o/o///	o//o//	o///
فاعلاتن	متفعلن	فعلاتن	فعلاتن	متفعلن	فعلن

٥ – وهم المطعمون	إذ قحط	القط	روأصحت	فلا ترى	قزعه
وهم المط	عمون إذ	قحطلقط	روأصحت	فلا ترى	قزعه
o/o///	o//o//	o/o///	o/o///	o//o//	o///
فعلاتن	متفعلن	فعلاتن	فعلاتن	متفعلن	فعلن

أما البيت السادس فقد اختلت فيه التفعيلة الأولى من الصدر من فاعلاتن إلى مستفعلن وكذلك الثانية مستفعلن إلى فاعلاتن وجاء بهذه الرواية :

أمسى بنو	عمهم إذا	جلس النا	دى عليهم	أكبادهم	وجعه
امسى بنو	عمهم إذ	جلس النا	دى عليهم	اكبادهم	وجعه
o//o/o/	o/o//o/	o/o///	o/o//o/	o//o//	o///
مستفعلن	فاعلاتن	فعلاتن	فاعلاتن	مستفعلن	فعلن

وكل هذه الأبيات جاءت بهذه الرواية أو رواية لا يتغير معها وزنها ، إلا ما جاء في رواية الدماميني (ت ٨٢٧) وهو المتأخر عليهم جميعا ، فقد أورد البيتين الرابع والخامس بزيادة « هم » وهذه الزيادة ليست موجودة في رواية الزبيرى ، ولا ابن بكار ولا البلاذرى ، ولا يحتاج البيت إلى تلك الزيادة ؛ وقد وردا عند الدماميني على هذا النحو :

وهـم انبتـوا من معـاشر شعـر الـــرأ   س وهـــم الحقوهـــم المنعـــــه
وهـم هم المطمعـون إذ قحـط القطـ   ر وحـــالت فلا ترى قزعـــــه

وهذه الزيادة هي التي جعلت الدماميني يحكم على هذا النص وأشباهه باختلال الوزن . وعلى هذه

الرواية أيضا اعتمد د . عبد الله الغذامي حيث وصفها « بأنها جاءت على غير وزن محدد ، وإنما اعتمدت على نوع من الايقاع ... »[٨٠ب] .

أما القصيدة فهى من بحر الخفيف الذى جرى في ضربه الحذف .

وشاهده عند العروضيين :

ليت شعـــرى هل ثم هل آتِيَنْهـــم   أم يحولـن من دون ذاك الــردى[٨١]

ويقول ابن عباد في الإقناع : ويجوز في فاعلن الخبن فيصير فعلن واستشهد بقول الشاعر :

والمنايــا من بين سار وغـــاد   كل حى برهنها عَلِـــــــقُ

وقد استشهد به أيضا التبريزى[٨٢] والدمامينى[٨٣] .

وهذا ما تحقق في أبيات أمية ..

وحينما لم يجد علماء العروض نصوصا مطردة لمجزوءات بعض البحور لم يدخل ذلك في تقسيمهم ، فالمديد أصله :

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن   فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

وأصله في الدائرة « فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن مرتين» ، ولم يأت له شاهد في الشعر العربي إلا إذا جعل كل بيتين من هذا النص بيتا واحدا كأن يكون :

طاف يبغى نجوة من هلاك فهــلك   ليت شعرى ضلة أي شئ قتــلك

وتكون كل الأبيات مصرعه ، وهذا النص يحقق تمام البحر في دائرته[٨٤] ، أو سلامة التفاعيل فيه . غير أن المديد لم يرد إلا سداسى التفاعيل ولذا ظل عند العروضيين الذين لم يطلعوا على هذا النص ، ونصوص أخرى لاحقة مديدا سداسى التفاعيل ، وحين اطلع الزجاج على قول أم السليك أثبت أنه من مجزوء الرمل المحذوف العروض والضرب[٨٥] .

ويورد الزمخشري نصا آخر :

يالبكــــر لاتنـــــوا   ليس ذا حين ونـــــــا

دارت الحرب رحـــــى   فادفعوهــــا برحـــــى

بؤس للحـــرب التـــي   تركت قومي رحـــى[٨٦]

ولابن المعتز قصيدة عدتها (٣٥) بيتا .

أســـــألت طلـــــلا   بالبراق قد خلا[٨٧]

وبما أن هذه النصوص موزونة قولاً أو تقطيعا ، فإن العروضيين يختلفون في سلكها في بحر من البحور . وأقرب ما يقال إنها تكونت من تفعيلتن فاعلاتن فاعلن ، وهذا متسق في كل سداسي نقص تفعيلةً من الصدر والعجز فأصبح رباعي التفعيلة ، وهذا ما يحققه هذا النص .

ولعل القافية وحرف الروى يساعدان على استقلالية البيت ، فيعامل معاملة خاصة به ،

يعضدها مجيء النصوص اللاحقة كما أوردها الزمخشرى وكما في ديوان ابن المعتز :

والنص ينسب لأم السليك ويقال إنه لأم تأبط شرا :

١ –	طاف يبغى نجـــوة	من هلاك فهـــــلك
٢ –	ليت شعـــرى ضلـــة	أي شيء قتـــــلك
٣ –	أمـــريض لم تعـــد	أم عدو ختـــــلك
٤ –	أم تولى بك ما	غال في الدهر السلك
٥ –	والمنايـــــا رصد	للفتـــى حيث سلك
٦ –	أي شيء حسن	للفتـــى لم يك لك
٧ –	كل شيء قاتــــل	حين تلقـــى أجـــلك
٨ –	طال ماقـــد نلت في	غير كدٍّ أمـــــلك
٩ –	ان أمـــرا فادحـــا	عن جوابي شغـــلك
١٠ –	سأعـــزِّى النــفس إذ	لم تجب من سألك
١١ –	ليت قلبـــى ساعـــة	صبره عنك ملك
١٢ –	ليت نفسى قدمت	للمنايـــا بدلك[٨٨]

وبعد ، فإن النصوص الشعرية التى وردت في هذا البحث ، وتطرق إليها القدامى والمحدثون من العروضيين والنقاد إنما كانت تبحث عن سمة خاصة بها . فمنها ما استطاع أن يستقر في مكان موسيقى وضع له اسم كمخلع البسيط ، ومنها ما كان في منطقة ضيقة – كما سبق – ادعاها أكثر من بحر ، ومنها ما كان بيتا أو شطرا من بيت لم تستطع الدراسة أن تصنفه في ميزان معروف أو مستقل باسم ثابت له ، وعلى أي حال فإن الباحث يرى أنه حاول أن يحدد السمات الرئيسة لهذه النصوص حيث توصل إلى نتائج تبرز عدم الاضطراب أو الخلط في هذه النصوص ، فضلا عن لمِّ شتاتها من بطون كتب التراث وطرح رؤية خاصة . وهذا لايعدو أن يكون مناقشة في جانب منه معلومة قد تكون مستقرة في ذهن القارىء ، وتلك المعلومة – فيما يخال البحث – قد ظَلَمَت الدرس العروضي بالتوقيف حينا أو طرحه جانبا حينا آخر ، مع أنِ الدرس العروضي كانت سمته الاستقراء ثم الاستنتاج فالقاعدة ؛ فهو في بدايته كان يبحث عن شخصيته بملاحقته النص الشعري كله ، غير أنه حينما استقر ظلت الدراسات اللاحقة تدور في فلكه ، ولم تحاول أن تصنع ما صنع هو في بدايته ، فجاء نقاد محدثون اطرحوا الدرس العروضي جانبا وأخذوا يبحثون عن بوادر لرؤى في أذهانهم ، فكان ذلك والدراسةَ العروضية على طرفي نقيض ، وليس من سمات هذا البحث أن يكون على جانب مناقض للدرس العروضي ، ولكنه قد قصد به أن يتعمق في دراسة نصوص ظل الدرس العروضي يلامس طرفا منها أو يعطيها نظرة عجلى قد يعترض عليها بعض القراء ، لأنهم إما أنهم يفكرون بالمنهج

العروضي الخالص ، أو لأنهم لا يعملون الدرس العروضي في دراساتهم التي جاءت لتتبع النص والدفاع عنه سواء حقق نغمة موسيقية متناسقة أو متنافرة ، وهم يعللون التنافر بالمفاجأة وهاتان النظرتان تعطلان إتمام مابدأه الأسلاف من جهود مشكورة ، ولا يضير الدراسات اللاحقة أن تعترض ببعض الآراء التي رأوها توقيفية ، إن صحت هذه التسمية ، فمن طبيعة الدرس العروضي أن يكون باحثا عن الموسقة وبأي شكل تستسيغها الأذن ويتقبلها الذوق الإيقاعي ، وهذا ماحدث للدراسات العروضية في بداياتها عند الخليل والأخفش الأوسط وحماد الجوهرى ، والكسائي وغيرهم ، فكانت دراساتهم بحق تثرى الدرس العروضي ، وتتعمق في مواطنه وأغواره ، فجاءت تأسيسا فإضافة فاستدراكا ، وعلى اللاحقين أيضا أن ينظروا بعين مفتوحة وأذن مستمعة ، لتتكىء على الصوت قبل الرسم ، لأنها ستحل كثيرا من اللبس ، وإذا كانت شعرية النص واضحة فعلى الدرس العروضى ألا يستسلم إلى رسم الكلمة بل يتعامل معها نصا منطوقا قبل أن يكون مكتوبا وعلى الدرس العروضى أيضا أن لا ينظر لبيت أو شطر منه مستقلا عن كامل النص ، لأن هذا سيؤول بالدرس إلى وجود بحور كثيرة أو أعاريض وأضرب متعددة في نص واحد والذي يهم أن يبحث عن القاسم المشترك في كل نص ، لأن المناقشة ستدور حوله .

وقد كان هذا هو المنهج الذى سار عليه الباحث في بحثه هذا من اعتماد على التعامل مع النص منطوقا قبل أن يكون مكتوبا ؛ مما مكنه من إعطاء النتائج السابقة .

وبالله التوفيق ،،،

التعليقات

(١) **شوق ضيف** ، الأدب الجاهلى ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، س ١٨٤ **وأحمد سليمان ياقوت** « عروض الخليل مالها وما عليها » دار المعارف الجامعية ، الإسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م ، ص (٣١) وقال : واستطاع أيضا – أى الخليل – أن ينمى جانبا عن هذه القصائد (الشاذة) وعددها لا يتعدى عدد أصابع اليد الواحدة فربما قالها أصحابها عابثين هازلين ، ص ٣١ وسنناقش تلك القصائد لاحقا .

(٢) الدوائر العروضية أوجدت بحورا مهملة ، حاول النظامون العروضيون أن يقولوا فيها شعرا انظر **ابن القطاع** (البارع في علم العروض) القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ فقد أورد مهملات دائرة المؤتلف ص ١٢٨ ، ومهملات دائرة المشتبه ١٨٠ – ١٨٤ ومهملات دائرة المتفق ص ١٩٥ . وهو نظم قصد منه تحقيق القاعدة

(٣) حينما درس **كمال أبو ديب** بعض النصوص الشعرية في كتابه (في البنية الإيقاعية للشعر العربي نحو بديل جذري لعروض الخليل) تحدث عن قصيدة عبيد « بأنها أول قصيدة من الشعر الحر في الشعر العربي » . وانظر للباحث دراسة عن بائية عبيد بن الأبرص ، دراسة عروضية إيقاعية ، مقبول للنشر في حولية كلية الآداب ، جامعة المنيا .

(٤) **شوقي ضيف** تحدث عن قصائد يضطرب فيها العروض ، أو خروج شطور بعض أبياتها على وزن القصيدة تحدث عن ذلك في كتابه العصر الجاهلي ص ١٨٤ – ١٨٥ راجع في ذلك **أحمد سليمان ياقوت** في دراسة (عروض الخليل : مالها وما عليها» ، ص ص ٣٢ – ٣٥

(٥) انظر **التبريزي** في الكافي ص ٣٢ ، وهكذا في أغلب كتب العروض ، وقد قيل إن الشعر كله أربع وثلاثون عروضا وثلاثة وستون ضربا وخمسة عشر بحرا جمعها التبريزي « الكافي في العروض والقوافي » ، ص ٢١ . هذا بالطبع قبل بحر المتدارك ولن أتحدث عن مكتشفه وهل هو الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ) كما هو عند عامة العروضيين أم الخليل نفسه ، راجع تلك القضية في (كتاب العروض) **للأخفش** تحقيق الدكتور **أحمد محمد عبد الدايم** ص ص ٩٧ – ١٠٠

(٦) سيأتي الحديث عنها حينما تورد النصوص وقد تحدث محمد العلمى عنها في كتاب العروض والقافية ، دراسة في التأسيس والاستدراك ، الطبعة الأولى ، المغرب ، دار الثقافة ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م .

(٧) انظر مناقشة **محمد العلمى** لذلك في المصدر السابق حيث أورد ما قاله الكسائي في المديد المجزوء مخبونة العروض والضرب، وكذلك العروض المجزوأة المحذوفة وضربها مجزوء أبتر ، إذ وصفها من البسيط بإسقاط (مستفعلن) من المصدر ، ص ص ٢٣٤ – ٢٣٥

(٨) ناقش محمد العلمى ذلك في المصدر السابق ص ٢٢٨ .

(٩) **التبريزى** (الكافي في العروض والقوافي) القاهرة ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، ص ١٣٨

(١٠) **التبريزى** (الكافي في العروض والقوافى) ص ١٣٩

(١١) انظر **التبريزى** (الكافى) ص ١٣٩ ، **والزمخشرى** ، القسطاس ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ١٩٦٩م ، ص ١٢٩ .

(١٢) من قصيدة مشهورة للحصرى ، وانظر **ابراهيم أنيس** ، موسيقى الشعر ، ص ١٠٤ .

(١٣) **التبريزى** (الكافى في العروض والقوافي) ، ص ٨٢ .

(١٤) ديوان المتنبى (**البرقوقى**) ص ص ٣ – ١٨١ .

(١٥) **المرزبانى** (الموشح) الطبعة الثانية ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٨٥هـ ، ص ١٧ .

(١٦) نفسه ص ٢١

(١٧) نفسه ص ٢٣ ، ٢٤

(١٨) **التبريزى** (الكافى) ص ١٦٥ ، **المرزبانى** (الموشح) ص ١٥ .

(١٩) **الضبى** (المفضليات) ص ٢٣٧ ، (المفضلية) ص ٥٤

(٢٠) **التبريزى** (الكافي) ص ٧٣

(٢١) **التبريزى** (الكافى) ص ٥٣ .

(٢٢) **ابن عبد ربه** (العقد الفريد) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ – ١٩٧٥م ، ص ص٥ – ٤٥٢ .

(٢٣) تطرق بحث بائية عبيد بن الأبرص للباحث نفسه لشيء من هذا التشابه ، انظر ص ١٥ .
(٢٤) قال بذلك أحمد سليمان ياقوت في بحثه عروض الخليل : مالها وما عليها ، ص ٣١ .
(٢٥) أغلب الكتب النقدية آنذاك ناقشت هذه القضايا انظر مثلا نقد الشعر ... الشعر والشعراء ، الموشح ، ص ص ٤٢ – ٤٧
(٢٦) نقد الشعر ، القاهرة ، مطابع الدجوى ، ص ١٨١ ، وفي الموشح جاء البيتان برواية (ووترتنى) بدل (ترتنى) و (يثمرها) بدل (ينمرها) ص ١٧٨ . وهاتان اللفظتان يحققان وزنا آخر للبيتين :
وناقشهما د **عبد الله الغذامي** في كتابه الصوت القديم الجديد ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٩٢
(٢٧) الموشح ، ص ٧٤ .
(٢٨) الإكليل ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٦٨ هـ ، ص ٦٨
(٢٩) دار صادر ، طبع سنة ١٩٦٧ م .
(٣٠) بائية عبيد بن الأبرص ، دراسة عروضية إيقاعية للباحث مقبول للنشر في حولية كلية الآداب جامعة المنيا .
(٣١) انظر بائية عبيد بن الأبرص ، دراسة عروضية إيقاعية ، الأبيات ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٧ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٥٠ .
(٣٢) مفتاح العلوم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، ص ٥٣٣ .
(٣٣) مقدمة ديوان عبيد تحقيق د . **حسين نصار** ، مصطفى الباجي الحلبى ، الطبعة الأولى ، مصر ، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م ، ص ١٥ .
(٣٤) نفسه ، ص ٩ .
(٣٥) الأدب الجاهلى ، ص ١٨٤ .
(٣٦) ديوانه ص ١٨٩ ، ولعل القارئ يدرك أن صدر البيت الخامس من بحر الرجز .
(٣٧) الإكليل ، ص ص ٨ – ٣٩ ، ٦٠
(٣٨) الإكليل ، ص ص ٨ – ٦٨
(٣٩) موسيقي الشعر ، ص ١١٨ .
(٤٠) الحماسة **لابي تمام** تحقيق د **عبد الله عسيلان** ، الحماسية ٤١٢ ، ص ٢٩٧ البيتين (١ ، ٣) .

(٤١) عروض الورقة ، ص ٦٦ .
(٤٢) **العلمى** ، العروض والقافية ، ص ٢٢٩ .
(٤٣) عروض الورقة ، مطبوعات نادى مكة الثقافى ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م ، ص ٦٦ .
(٤٤) انظر المفتاح ، ص ٢٥٣ ، وناقش محمد العلمى هذا الموضوع في كتابه (العروض والقافية) ص ٢٣١ .
(٤٥) نقد الشعر ، عابدين ، القاهرة ، مطابع الدجوى ، ص ١٨١ .
(٤٦) الموشح ، ص ٧٤ .
(٤٧) انظر مثلا الكافى ، ص ٤١ ، والاقناع ، ص ٩٨ ، والعيون الغامزة ، ص ١٥٦ .
(٤٨) المفتاح ، ص ٥٣٣ .
(٤٩) المرشد ، ١ – ٨٠.

(٥٠) الشعر والشعراء ، ص ٤٦ .
(٥١) **الدماميني** ، (العيون الغامزة) ، ص ٢٩٨ ، وتبعه ابن برى أيضا .
(٥٢) هى خمسة وثلاثون بيتا .
(٥٣) **ابن القطاع** ، البارع ، ص ١٣٨ .
(٥٤) القوافى ، ص ١٠٧ ، مخطوط صورته جامعة الملك عبد العزيز .
(٥٥) **التبريزى** ، الكافى ، ص ٩٧ .
(٥٦) القصيدة ليست في ديوان طرفه تحقيق مكس سلفسون طبع شالون برطوند ١٩٠٠م ، وهى في ديوانه تحقيق على الجندى – الأنجلو المصرية ، ص ١٨٣ ، وانظر القوافى ، **للإربلى** ، الصفحات ص ص ١٠٦ ، ١٠٨ .
(٥٧) الشعر والشعراء ، ص ص ١٨ – ١٩ .
(٥٨) انظر المفضليات (المفضلية ، ص ٥٤) و (تخريجها ، ص ٢٣٧) .
(٥٩) **الغذامى** ، الصوت القديم الجديد ، ص ٨٨ .
(٦٠) العصر الجاهلى ، ص ١٨٤ .
(٦١) عروض الخليل مالها وما عليها ، ص ٣٠ .
(٦٢) انظر المعيار ص ٦٧ ، والعلمى ، الوزن والقافية ، ص ٢٣٥ .
(٦٣) **التبريزى** ، الكافى ، ص ٩٨ ، الشنتريني ، المعيار ص ٦٤ ، **الدماميني** ، الغامزة ، ص ١٩٨ .
(٦٤) المعيار ، ص ٦٧ وتقسيم بعض العروضيين في ص ٦٣ .
(٦٥) الكافى ، ص ٩٥ .
(٦٦) انظر البيت الثامن عشر والحادى والعشرين من ترتيب المفضليات ، ص ٢٣٧ .
(٦٧) العصر الجاهلى ، ص ١٨٤ .
(٦٨) موسيقى الشعر ، ص ص ٩٣ – ٩٤ .
(٦٩) انظر تناول **عبد الرؤوف بابكر السيد** لها في المدارس العروضية في الشعر العربي ، المنشأة العامة للنشر ، طرابلس ليبيا ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م ، حيث أورد ما قاله د . عبد الله الطيب و عبد المجيد عابدين ص ٥١ ، ٢٤٢ .
(٧٠ أ) العصر الجاهلى ، ص ١٨٤ .
(٧٠ب) عروض الخليل مالها وما عليها ، ص ٣٠ .
(٧١) الأبيات في ديوانه ص ١٥٧ ، وانظر الأغانى ٢ – ١٥٣ – ٢٤٥ .
(٧٢) ديوانه ، ص ١٢٧ ، وانظر تخرجها هناك .
(٧٣) العيون الغامزة ، ص ٢٣٤ .
(٧٤) ديوان علقمة ، ص ١٠٣
(٧٥) نسب قريش ، ص ٢٠٦ .
(٧٦) نفسه ، ص ٢٠٦
(٧٧) جمهرة نسب قريش ، ص ٤٦٨ .
(٧٨) أنساب الأشراف ، ص ص ٣٠٧ – ٣٠٨ .
(٧٩) العيون الغامزة ، ص ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

(٨٠) (أ – ب) الصوت القديم الجديد ، ص ٩٤ .
(٨١) الإقناع ، ص ١٤٩
(٨٢) الكافى ، ص ١١٠ .
(٨٣) العيون الغامزة ، ص ١٥ ، ٢٠٦
(٨٤) القسطاس المستقيم ، ص ١١١ .
(٨٥) المصدر نفسه ، ص ١١١
(٨٦) المصدر نفسه ، ص ١١٠
(٨٧) ديوانه ، ص ٢٧٧ – ٢٧٩ .
(٨٨) الأبيات في الحماسة ص ٢٥٩ – ٢٦٠ ، الحماسية ، ص ٣١٢ ، وانظر القسطاس ، ص ١١١

المراجع

الأبرص ، عبيد (ت ٢٥ ق هـ) ، ديوانه ، تحقيق حسين نصار ، الطبعة الأولى ، مصطفى الباجي الحلبي ، مصر ، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م .

الأخفش ، أبو الحسن سعيد بن مسعده (ت ٢١٥هـ) ، القوافي ، تحقيق د عزه حسن ، دمشق ، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م .

الإربلي ، علي بن عثمان (ت ٦٧٠هـ) ، القوافي ، مخطوط صورته بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز

الأصبهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين ، الأغاني ، الجزء الثاني ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، د ت .

امرؤ القيس ، ابن حجر بن الحارث بن عمرو ، ديوانه ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٤م

أنيس ، إبراهيم ، موسيقى الشعر ، الطبعة الخامسة ، مصر ، ١٩٧٨م

ابن بكار ، الزبير ، (ت ٢٥٦هـ) ، جمهرة نسب قريش ، شرحه وحققه محمود محمد شاكر ، دار العروبة ، القاهرة ، الجزء الأول

ابن عباد ، الصاحب (ت ٣٨٥هـ) ، الاقناع في العروض وتخريج القوافي ، تحقيق إبراهيم محمد الادكارى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، القاهرة ، مطبعة التضامن .

ابن عبد ربه أبو عمرو أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى ، الشعر والشعراء ، دار الثقافة ، بيروت ، الجزء الأول ، ١٩٦٩م .

ابن القطاع ، أبو القاسم علي بن جعفر (ت ٥١٥هـ) ، البارع في علم العروض ، تحقيق أحمد محمد عبد الدايم ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م

ابن المعتز ، أبو العباس عبد الله بن محمد ، ديوانه ، تحقيق محمد بديع شريف ، دار المعارف بمصر .

أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، الحماسة ، تحقيق عبد الله عبد الرحيم عسيلان ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

أبو ديب ، كمال ، البنية الإيقاعية للشعر العربى ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م .
البلاذري ، أحمد بن يحي ، أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، الجزء الأول ، ١٩٥٩م
التبريزي ، الكافي في علم العروض والقوافي ، تحقيق الحساني حسن عبد الله ، القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، مطبوعات معهد المخطوطات العربية .
الجوهري ، أبو نصر اسماعيل بن حماد ، عروض الورقة ، تحقيق وتقديم صالح جمال بدوى ، مطبوعات نادى مكة الثقافي ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .
الدماميني ، بدر الدين محمد بن أبي بكر (ت ٨٢٧هـ) ، العيون الغامزة على خبايا الرامزه ، تحقيق الحساني حسن عبد الله (من ذخائر العروض)
الزبيري ، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦ هـ) ، نسب قريش ، عنى بشرحه ليفي بروفينسال ، القاهرة ، دار المعارف المصرية ، الطبعة الثانية (١٩٧٦م)
الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمى (ت ٥٣٨هـ) ، القسطاس المستقيم في العروض ، تحقيق بهيجة باقر الحسينى ، بغداد ، مكتبة الاندلس ، ١٩٦٩م
السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر ، مفتاح العلوم ، تحقيق نعيم زرزور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
المسيد ، عبد الرؤوف بابكر ، المدارس العروضية في الشعر العربي ، المنشأة العامة للنشر ، طرابلس - ليبيا ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م
الشنتريني ، أبو بكر محمد بن السراج ، المعيار في أوزان الأشعار والكافي في علم القوافي ، تحقيق محمد رضوان الدايه ، دار الأنوار ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
الضبي ، المفضّل بن سلمه الضّبى الكوفى ، المفضليات ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، ط ٤ ، دار المعارف ، بمصر ، ١٣٧٢ - ١٩٥٢م .
ضيف ، شوق ، تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٠م
طرفه بن العبد ، ديوانه ، شرح الأعلم الشنتمرى ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، ديوانه ، تحقيق على الجندى ، مكتبة الأنجلو المصرية .
العبادى ، عدى بن زيد ، ديوانه ، تحقيق محمد جبار المعيبد ، العراق ، سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م
العلمى ، محمد ، العروض والقافية ، المغرب ، دار الثقافة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .
الغذامى ، عبد الله بن محمد ، الصوت القديم الجديد ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م .
الفحل ، علقمة ، ديوانه ، بشرح أبي الحجاج يوسف السنتمرى ، حققه لطفي الصقال ودرية الخطيب وراجعه فخر الدين قباره ، حلب ، دار الكتاب العربي ، ١٩٧٠م
القحطاني ، عبد المحسن فراج ، بائية عبيد بن الأبرص « دراسة عروضية إيقاعية » مقبول للنشر في حولية كلية الآداب ، جامعة المنيا .
قدامه ، ابن جعفر أبو الفرج ، نقد الشعر ، تحقيق كمال مصطفى ، القاهرة ، مطابع الدجوى ، عابدين ، د ت .
المتنبي ، أحمد بن الحسن ، ديوانه ، البرقوقي ، مطبعة السعادة ، القاهرة .

المجذوب ، عبد الله الطيب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، جزءان ، مطبعة البابي الحلبي ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .

المرزباني ، أبو عبد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ) ، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء ، تحقيق محب الدين الخطيب ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٨٥هـ .

الهمداني ، الإكليل ، الجزء الثامن ، الطبعة الهندية ، حيدر أباد ، د . ت ، والمطبعة السلفية ، ١٩٦٨م .

ياقوت ، أحمد سليمان ، عروض الخليل مالها وما عليها . دار المعارف الجامعية ، الأسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م .

Some Prosidic Texts in the Light of Prescriptional Rules of Mitirics and the Melody

ABDULMOHSEN FARRAJ AL KAHTANI
Assistant Professor, Faculty of Arts and Humanities, Department of Arabic Language, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

ABSTRACT. There are poetic texts which were composed in the Jahilia era and the Islamic period. Some scholars claimed that those were in a state of chaos other for remmes of free verse.

The rhythm of the majority of these texts would serve to classify them under more than one matter. Because of this the researcher decided to examine each text on its own and moved to text of more than five lines and divided them into groups which have great similarity. He started with texts which can be classified of (Majzo' al baseet), (al-baseet), (al savee), (al kamil), (al rajaz) and (al-kafeef ... al ramil).

The researcher advocates that the prosodic critic should analyse the spoken texts rather than the written texts, because written texts show differences inform but where uttered those differences are reduced or may be disappeared. The written form may also affect the way a text is classified as belonging to this matter of that.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م٦ ، ص ص ١٧٩ - ٢٠٢ (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)

أضواء على بعض أوجه القراءات في سورة الفاتحة

محجوب الحسن محمد

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ،
جامعة الملك عبد العزيز ، جدة - المملكة العربية السعودية

المستخلص : هناك قراءات متعددة لسورة الفاتحة التي يكررها المسلم يوميا في صلاته . وبعض هذه القراءات صحيح والآخر شاذ ، تتناول هذه الدراسة بعض وجوه هذه القراءات كما بينها علماء القراءات ، وتشير إلى الضوابط والموازين الدقيقة التي وضعوها ، تمييز القراءة الصحيحة من الشاذة وبيان الحجة في ذلك .

وقد قدم لنا هؤلاء العلماء دراسات وافية تعرضوا فيها للجوانب اللغوية والنحوية والبلاغية وهذه الدراسة مبنية على تلك الجهود القيمة التي بذلها العلماء ، بهدف أن يفيد منها المسلم في تمييز القراءة الصحيحة من الشاذة توخيا للصواب

أورد العلماء قراءات متعددة بالقرآن الكريم ، بعضها صحيح وبعضها شاذ ، وليس في تعدد الصحيح منها تناقض أو تضاد ، فلا تبدل حلالا بحرام ولا عذابا برحمة ، بل هي رحمة وتوسعة على المسلمين . وفيها من قوة البيان ، ووضوح التعبير ، وجزالة الأسلوب وجماله ، ما لا يحيط بفصاحته وبلاغته بشر . فالقرآن الكريم هو الوحي المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للإعجاز والبيان وهو نعمة حبانا الله وخصنا بها ، وكله يصدق بعضه بعضا ، ويشهد بعضه على بعض . وقد تعددت فيه القراءات وهى تعنى باختلاف ألفاظ الوحى المذكور في الحروف أو كيفيتها من تحقيق وتشديد وغيرهما . ومنها ما هو متواتر وما هو شاذ والمقصود بالمتواتر أن يروى القراءة جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عن مثلهم وهكذا إلى رسوله الله صلى الله[1] عليه وسلم بدون انقطاع في السند .

وهذه القراءات المتعددة ، جذبت إليها العلماء القدامى ، فانكبوا عليها يتابعونها ويحيطونها بعنايتهم ، ويلقون عليها الأضواء الكاشفة من جوانب متعددة . فنجدهم مرة يجمعون على قراءة بعينها ، وطورا يتفق اثنان منهم أو ثلاثة على قراءة ما ، وتارة ينفرد واحد منهم بقراءة دون غيره . وتجدهم أحيانا يتعرضون لجوانب لغوية ونحوية وبلاغية ، فلا يكتفون بتمييز الصحيح من الشاذ وإنما يقدمون دراسة وافية .

والمستضيء بدراستهم وآرائهم يجد أنهم قد بذلوا جهودا طيبة في توضيح القراءة الصحيحة من الشاذة ، خاصة عندما شعروا بكثرة الاختلاف وعسر الضبط وانتشار التفريط ، بوضع ضوابط وموازين دقيقة . وقد وضع ابن الجزرى مقاييس القراءة الصحيحة فقال : كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها[٢] .

ويقول ابن الجزرى ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم .

فكل قراءة صح سندها ووافقت وجها من وجوه النحو ورسم المصاحف العثمانية ، وجب قبولها والأخذ بها . واشترط آخرون[٣] التواتر في القراءة زيادة على ما ذكره ابن الجزرى .

ومذهب الجمهور ، حفاظا على القرآن ، على منع تلاوة القراءة الشاذة لعدم تواترها . قال البنا[٤] : وقد أجمع الأصوليون والفقهاء وغيرهم على أن الشاذ ليس بقرآن لعدم صدق الحد عليه[٥] .

وأما القراءة الصحيحة فلا يجوز ردها أو إنكارها ، لأنها وردت متواترة ، وصلت إلينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيجب الأخذ بها والحفاظ عليها ، لانطباق الحد عليها . فالقراءات السبع متواترة بإجماع العلماء . والقراء السبعة هم : نافع ، ابن كثير ، أبو عمرو ، ابن عامر ، عاصم ، حمزة ، الكسائي . وذكر البنا أن العلماء اختلفوا في القراءات الثلاث بعد السبع . وقراؤها هم : أبوجعفر ويعقوب وخلف ، وأجمعوا على أنه لم يتواتر شيء مما زاد على العشر المشهورة . واتفقوا على شذوذ الأربع الباقية وهى لابن محيصن واليزيدى والحسن والأعمش[٦] .

وإذا تتبعنا هذه القراءات وأخذنا مثالا لذلك سورة الفاتحة ، فإننا سنجد أنها ميدان واسع ، وأفق رحيب حين تمر بنا قراءات متعددة ، وقراءات صحيحة وأخرى شاذة . وليس الهدف هنا تحديد القراءة الصحيحة من الشاذة فحسب ، وإنما ينبغي التعرض لبعض الجوانب اللغوية والنحوية والبلاغية ، بمقدار ما يقتضيه المقام ، فمن يروم القراءة الصحيحة ترتقى به في مدارج البناء المحكم ،

والتعبير البليغ ، والمعاني العميقة ، مع جمال في النظم ، وحسن في التأليف ، والتئام في الكلمات ، واتساق في السياق .

بسم الله الرحمن الرحيم

البسملة أول محل اختلاف القراء في الفاتحة . والبسملة مصدر بسمل يبسمل إذا قال (بسم الله) كحوقل إذا قال « لا حول ولا قوة إلا بالله » ، وحيعل إذا قال « حي على الصلاة » وهذا كله من باب النحت وهو أن يختصر من كلمتين فأكثر كلمة واحدة ، والنحت كثير في كلام العرب .

وهناك اختلاف في عد البسملة آية من الفاتحة وعدمه . فقد عدها آية منها الكوفي والمكي ، ولم يعدها البصرى ولا الشامي ولا المدني(٧) . وسورة الفاتحة سبع آيات بلا خلاف فمن عد البسملة آية منها لم يعد قوله تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم) آية ، ومن لم يعد البسملة آية عد قوله تعالى (أنعمت عليهم) آية ، وبذلك تكون سبع آيات عند علماء العد وإن اختلفوا في الآية السابعة كما تقدم(٨) .

يقول تعالى : الحمد لله رب العالمين

الحمد لله : إنه من براعة الاستهلال أن استهلت فاتحة الكتاب بقوله « الحمد لله » وهو ثناء بالجميل ، ونداء عليه باللسان ، وشكر على نعم الله التي لا تحصى . يناجى بذلك العبد ربه صباح مساء ، وفي كل صلاة من الصلوات الخمس . فإذا وقف العبد أمامه سبحانه وتعالى وقال « الحمدُ لِله » بضم الدال من « الحمد» وكسر اللام من « لله » فقد أتى بالقراءة الصحيحة التي وردت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ووجب علينا اتباعها .

وأورد ابن خالوية(٩) قراءة شاذة بنصب « الحمد »(١٠) وهى لسفيان بن عيينه(١١) ورؤبة ابن العجاج(١٢) . ورويت أيضا عن الحسن(١٣) .وهى قراءة سائغة في العربية تجرى مجرى النحو . وعنها يذكر الأخفش(١٤) أن بعض العرب تقول « الحمدَ » فينصب على المصدر ، أى يجعل لفظ الحمد مصدرا لفعل مضمر. وبذا يكون تقدير الكلام « أحمد الحمدَ لله »(١٥) . ويذكر الفراء(١٦) أن من أهل البدو من يقول « الحمدَ » أى بفتح الحمد(١٧) .

ومثال ذلك قوله تعالى : « فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ »(١٨) ومثاله قوله تعالى : « مَعَاذَ اللَّهِ أن نَّأْخُذَ إلاّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ »(١٩) ومنه قول العرب سقيا لك ورعيا لك . فيجوز فيما سبق اضربوا و « نعوذ بالله » وسقاك الله ورعاك الله .

ومثل ذلك قول الشاعر :

أُطَرَبــــاً وأَنْتَ قنســـــــــرِىّ والدَّهْـــرُ بالإنســـــانِ دَوَّارِىّ
أَفْنَـــى القُـــرُونَ وَهـــو قَعْسَرِىّ

ففي هذا الشعر جعل المصدر بدلا عن الفعل فقال : أطربا بمعنى أتطرب وأنت شيخ كبير .

وهناك قراءتان أخريان تعرفان بالقراءة بالإتباع ، الأولى عن الحسن البصري ، ورؤبة ابن العجاج ، وزيد بن على(٢٠) والحارث بن أسامة بن لؤى(٢١) . وهى « الحمدِ لِله » بكسر الدال واللام إتباعا للأول الثاني . وذكر أن بنى تميم وبعض غطفان يتبعون الأول الثاني للتجانس(٢٢) . وأورد النحاس أن العلة في ذلك أنهم كرهوا الخروج من ضم إلى كسر فأتبعوا الكسر الكسر(٢٣) . قال الفراء فثقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة ، أو كسرة بعدها ضمة . ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل إبل فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم(٢٤) .

والثانية قراءة على إتباع الثاني الأول وردت عن إبراهيم بن أبى عبلة(٢٥) بإتباع الضم الضم ، فقرأ « الحمدُ لُله » بضم الدال واللام وهذا إتباع مختلف عن سابقه يتجانس فيه اللفظان أيضا ، وطلب التجانس كثير في كلام العرب . قال الفراء « وأما الذين رفعوا اللام فإنهم أرادوا المثال الأكثر من أسماء العرب الذي يجتمع فيه الضدان مثل الحُلُم والعُقُب(٢٦) . وفي قراءة لأهل مكة « مُرُدفين » بضم الراء إتباعا للميم و « مُقُتلين » بضم القاف . وقالوا : « لإمك » بكسر الهمزة إتباعا للام . وكقول النعمان بن بشير في وصف عقاب :

وَيلِ إمِّها في هواءِ الجوِّ طالبةً ولا كهذا الَّذِي في الأرضِ مَطْلُوبُ

الأصل ويل لأمها فحذفت اللام الأولى واستثقل ضم الهمزة بعد الكسرة فنقلها للأم ثم أتبع اللام الميم(٢٧) .

وبهذا كله نجد جملة من القراءات في قوله تعالى « الحمدُ لِله » ، ومذهب الجمهور على قراءة الرفع منها ، أى بضم الدال في الحمد وكسر اللام في لله . فقوله تعالى « الحمدُ لِله » مرفوع بالابتداء وخبره الجار والمجرور (لله) متعلق بمحذوف تقديره « حق أو استقر » بمعنى أن الحمد حق أو استقر لله سبحانه وتعالى . قال ابن خالويه فإني سمعت ابن مجاهد يقول : لا يقرأ بشيء من ذلك إلا بما عليه الناس في كل مصر « الحمدُ لِله » بضم الدال وكسر اللام(٢٨) . وقال الفراء : اجتمع القراء على رفع « الحمد »(٢٩) .

ومع أن قراءة النصب سائغة في العربية وجائزة نحويا ، فهي غير مقبولة لأنها شاذة ولم تثبت بالتواتر . فالنحو العربي أخذ واستنبط من القرآن الكريم وكلام العرب شعره ونثره ، وكان الهدف

الأساسي منه خدمة القرآن الكريم . ولكن إذا ثبت في القرآن وجه دون غيره فالقرآن يقرأ كما نزل . فالقراءة التي تؤخذ تكون موثقة بالسند مؤيدة بالرواية مدعمة بالنقل . فقد ورد في الإتقان للسيوطي : وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم[٣٠] . وورد فيه أيضا أن اتباع من قبلنا في الحروف سنة متبعة ، لا يجوز مخالفة المصحف الذى هو إمام ، ولا مخالفة القراءات التي هى مشهورة ، وإن كان غير ذلك سائغا في اللغة أو أظهر منها[٣١] . وورد فيه أيضا أن الدانى وأئمة القراء قالوا : لا تعمل في شئ من حروف القرآن على الإفشاء في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل ، وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشوّ لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها[٣٢] وقال المقدسي : ومنهم من يعرب قراءته ، ويبصر المعنى ، ويعرف اللغات ولا علم له بالقراءات ، واختلاف الناس في الآثار ، فربما دعاه بصره بالإعراب إلى أن يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضين فيكون بذلك مبتدعاً[٣٣] .

ولأجل ذلك نقول إن القراءة بالرفع قراءة محكمة موثقة بالسند ، فهي قراءة متواترة تتضمن عددا من المقاصد والأغراض البلاغية واللغوية . إن جملة « الحمدُ لِله » جملة خبرية لفظا إنشائية معنى ، أى قولوا الحمد لله – وهى أيضا جملة تفيد القصر ، أى أن الحمد مقصور عليه سبحانه وتعالى ولا يتعداه إلى غيره ، فهو وحده الذي يستحق الحمد والثناء الكامل . تقول حَمِدْتُ الرجل أَحْمَدُه حَمْدا فهو حَمِيد ومَحْمُود ، والمُحَمَّد الذي كثرت خصاله المَحْمُودة . وبذلك سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

فَشَقَّ لَهُ مِن اسمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو العَرْشِ مَحْمودٌ وَهَذا مُحَمَّدُ

ويضاف إلى ذلك أن العلماء يرون أن الحمد بالرفع أقوى وأمدح ، لأن معناه حق أو استقر . وبينوا أن هذا يقتضى العموم لجميع الخلق . فالله سبحانه وتعالى خالق الخلق جميعا ومدبر أمره فاستحق أن يحمد على ما أولى من نعم جليلة . وهذا بخلاف ما لو قرئ « الحمد » بالنصب ، فيكون تقدير الكلام فيه « أحمد الحمد » وهذا مدح من المتكلم ولا يقتضى العموم . ولأجل ذلك اختير الرفع[٣٤] .

وذكر القرطبى[٣٥] أن سيبويه[٣٦] قال : إذا قال الرجل : « الحمدُ لله » بالرفع ففيه من المعنى مثل ما في قولك « حمدت الله حمدا » إلا أن الذى يرفع الحمد ، يخبر أن الحمد منه ومن جميع الخلق . والذى ينصب الحمد يخبر أن الحمد منه وحده[٣٧] . ويقول القرطبي : وفي الرفع تعظيم لله وتمجيد فهذا ثناء أثنى به الله على نفسه ، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه[٣٨] .

وأمّا قراءتا الإتباع فتعتبران من القراءات الشاذة غير المتواترة . ولا يجوز الأخذ بأى منهما . وكلاهما شاذ . يقول الفخر الرازى عن إحداهما : لو كانت من القرآن لوجب بلوغها الشهرة إلى

حد التواتر ، ولما لم يكن كذلك علمنا أنها ليست من القرآن[٣٩] .

الرَّحْمٰن الرَّحِيمِ مَالِكِ يومِ الدِّينِ

افتتحت الآية السابقة بالحمد والثناء عليه سبحانه وتعالى . وهو وحده المستحق للحمد والشكر على ما أولى من نعم . وقصر سبحانه وتعالى الحمد عليه ، ووصف نفسه بأنه رب العالمين ، أى مالكهم . وكل من ملك شيئا فهو ربه . وفي القاموس المحيط : الرب باللام لا يطلق لغير الله عز وجل ، ورب كل شئ مالكه[٤٠] .

وورد لفظ الرب في الجاهلية للملك كما قال الحارث بن حلزة :

وهو الربُّ والشهيدُ على يو م الحِيَارَيْنِ والبلاءُ بَلاءُ

والرب السيد : يقول تعالى : « اذْكُرنِى عِنْدَ رَبِّكَ » والله سبحانه وتعالى رب العالمين ، بيده تصريف الأمور ، وهو رب الأرباب يملك المالك والمملوك ، وهو الرازق ، وكل رب سواه غير خالق ولا رازق .

فبعد أن بين الله سبحانه وتعالى ذلك كله قال : الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » فأورد هذه الصفات التي تفرد بها دون غيره .

الرحيم مالك : القراءة الصحيحة التي عليها القراء العشرة باستثناء أبى عمرو ويعقوب هى الإظهار في قوله (الرحيم مالك) أى لا يدغمون الميم في الميم . أما القراءة بالإدغام ، فقد ذكر مكى بن أبى طالب أن أبا عمرو قرأ (الرحيم مالك) بالإدغام . وذكر البنا أن أبا عمر يقرأ بإدغام الميم الأولى في الثانية ، وكذا يعقوب مع مد مالك . وخص الشاطبى الإدغام بالسوسي والإظهار بالدوري[٤١] .

مالك يوم الدين هنا قراءتان صحيحتان – إحداهما مالك بإثبات الألف والأخرى « ملك » بإسقاط الألف وكسر اللام . فقرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف بإثبات الألف . وكذلك الحسن والمطوعى[٤٢] . وقرأ الباقون من القراء العشرة بغير ألف . ولم يختلفوا في كسر الكاف واللام ، وهاتان هما القراءتان الصحيحتان .

ومن القراءات الشاذة روى ابن مجاهد[٤٣] أن أبا عمرو بن العلاء قرأ « ملْك » بسكون اللام ولم يرو ذلك لغيره . تقول في اللغة مَلِك ومَلْك ومَلِيك قال عمرو بن كلثوم :

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ عَصَيْنَا المَلْكَ فِيهَا أن نَدِينَا

وقال لبيد بن ربيعة العامرى :

فَاقْنَعْ بِمَا قَسمَ المَلِيكُ فَإنمَا قَسَمَ الخلائِقَ بَيْنَهَا عَلاَّمُهَا

وأورد ابن مجاهد أيضا أن أبا عمرو قرأ « مِلْك » بميم مكسورة ولام ساكنة . وذكر أن هذا من اختلاس أبي عمرو كان يفعله كثيرا . فقد كان يختطف الحركة بحيث يبدو الحرف كأنه ساكن . وهذا كقول العرب كَبِد وكَبْد يسكنون وسط الأسم في الضم والكسر استثقالا .

وروى عن نافع إشباع الحركة في (ملك) فيقرأ ملكى على لغة من يشبع الحركات[٤٤] .

وقرأ المطوعي عن الأعمش (مالك) بإثبات الألف وفتح الكاف نصبا على أنه نعت مقطوع . فهو معمول لفعل محذوف تقديره أمدح أو نحوه ، أو على أنه منادى حذف منه حرف النداء . ويكون تمهيدا لقوله (إيّاك نَعْبُدُ) فكأنه يقول يا مالك يوم الدين إياك نعبد[٤٥] .

هذه جملة من القراءات الشاذة نوردها ليتضح الفرق بينها وبين القراءتين الصحيحتين اللتين ورد ذكرهما وهما بإثبات الألف أو إسقاطه مع كسر الكاف واللام . وهما مرويتان عن النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر[٤٦] .

ومع أن القراءتين تعتبران من القراءات المتواترة . لكن القراء اختلفوا فيهما فمنهم من يمدح القراءة بإثبات الألف ، ومن يمدح بإسقاطه ، ومن هؤلاء محمد بن جرير الطبرى[٤٧] الذي يمدح قراءة الإسقاط ، والزمخشرى[٤٨] الذي يذكر أن « ملك » بإسقاط الألف قراءة أهل الحرمين . وذكر مكى بن أبى طالب[٤٩] أن القراءتين حسنتان ، غير أنه فضل القراءة بغير ألف . وروى أيضا أن القراءتين وردتا عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال الكسائي لا أبالى كيف قرأتها « ملك » أو « مالك »[٥٠] .

ولكل حجته فى تفضيل إحدى القراءتين على الأخرى . فحجة من قرأ « مالك » بالألف ، أنه لا يكون مالكا لشيء إلا وهو يملكه .

وفي القرطبي : مالك أبلغ من ملك لأنه يكون مالكا للناس وغيرهم[٥١] . وحجتهم أيضا أن الملك ، قد يكون ملكا للشيء ولا يملكه ، كما يقال ملك العرب وملك الروم في حين أنه لا يملكهم . ويرى بعضهم أن مالكا أبلغ من ملك لأن فيه زيادة حرف فلقارئه عشر حسنات زيادة عمن قرأ مَلك[٥٢] . ولكن هؤلاء انحصرت نظرتهم في اللفظ وحده ولم ينظروا للمعنى ، وربما يكون الذي دعاهم إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى رواه الترمذى : من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول : آلمّ حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف .

ويروى أن شاعرا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو امرأته فقال :

يَا مَالِكَ المُلْكِ وَدَيَّان العَرب   إليْك أشْكُو ذِربةً مِن الذِّرب

فقال صلى الله عليه وسلم « مه ذلك الله »[٥٣] .

ويرى هؤلاء أيضا أن الوصف بالمالك أعم من الوصف بالملك ، ويعززون حجتهم بقوله تعالى : « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ »[٥٤] فقال عز وجل « مَالِكَ المُلْكِ » ولم يقل « ملك الملك » فهو مالك كل شيء . ومالك في رأيهم أمدح وأبلغ في الثناء من « ملك » لأنه يجمع الاسم والفعل . وذكر الكسائي أن قراءة « مالك يوم الدين » هي الدالة على الفضل الكثير والرحمة الواسعة[٥٥] . وهناك من يرى أن مالكا أبلغ في مدح الخالق من ملك ، وملك أبلغ في مدح المخلوقين من مالك ، والفرق بينهما أن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك ، وإذا كان الله تعالى مالكا كان ملكا[٥٦] . وذكر أبو بكر ابن العربي أنك تضيفه إلى الخاص والعام ، فتقول مالك الدار والأرض والثوب ، كما تقول مالك الملك ولا تقول ملك الملك[٥٧] .

وأما حجة من قرأ « ملك » فتستند على أن « ملك » أعم وأبلغ من مالك ، لأن « ملك يوم الدين » تعني أنه يملك ذلك اليوم بما فيه . ووصف سبحانه وتعالى نفسه بأنه مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء .

ويرى هؤلاء أن الملك أخص من المالك وأمدح ، لأن المالك قد يكون غير ملك ، ولا يكون الملك إلا مالكا ، ويعززون حجتهم بقوله تعالى « مَلِكِ النَّاسِ » وقوله تعالى « المَلِكِ القُدُّوسِ »[٥٨] . وقوله تعالى : « لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ »[٥٩] . ذكر أبو عبيدة والمبرد أن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ، ولأن أمر الملك نافذ على المالك في ملكه حتى لا يتصرف إلا عن تدبير الملك[٦٠] .

وهناك من يختار قراءة « ملك » بحجة أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله « رَبِّ العَالَمِينَ » فلا فائدة في ذكر « مالك » مرة أخرى لأنه تكرار . ودحض هذا الرأى بأن في القرآن ذكر الخاص بعد العام كقوله تعالى : « هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ »[٦١] فذكر الخالق يعم . وذكر المصور بعده لما فيه من التنبيه على الصنعة ووجوه الحكمة . وكقوله تعالى : « وبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ »[٦٢] بعد قوله « الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ » والغيب يعم الآخرة وغيرها . ولكن ورد ذكرها لعظمتها والتنبيه على وجوب اعتقادها ، والرد على الكفرة الجاحدين لها .

ومما تقدم تجد أن لكل من الفريقين حجته وأن هناك أدلة مقاربة لبعضها وأخرى مشتركة بينهم . ولكن الطريق السوى الذى يجب أن نركن إليه هو الأخذ بالقراءتين ، لأنهما صحيحتان وردتا بالتواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم . ويرى الكواشي – في معرض حديثه عن القراءات المتواترة – أن ترجيح إحدى القراءتين على الأخرى غير مرض لأن كلتيهما متواتر[٦٣] .

ونخلص من ذلك إلى أن كلا من القراءتين من الصحيح المتواتر ومن قرأ بأى منهما فهو

مصيب ، فالقراءة بلفظ « مالك » فيها دلالة على الهيمنة والقدرة ، وليس ذلك لأحد غير الله سبحانه وتعالى . فهو الملك الحق ، لا مالك ولا حاكم يملك حكما في ذلك اليوم مثلما كان يفعل في الدنيا . ثم إن قوله تعالى « مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » أعقب قوله « الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ » وفي ذلك دلالة على رأفته سبحانه وتعالى ورحمته بعباده . وما أشد احتياجهم لرحمته ورأفته في ذلك اليوم . فهو المتصرف وحده في شئون خلقه وهو مالك الأشياء كلها .

والقراءة بلفظ ملك تبين أيضا أن الملك له في ذلك اليوم دون جميع خلقه ، الذين كانوا ملوكا في الدنيا . ولا ينازعه أحد في الملك ، وكلهم خاضعون له ، كما قال عز وجل « لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ »[٦٤] . فأجاب جميع الخلق « لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ » . وكما قال سبحانه وتعالى « الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمنِ »[٦٥] . وملكه عز وجل لا يشبهه ملك سائر ملوك الدنيا . فهؤلاء ملكهم في زوال ، خزائنهم تقل وتنفد . وأما ملك الواحد الأحد فلا ينتقص ولا يزول ، ولا تقل خزائنه أو تنفد بالعطاء والإحسان . يقول تعالى : « وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ »[٦٦] . وفي ملكه العزة والكبرياء والانفراد ، وكمال الرحمة والرأفة بالعباد .

ففي القراءتين تضمن لهذه المعاني كلها ودلالة على عظمة الله وقدرته والانفراد بملك ذلك اليوم . ولعل السبب الذى أوجب الاتفاق على كتابة « مَـٰلِكِ » هكذا بغير ألف في المصحف هو أن تحتمل القراءتين .

قال ابن الجزرى « وقد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقا ويوافقه بعضها تقديرا نحو (مَـٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) فإنه كتب بغير ألف في جميع المصاحف فقراءة الحذف تحتمله تحقيقا كما كتب « مَلِكِ النَّاسِ » وقراءة الألف محتملة تقديرا كما كتب (مَـٰلِكَ الْمُلْكِ) فتكون الألف حذفت اختصارا »[٦٧] .

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

إِيَّاكَ : القراءة الصحيحة في « إِيَّاكَ » بكسر الهمزة وتشديد الياء . ذكر القرطبي أن الجمهور من القراء والعلماء على تشديد الياء في إِيَّاكَ في الموضعين[٦٨] .

وفي « إِيَّاكَ » قراءات شاذة . أورد القرطبى أن ابن فائد[٦٩] قرأ « إِيَاك » بكسر الهمزة وتخفيف الياء . وهذه قراءة مردودة . والحجة فيها أنه كره تضعيف الياء لثقلها ووجود الكسرة قبلها . وذكر القرطبي أن المعنى على هذه القراءة يصير شمسك نعبد أو ضوءك . وإياة الشمس ضوؤها . واستشهد بقول طرفة بن العبد :

سَقَتْـهُ إيـاةُ الشَّمسِ إلا لِثَاتِـه ... أُسِفّ فَلـم تَكْـدِم عليـه بإثمـد

والإياة للشمس كالهالة للقمر ، وهى الدارة حولها[٧٠] .

وفي معجم القراءات أن الفضل بن عيسى الرقاشى[٧١] قرأ « أَيَّاك » بفتح الهمزة وتشديد الياء . ومع أنها لغة مشهورة لكنها ليست بقراءة صحيحة .

وهناك من يقلب الهمزة في « إياك » هاء كأبى السوار الغنوى الذى قرأ « هياك » في الموضعين في السورة ، كما قال الشاعر[٧٢] :

فَهَيَّاكَ والأمر الَّذى إن تَراحــبتْ مَوَارِدُهُ ضَاعت عَلــيك مَصَادِرُهْ

وهى أيضا قراءة شاذة .

نعبــد : وأما قوله تعالى « نعبد » فالقراءة الصحيحة فيه بفتح النون وضم الباء . ووردت قراءة شاذة عن الحسن قرأ فيها (يُعْبَدُ) بضم الياء وفتح الباء ، أى بالبناء للمجهول على إقامة ضمير النصب مقام ضمير الرفع مع الالتفات إذ الأصل أنت تعبد[٧٣] .

نستعين : والقراءة الصحيحة في « نستعين » بفتح النون وأصل « نستعين » نستعون بسكون العين وكسر الواو ، فنقلت حركة الواو إلى العين وقلبت الواو ياء فصارت نستعين .

وقرىء في الشاذ « نستعين » بكسر النون عند يحيى بن وثاب[٧٤] والأعمش والمطوعى ، على لغة بنى أسد وربيعة وقيس وبنى تميم[٧٥] . وهذه اللغة يكسر فيها حرف المضارعة إذا كان نونا أو تاء مفتوحتين وكان مفتوح العين ، وكان ماضيه ثلاثيا مكسور العين ، أو زائدا على ثلاثة أحرف ومبدوءا بهمزة الوصل . والمعلوم أن الفعل الماضي المبدوء بهمزة الوصل لا يكون مضارعه إلا مكسور العين . وأما مضارع الثلاثي فالشرط فيه هنا أن يكون مفتوح العين[٧٦] .

هذه جملة من القراءات الصحيحة والشاذة في قوله تعالى : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » . وأحد أسرار الجمال في القراءة الصحيحة في هذه الآية أنها بدأت بأسلوب الالتفات . انتقل السياق من أسلوب الغائب إلى أسلوب الخطاب . ففي أول السورة ثناء عليه سبحانه وتعالى ، أعقبه مخاطبة العبد ربه . ومن أعمل فكره في أسلوب الخطاب يخرج بفوائد عديدة . إن العبد يقف أمام ربه ويخاطبه بالعبادة والاستعانة . والعبادة تحوى معنى الطاعة والاستعانة طلب العون والتأييد والتوفيق ، وفي ذلك كله إقرار بالربوبية وخضوع لله عز وجل ، وتحقيق للعبادة جاء على أسلوب التخصيص ، أى نخصك وحدك سبحانك بالعبادة والاستعانة . وفي هذا الأسلوب من البلاغة التي لا تتحقق إذا قلت « نعبدك ونستعينك » فأسلوب التقديم والتأخير في الآية موطن من مواطن الجمال بافادة القصر كقوله تعالى « وإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ »[٧٧] وفيه دلالة على الاهتمام والعناية بالمقدم . والعرب تقدم الأهم في

كلامها . وفيه عدم تقديم ذكر العبد والعبادة على المعبود فلا يستقيم أن يقال « نعبدك ونستعينك » أو نعبد إياك ونستعين إياك .

ولا يستقيم أيضا أن يرد التعبير بصيغة البناء للمجهول « إياك يعبد » . فكيف لا يقف العبد مع غيره مناجيا ربه عز وجل . كما لا يستقيم أن يرد التعبير بصيغة المفرد « إياك أعبد وإياك أستعين » وذلك – كما يقول الشيخ الصابونى – للاعتراف لقصور العبد عن الوقوف في باب ملك الملوك فكأنه يقول : أنا يا رب العبد الحقير الذليل ، لا يليق بي أن أقف هذا الموقف في مناجاتك بمفردى ، بل أنضم إلى سلك المؤمنين الموحدين فتقبل دعائى في زمرتهم فنحن جميعا نعبدك ونستعينك »(٧٨) .

اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِينَ

بعد تقدم الحمد والثناء ، وماورد من صفات جليلة في حق الله تعالى ، ناسب أن يعقب ذلك في فاتحة الكتاب سؤال العبد ربه ، يسأله طالبا لنفسه وللمؤمنين الهداية والإرشاد والتوفيق والثبات على المبدأ القويم . وليس هناك من يلجأ إليه غير الله عز وجل في قوله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم .. » صراط الذين أنعم سبحانه وتعالى عليهم ، واستثنى المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى .

وفي هاتين الآيتين نجد قراءات متعددة نذكر منها ما يلي :

الصراط – صراط وقبل أن نذكر القراءات نوضح أن الصراط في اللغة يعنى الطريق الواضح والمنهاج قال عامر بن الطفيل :

شَحَنّا أَرْضَهُم بالخَيلِ حتَّى ... تَركْنَاهُم أَذَلَّ مِن الصِّراطِ

وقال جرير :

أَمِيرُ المُؤمِنِينَ عَلى صِراطٍ ... إذَا اعْوَجَّ المَوَارِدُ مُسْتَقِيمِ

وأصل مستقيم مستقوم بسكون القاف وكسر الواو فنقلت حركة الواو إلى القاف وانقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها . وأهل الحجاز يؤنثون الصراط كما يؤنثون الطريق . وبنو تميم يذكرون ذلك كله(٧٩) .

والمراد بالصراط المستقيم دين الإسلام ، أعظم الأديان وأجلها وأوضحها سبيلا إلى طريق الآخرة والفوز بالجنة . واختلف القراء في قراءة « الصراط » و « صراط » فوردت قراءة بالسين ، وأخرى بالصاد وثالثة بالزاى ورابعة بالإشمام .

يروى أن ابن كثير كان يقرأ « السراط » بالسين في كل القرآن . وفي رواية أخرى أنه كان

يقرأ بالصاد في كل القرآن . وذكر ابن مجاهد أنه – أى ابن كثير – ربما قرأ بالسين وربما قرأ بالصاد[٨٠] .

وقرأ قنبل[٨١] ورويس[٨٢] « الصراط » و « صراط » بالسين حيث وقعا في القرآن[٨٣] . وأورد ابن مجاهد أن أبا عمرو كان يقرأ بالسين أيضا[٨٤] .

وحجة هؤلاء أن قراءة السين جاءت على الأصل . ذكر قنبل ورويس أن السراط مشتق من الاستراط بمعنى الابتلاع وسمى الطريق به كأنه يبلع من يسلكه . وحجة ابن كثير أن السين الأصل ولا ينتقل من الأصل إلى ما ليس بأصل[٨٥] .

أما قراءة الزاى فقد روى ابن مجاهد عن الأصمعي أن أبا عمرو كان يقرأ « الزراط » بالزاى خالصة . وروى أيضا أنه كان يقرأ بين الصاد والزاى مثل حمزة[٨٦] .

ولم يقبل أبو على الفارسى ما قاله الأصمعى ، ويرى أن الأصمعي لم يحسن ضبط هذه اللغة فيقول : « وأما الزاى فأحسب الأصمعي لم يضبط عن أبى عمرو لأن الأصمعي كان غير نحوى . ولست أحب أن تحمل القراءة على هذه اللغة ، وأحسب أنه سمع أبا عمرو يقرأ بالمضارعة للزاى فتوهمها زايا[٨٧] .

وذكر الفراء أن حمزة يقرأ بالزاى خالصة في الصاد الساكنة فقط . فإذا تحركت لم يقلبها زايا . فكان يقرأ « صراط الذين » بالصاد .

وقال الفراء « الزراط » باخلاص الزاى لغة لعذرة وكلب وبنى القين . وهم يقولون في أصدق : أزدق ، وفي الأسد : الأزد[٨٨] .

والغرض من إمالة الصاد إلى الزاى ، لأن الصاد وإن كانت من حروف الإطباق فهي مهموسة ، والطاء مجهورة . فقلبت الصاد إلى حرف مجهور مثلها مؤاخ للصاد بالصفير ليكون مجهورا كالطاء .

ولم يقبل أبو على الفارسى ذلك أيضا وانتقده بقوله : فأما القراءة بالزاى فليس بالوجه . وذلك أنه من قال في أصدرت ، أزدرت وفي القصد ، القزد فأبدل من الصاد الزاى ، فإنه إذا تحركت الصاد في نحو صدرت ، وصدقت لم يبدل . فإذا لم يبدلوا الصاد زايا إذا تحركت مع الدال ، وكانت الطاء في الصراط ، مثل الدال في القصد في حكم الجهر ، فكذلك ينبغي ألا تبدل من السين الزاى في سراط من أجل الطاء لأنها قد تحركت كما تحركت في صدقت مع أن بينهما في سراط حاجزين[٨٩] .

وقرأ بالصاد الصريح نافع وأبوعمرو وعاصم والكسائى والبزى[٩٠] ، وبالإشمام قرأ خلف

بالصاد المشمة صوت الزاى في كل القرآن . وقرأ خلاد[٩١] بالإشمام في الصراط المستقيم وحده ، وفيما عداه بالصاد الصريح . قال الشاطبي[٩٢] :

.... وعِنْــدَ سِرَاطٍ والسِّرَاط لِقُنْبُـــلاَ
بِحَيْثُ أَتَى والصَّاد زَايًــا أَشِمَّهَــا لَدَى خَلَفٍ واشْمِمْ لِخَـلاَّدِ الأَوَّلاَ

وحجة من قرأ بالصاد فلما بين الصاد والطاء من المؤاخاة بالاستعلاء[٩٣] والإطباق[٩٤] ، فيتقاربان ويحسنان في السمع . والسين حرف مهموس[٩٥] فهو أبعد من الطاء واختاروا الصاد بسبب خفته ، ولأنه كتب في جميع المصاحف . ومن رويت عنه القراءة بالسين رويت عنه بالصاد . ويرون أنها كتبت في المصحف بالصاد ، وإنما كتبت بالصاد ليقربوها من الطاء ، لأن الطاء لها تصعد في الحنك ، وهى مطبقة ، والسين مهموسة ، وهى من حروف الصفير[٩٦] . فثقل عليهم أن يعمل اللسان منخفضا ومستعليا في كلمة واحدة ، فقلبوا السين إلى الصاد ، لأنها مؤاخية للطاء في الإطباق ومناسبة للسين في الصفير ، ليعمل اللسان فيها متصعدا في الحنك عملا واحدا[٩٧] .

وأما الإشمام فلغة قيس ، من أشممته الطيب إذا أوصلت إليه شيئا يسيرا مما يتعلق به وهو الرائحة . وإشمام الصاد الزاى للمبالغة في طلب التجانس لزيادة الزاى على الصاد بالجهر . وكيفية الإشمام هنا أن تخلط صوت الصاد بصوت الزاى ، فيمتزجان بحيث يتولد منهما حرف ليس بصاد ولا زاى . والغرض من إشمام الزاى أنها تؤاخى السين في الصفير وتؤاخي الصاد في الجهر .

عليهــم اختلف القراء في قراءة « عليهم » فقرئت بضم الهاء وإسكان الميم ، وبضمها وبكسرها . وقرئ في الشواذ عليهمو وعليهمى وعليهم مكسورة الهاء مضمومة الميم بغير واو ، وعليهم مضمومة الهاء والميم من غير بلوغ واو[٩٨] .

فقرأ عاصم والكسائى وأبو عمرو وابن عامر بكسر الهاء وإسكان الميم . وروى ابن مجاهد أن نافعا كان لا يعيب رفع الميم فهذا يدل على أن قراءته الإسكان[٩٩] .

وقرأ حمزة عليهم وإليهم ولديهم بضم الهاء[١٠٠] وسكون الميم . قال الشاطبي :

عَلَيْهِــمْ إِلَيْهِــمْ حَمْــزَةٌ ولَدَيْهِــمُ جَمِيعاً بِضَمِّ الهاءِ وقْفاً ومَــوْصُولاَ

والذين قرأوا بكسر الهاء يريدون مجانسة الكسر للفظ الياء أو الكسر على لغة قيس وتميم وبنى سعد[١٠١] . قال الفراء وأما من قال عليهم فقد استثقل الضمة في الهاء وقبلها ياء ساكنة[١٠٢] .

وحجة من قرأ بضم الهاء وسكون الميم أن ضم الهاء هو الأصل ، لأنك إذا بدأت كلامك بها تكون مضمومة مثل قولك « هُمْ » فأجرى على أصل حركتها ، فأتى بأصل ، هو ضم الهاء وترك

أصلا ، هو إثبات الواو وضم الميم .

وإذا وقع بعد الهاء والميم ساكن ضمهما حمزة مثل قوله تعالى « عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا »(١٠٣) . وإذا لم يل الميم ساكن كسر الهاء كقوله تعالى « وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ »(١٠٤) ، وقوله « بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ »(١٠٥) وخص حمزة هذه الكلمات الثلاث (على وإلى ولدى) لأن هذه الياءات بدل عن ألفات .

وقرأ ابن كثير ونافع « عليهمو وإليهمو » بكسر الهاء وضم الميم ووصلها بواو في اللفظ . وذكر ابن مجاهد أن ابن كثير كان يصل الميم بواو وانضمت الهاء قبلها أو انكسرت(١٠٦) .

والحجة في ذلك استثقال ضمة الهاء بعد الياء ، وأما الكسرة فمن جنس الياء . ومن أجل المؤاخاة بين الهاء والياء اتبعوا الياء الكسرة في الهاء وأتوا بالميم موصولة بالواو لأنها – أى الواو – الأصل . لأنك تقول في التثنية عليهما وإذا جمعت قلت عليهمو فأتيت بألف في التثنية وبواو في الجمع .

ومن القراء من يصل الميم بواو إذا أتت بعدها ألف أصلية نحو قوله تعالى (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)(١٠٧) . وإذا أتى بعد الميم حرف ساكن اختلفوا في ذلك ، فكان عاصم ونافع وابن كثير وابن عامر يحافظون على كسر الهاء وضم الميم مثل (عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ)(١٠٨) و (مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ)(١٠٩) و (بِهِمُ الأَسْبَابُ)(١١٠) وأبو عمرو يكسر الهاء والميم نحو (عليهِمِ الذلة) « اليهم ... » وحمزة والكسائى يضمان الميم والهاء معا فيقولان (عليهُمُ الذلة) و (ومن دونهُمُ امرأتين) .

والذين ضموا الميم بسبب أنهم لما احتاجوا الى تحريكها من أجل الساكن بعدها ردوا لها الحركة التى كانت لها أصلا وهى الضم لأن أصل الميم الضم .

وأما الذين تركوا الهاء مكسورة وضموا الميم عندما وليها ساكن ، كان لابد من حركتها للساكن ، فردت إلى أصلها الذى كانت عليه أيضا ، وهو الضم ، بينما تركوا الهاء على كسرتها ، لأنهم لم تدعهم ضرورة للعدول عن ذلك .

والذين كسروا حجتهم في ذلك أن الميم لقيها ساكن والهاء مكسورة فاتبعوا الكسر الكسر لثقل الضم بعد الكسر . فإنهم لما استثقلوا ضمة الهاء بعد الكسر استثقلوا أيضا ضمة الميم بعد كسر الهاء .

الضَّآلين

الضلال في كلام العرب يعنى الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق . وهو ضد الهدى .

تقول ضل يضل ضلالا ، أى ضاع وخفى وغاب ومات ، وصار ترابا كقوله تعالى :
« وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ »(١١١) .
المراد إذا غبنا وصرنا ترابا .
قال الشاعر :

أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرك الدِّيَارُ عَنِ الحَيِّ المُضَلَّلِ أينَ سَارُوا

أما القراءة الصحيحة في قوله « الضالين » فبلام مشددة مع مد الألف لالتقاء الساكنين .

وقرئ في الشواذ لأبي يعقوب السختياني(١١٢) « ولا الضألين » بالهمز . قيل كأنه فر من التقاء الساكنين بحجة أن المدة التي مدت لتحجز بين الساكنين ، هى هذه الهمزة التى همزت . وأورد ابن مجاهد شاهدا لهذه القراءة .

لَقَدْ رَأَيْتُ يَالقومي عَجَبا حِمارُ قبّان يَسُوق أَرْنَبا
خطامها زَأمها أن تَذْهبا

فأراد زامها فهمز .

خاتمة

ذكرنا فيما سبق بعض القراءات التي وردت في سورة الفاتحة ، وكان الهدف من ذلك بيان القراءة الصحيحة ومعرفة الحجة في اتخاذ قراءة دون أخرى مع تناول بعض السمات اللغوية والبلاغية . فالقرآن الكريم يتميز بقوة بيانه وروعة تعبيره ودلالة معانيه . فهو المعجز الذى أعجز البشر قاطبة وإعجازه باق على الزمن . ولأجل ذلك يجب المحافظة على القراءة الصحيحة لأنها متواترة عن النبى صلى الله عليه وسلم فمن أخذ بها أثابه الله إن شاء الله . كما يجب التدبر والتمعن في آيات القرآن الكريم للكشف عن مواطن الإعجاز فيه . فما من لفظة إلا واستقرت في موضعها وما من تعبير إلا وكان في قمة البلاغة التي لا تدانيها بلاغة .

والله الموفق ...

التعليقات

(١) إتحاف فضلاء البشر : ٣٥٧/١ .
(٢) انظر النشر في القراءات العشر ، ط . دار الفكر : ٩/١ ، وانظر لطائف الإشارات لفنون القراءات : ٦٧/١ .
(٣) إتحاف فضلاء البشر : ٧٠/١ ، انظر لطائف الإشارات لفنون القراءات : ٦٧/١ .

(٤) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغنى الملقب بشهاب الدين المشهور بالبنا الشافعي المذهب ، ولد بدمياط ونشأ بها وحفظ القرآن وجوده وبرع في علم القراءات . تلقى العلم على كثير من علماء عصره ، وله مؤلفات منها اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر توفى سنة ١١١٧هـ/١٧٠٥م .

(٥) إتحاف فضلاء البشر : ٧١/١ .

(٦) انظر ترجمتهم في إتحاف فضلاء البشر ٢٦/١ وما بعدها – قراءات القراء المعروفين – كتاب السبعة **لابن مجاهد** – التيسير في القراءات السبع من ١٨ – ٢٠ – حجة القراءات **لأبى زرعة** ص ٤٥ و ٥١ و ٦١ و ٧٠ و ٧٥ . نزهة الألباء ٦٧ – ٧٥ . معرفة القراء الكبار ١٠٣/١ – ولطائف الإشارات لفنون القراءات ٩٣/١ وما بعدها

(٧) راجع الكشف عن وجوه القراءات السبع ص ٢٣ – إتحاف فضلاء البشر ٣٥٧/١ .

(٨) راجع حاشية إتحاف فضلاء البشر ٣٥٧/١

(٩) ابن خالويه من كبار أهل اللغة نشأ في همذان ، ووفد إلى بغداد لتلقى العلم أخذ القراءة عن عدد من العلماء المرموقين كأبى بكر بن دريد . وله كتب كثيرة في اللغة وغيرها . ومن أشهر كتبه كتاب « إعراب ثلاثين سورة من القرآن » توفى بحلب سنة سبعين وثلاثمائة – راجع الحجة في القراءات ص ٥ ومابعدها .

(١٠) انظر إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص ١٩ وتفسير ابن كثير : ٢٣/١

(١١) أحمد أئمة الإسلام . روى عن عمرو بن دينار ، والزهرى ، وزيد بن أسلم وآخرين . وعنه الشافعي وآخرون . توفي بمكة سنة ثمان وتسعين ومائة . راجع طبقات الحفاظ ص ١١٩ .

(١٢) يكنى أبا الجحاف وأبا العجاج وهو من رجاز الإسلام وفصحائهم المقدمين ومن مخضرمي الدولتين . مدح بنى أمية وبنى العباس . أخذ عنه وجوه أهل اللغة وكانوا يحتجون بشعره . راجع شخصيات كتاب الأغاني ص ٢٣٣ و ٢٣٤ وشذرات الذهب ص ٢٢٣ .

(١٣) إمام زمانه علما وعملا قرأ على حطان الرقاشي وعلى أبى العالية . وقرأ عنه أبو عمرو بن العلاء ويونس ابن عبيد وغيرهما . توفى فى رجب سنة عشر ومائة راجع طبقات الحفاظ **للسيوطى** ص ٣٥ وحجة القراءات **لأبى زرعة** س ٧٠ وإعراب ثلاثين سورة ص ١٩

(١٤) هو سعيد بن مسعدة ، يعرف بالأخفش الأوسط . وهو من أكابر أئمة النحويين البصريين . وكان عالما صادقا ثقة أخذ عن سيبويه وصنف كتبا كثيرة في النحو والعروض والقوافي اختلف في سنة وفاته . وقيل سنة ٢١٥هـ راجع نزهة الألباء ص ١٣٣ – ١٣٥ ومعانى القرآن للأخفش ص ١٣ وما بعدها .

(١٥) معاني القرآن **للأخفش** : ٩/١ .

(١٦) هو أبو زكريا يحى بن زياد الفراء ولد بالكوفة سنة ١٤٤هـ في عهد أبى جعفر المنصور ، كان زعيم الكوفيين بعد الكسائى بلغ في العلم المكانة السامية كان قوى الحفظ أخذ عن يونس بن حبيب وكان يلازم سيبويه توفى سنة ٢٠٧هـ

(١٧) معانى القرآن **للفراء** : ٣/٢

(١٨) سورة محمد : من الآية ٤ .

(١٩) سورة يوسف : من الآية ٧٩ .

(٢٠) زيد بن على بن أبى طالب الهاشمى روى عن أبيه وأخيه محمد وأبان بن عثمان وروى عنه جعفر الصادق والزهرى وغيرهما . عده ابن سعد في الطبقة الثالثة – انظر فوات الوفيات : ٣٣٣/١ وطبقات الحفاظ ص ٣٧ .

(٢١) الحارث بن أسامة بن لؤى ينتهى نسبه إلى نزار بن معد بن عدنان . انظر جمهرة الأنساب **لابن حزم** ص ١٧٣ وإعراب القرآن **للنحاس** ١٦٩/١ .

(٢٢) إتحاف فضلاء البشر : ٣٦٣/١ .

(٢٣) إعراب ثلاثين سورة : ص ١٨ .

(٢٤) معاني القرآن **للفراء** : ٣/١ .

(٢٥) تابعى أخذ القراءة عن أم الدرداء الصغرى ، هجينة بنت يحى الأوصابية . كما قرأ على الزهرى وروى عنه ، وعن أبى أمامة وأنس . اختلف في سنة وفاته ، وقيل سنة ثلاث وخمسين ومائة . راجع معجم القراءات القرآنية : ٥/١ وتفسير ابن كثير ٢٣/١ وإعراب ثلاثين سورة ص ١٨ والكشاف ٥١/١ وحاشية المحتسب ٣٧/١ .

(٢٦) معانى القرآن **للفراء** : ٤/١ .

(٢٧) تفسير القرطبى : ١٣٦/١ .

(٢٨) انظر إعراب ثلاثين سورة : ص ١٩ .

(٢٩) معانى القرآن **للفراء** : ٣/١ .

(٣٠) الإتقان في علوم القرآن : ص ١٠٠ .

(٣١) المصدر السابق : ص ١٠٠ .

(٣٢) الإتقان في علوم القرآن : ص ١٠٠ وأبوعمرو الدانى هو عثمان بن سعيد بن عثمان الأموى بالولاء ، أبو عمرو القرطبى ، أحد الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه ، وألف في ذلك ، توفى سنة ٤٤٤هـ (من حاشية كتاب المرشد الوجيز ، ص ٤٧) .

(٣٣) كتاب المرشد الوجيز ، ص ١٦٩ .

(٣٤) مجمع البيان في تفسير القرآن : ٤٦/١

(٣٥) هو أبو عبد الله الأنصارى القرطبى المالكى ، إمام ، عالم ، فقيه مفسر ، نحوى . قرأ القراءات على أبى القاسم الشاطبى توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين وستمائه راجع طبقات ابن الجزرى ١٠٧/٢ – ١٠٨ ، وتفسير القرطبى : ٣٥/١

(٣٦) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، من أهل فارس ، نشأ بالبصرة ، عالم بارع في النحو ، أخذ عن الخليل ويونس بن حبيب وغيرهما . وصنف كتابه المعروف باسم « الكتاب » مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ، راجع – نزهة الألباء ، ص ص ٦٠ – ٦١ .

(٣٧) تفسير القرطبى : ١٣٥/١ .

(٣٨) نفسه : ١٣٥/١ .

(٣٩) التفسير الكبير : ١٦٣/١ .

(٤٠) القاموس المحيط مادة الرب .

(٤١) الإبانة عن معانى القراءات : ص ٨٩ ، إتحاف فضلاء البشر : ٣٦٣/١ .

(٤٢) الحسن بن سعيد المطوعى إمام عارف في القراءة ، رحل إلى الأقطار وقرأ على كثير منهم ابن مجاهد وابن شنبوذ وقرأ عليه جماعة كثيرون . عمر طويلا حتى جاوز المائة . راجع حجة القراءات **لأبى زرعة** ص ٧١ .

(٤٣) هو أحمد بن موسى العباس بن مجاهد التميمى . أول من سبع السبعة . ولد ببغداد سنة خمس وأربعين ومائتين . قرأ على عبد الرحمن بن عبدول وقنبل المكى وعبد الله بن كثير ، بعد صيته وكثر تلاميذه توفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة – انظر طبقات ابن الجزرى ، ص ص ١٣٩ – ١٤٢ .

(٤٤) تفسير ابن كثير : ٢٦/١ ، تفسير القرطبي : ١٣٩/١

(٤٥) إتحاف فضلاء البشر : ٣٦٤/١ ، القراءات الشاذة ص ٢١

(٤٦) تفسير القرطبي : ١٤٠/١

(٤٧) هو محمد بن جرير أبو جعفر الطبرى البغدادى أحد الأعلام وصاحب التفسير المعروف . ولد بطبرستان سنة أربع وعشرين ومائتين . أخذ القراءة عن علماء كثيرين وتفقه عليه خلق كثير وكان حافظا لكتاب الله ، عالما بالقراءات بصيرا بالمعانى واسع المعرفة والاطلاع توفى سنة عشر وثلاثمائة . انظر طبقات ابن الجزرى ، ص ١٠٧ و ١٠٨

(٤٨) هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى . كان نحويا صنف كتبا منها الكشاف وكتاب المفصل في النحو والفائق في غريب الحديث وغيرها . ولد بزمخشر سنة سبع وستين وأربعمائة وتوفى بقصبة خوارزم سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة – انظر نزهة الألباء ص ٣٩١ – ٣٩٣ .

(٤٩) هو أبو محمد مكى بن أبى طالب القيسي . ولد بالقيروان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، ورحل في طلب العلم . وكان مهتما بعلوم القرآن والحديث والرواية . وله مؤلفات كثيرة ، توفى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، راجع الكشف عن وجوه القراءات : ٢٩/١ .

(٥٠) المبسوط في القراءات العشر : ص ٨٣ .

(٥١) تفسير القرطبى : ١٤٠/١ .

(٥٢) المصدر السابق : ١٤١/١ .

(٥٣) إتحاف فضلاء البشر : ٣٦٤/١ .

(٥٤) آل عمران : من الآية ٢٦ .

(٥٥) التفسير الكبير : ٢٤١/١ .

(٥٦) تفسير القرطبي : ١٤٠/١ .

(٥٧) المصدر السابق : ١٤١/١

(٥٨) سورة الجمعة : من الآية الأولى .

(٥٩) سورة غافر : من الآية ١٦

(٦٠) تفسير القرطبي : ١٤٠/١

(٦١) سورة الحشر : من الآية ٢٤ .

(٦٢) سورة البقرة : من الآية الرابعة .

(٦٣) البرهان **للزركشى** : ٣٣٩/١ .

(٦٤) سورة غافر : من الآية ١٦ .

(٦٥) الفرقان : من الآية ٢٦ .

(٦٦) المنافقون : من الآية ٧

(٦٧) النشر في القراءات العشر ، ط . دار الفكر ١١/١ .

(٦٨) تفسير القرطبى : ١٤٦/١ .

(٦٩) هو أبو على الأسوارى البصرى . روى عنه الحروف حسان بن محمد الضرير وبكر بن نصار العطار . انظر تفسير ابن كثير : ٢٧/١ ، وحاشية كتاب المحتسب : ٤٠/١ . راجع القراءة في معجم القراءات .

(٧٠) تفسير القرطبى : ١٤٦/١ .

(٧١) الفضل بن عيسى الرقاشى بصرى . وهو معتزلى . راجع كتاب المعرفة والتاريخ : ١٣٩/٣

(٧٢) نسب البيت في الكشاف : ٦٢/١ لطفيل الغنوى . وفي المحتسب ذكر أنه لمضر بن ربعى أو طفيل الغنوى : ٤٠/١

(٧٣) إتحاف فضلاء البشر : ٣٦٤/١ .

(٧٤) هو يحي بن وثاب الأسدى الكوفي . تابعى ثقة . كان مقرئ الكوفة روى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما . توفى سنة ثلاث ومائة . راجع معرفة القراء الكبار : ٦٢/١ وحاشية السبعة في القراءات ص ٧٣ .

(٧٥) تفسير ابن كثير : ٢٧/١ ، وتفسير القرطبي : ١٤٦/١ .

(٧٦) انظر حاشية إتحاف فضلاء البشر : ٣٦٤/١ ، راجع القراءات الشاذة ص ٢٢ .

(٧٧) سورة البقرة : من الآية ٤٠ .

(٧٨) صفوة التفاسير : ٢٧/١ .

(٧٩) معانى القرآن **للأخفش** : ١٧/١ .

(٨٠) كتاب السبعة **لابن مجاهد** : ص ١٠٥ – الحجة في علل القرآن : ص ٣٦ ، الإبانة عن معانى القراءات : ص ٨٨ .

(٨١) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد المخزومى بالولاء ولد سنة خمس وتسعين لقب بقنبل لأنه كان من قوم يقال لهم القنابلة ، كان إماما في القراءة ، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز ، توفى سنة إحدى وتسعين ومائتين – انظر حجة القراءات : ص ٥٣ و ٥٤ وطبقات القراء : ١٦٥/٢ وإتحاف فضلاء البشر : ٢١/١ و ٢٢ .

(٨٢) هو محمد بن المتوكل اللؤلؤى البصرى . كنيته أبو عبدالله . وهو مقرئ حاذق ومشهور بالضبط والإتقان أخذ القراءة عرضا عن يعقوب الحضرمى توفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، راجع حجة القراءات : ص ٦٤ و ٦٥ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٣١/١ .

(٨٣) كنز المعانى (شرح الشعلة) : ص ٧٠ .

(٨٤) السبعة في القراءات : ص ١٠٥ .

(٨٥) حجة القراءات : ص ٨٠ .

(٨٦) السبعة في القراءات : ص ١٠٥ و ١٠٦ .

(٨٧) الحجة في علل القراءات : ٣٧/١ .

(٨٨) تفسير القرطبي ص ١٤٨ .

(٨٩) الحجة في علل القراءات ص ٣٩ و ٤٠ .

(٩٠) هو أحمد بن محمد بن عبد الله أحد راويي ابن كثير المكى . وهو مقرئ مكة ومؤذن المسجد الحرام . أستاذ محقق ضابط . قرأ على أبيه وعلى عبد الله بن زياد وعكرمة بن سليمان وغيرهم . وقرأ عليه جماعة وروى عنه

القراءة قنبل – راجع المبسوط في القراءات ص ٣١ و ٣٢ وحجة القراءات **لأبي زرعة** ، س ٥٣ .

(٩١) هو أبو عيسى خلاد بن خالد الشيباني الكوفي – أخذ القراءة عن سليم بن عيسى عن حمزة وكان ثقة عارفا محققا مجودا أخذ القراءة عنه كثيرون توفى سنة عشرين ومائتين – راجع حجة القراءات **لأبي زرعة** ص ٦٠

(٩٢) هو القاسم بن فيرة ، أبو محمد الشاطبي الرعيني الضرير أحد الأعلام الكبار . ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بشاطبة من الأندلس وكان إماما في القراءات ، حافظا للحديث بصيرا بالعربية والأدب . وهو شافعي المذهب ولد أعمى ألف الشاطبية توفى سنة تسعين وخمسمائة بالقاهرة راجع طبقات ابن الجزرى : ٢٠/٢ وما بعدها ، والوافي في شرح الشاطبية : ص ٥٠

(٩٣) الاستعلاء صفة من صفات القوة في الحروف ، راجع النشر ، مطبعة مصطفى ٣٠٢/١

(٩٤) الإطباق من صفات القوة وهو في اللغة بمعنى الإلصاق وفي الاصطلاح تلاق طابقتى اللسان والحنك الأعلى عند النطق بالحرف ، وحروفه أربعة وهى الصاد والضاد والطاء والظاء – راجع النشر ، مطبعة مصطفى : ٢٠٣/١ والحجة **لابن خالويه** ، ص ٦٢

(٩٥) الهمس صفة من صفات الضعف وهو صوت خفى يجرى فيه النفس مع الحرف لضعف الاعتماد عليه وحروفه عشرة يجمعها قوله : « فحثه شخص سكت » راجع النشر : ٢٠٣/١ ، والحجة ، **لابن خالويه** ص ٦٢

(٩٦) الصفير صوت يخرج بقوة من بين طرفي اللسان والثنايا وحروفه ثلاثة وهى الصاد والسين والزاى وهى الحروف الأسلية المتقدمة – راجع النشر ، مطبعة مصطفى : ٢٠٣/١ ، والحجة **لابن خالويه** ، ص ٦٢

(٩٧) راجع كتاب السبعة لابن مجاهد ص ١٠٧ ، وحجة القراءات **لأبي زرعة** ص ٨٠ ، والحجة في القراءات السبعة **لابن خالويه** ص ٦٢ ، ومجمع البيان في تفسير القرآن ، ط . دار إحياء التراث العربي : ٢٧/١

(٩٨) مجمع البيان في تفسير القرآن ط . دار إحياء التراث العربي ٢٧/١ .

(٩٩) كتاب السبعة **لابن مجاهد** : ص ص ١٠٨ – ١٠٩ .

(١٠٠) قوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ الْمَلَآئِكَةَ .. الآية) :– الأنعام ١١١ وقوله تعالى : « .... وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ » : الزخرف ٨٠

(١٠١) انظر إتحاف فضلاء البشر : ٣٦٦/١ .

(١٠٢) انظر معاني القرآن **للفراء** : ٥/١

(١٠٣) البقرة : من الآية ١٤٢ .

(١٠٤) الأنفال : من الآية ١٦

(١٠٥) الأنعام ، من الآية الأولى .

(١٠٦) كتاب السبعة : ص ١٠٨ .

(١٠٧) البقرة : من الآية ٦

(١٠٨) البقرة : من الآية ٦١ .

(١٠٩) القصص : من الآية ٢٣ .

(١١٠) البقرة : من الآية ١٦٦ .

(١١١) السجدة : ١٠ .

(١١٢) أبو أيوب السختياني فقيه أهل البصرة ، كان ثقة ثبتا . روى عن سعيد بن جبير والأعرج وغيرهما ، ولد سنة ثمان وستين ومات سنة إحدى وثلاثين ومائة . راجع طبقات الحفاظ ص ٥٩ و ٦٠ وحاشية المحتسب ٤٦/١ .

المراجع

ابن أبي شامة المقدسي ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

ابن أبي طالب ، أبو محمد مكي ، الكشف عن وجوه القراءات السبع ، ط ٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م

ابن أبي طالب ، أبو محمد مكي ، الإبانة عن معاني القراءات ، ط ١ ، دمشق ، دار المأمون للتراث ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

ابن الجزري ، شمس الدين أبو الخير محمد ، غاية النهاية في طبقات القراء ، مكتبة الخانجي بمصر ، د ت

ابن الجزري ، شمس الدين أبو الخير محمد ، النشر في القراءات العشر ، مطبعة مصطفى محمد بمصر و دار الفكر للطباعة والنشر ، د ت

ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، المحتسب ، ج ١ ، القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٣٨٩هـ /١٩٦٩م .

ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ، جمهرة أنساب العرب ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢م

ابن خالويه ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد ، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٦٠هـ .

ابن خالويه ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد ، الحجة في القراءات السبع ، دار الشروق ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، طبعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م

ابن زنجلة ، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد ، حجة القراءات ، ط ١ ، بنغازي ، منشورات جامعة بنغازي ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م

ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، د ت

ابن كثير ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم ، ط ٢ ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

ابن مجاهد ، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس ، كتاب السبعة في القراءات ، ط ٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، د ت

الأخفش ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، معاني القرآن ، تحقيق الدكتور فائز فارس ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م

الاصبهاني ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران ، المبسوط في القراءات العشر ، ط ٢ ، بيروت ، مؤسسة علوم القرآن ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

الأنباري ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٦٧م

الأندرابي ، **أحمد بن أبي عمر** ، قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين ، ط ٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

البسوى ، **أبو يوسف يعقوب بن سفيان** ، كتاب المعرفة والتاريخ ، ط ٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

البنا ، **الشيخ أحمد بن محمد** ، اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، ط ١ ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

الحسين ، **أبو عبد الله محمد بن أحمد** ، شرح شعلة على الشاطبية المسمى (كنز المعاني) ، القاهرة ، طبعة الاتحاد العام لجماعة القراء ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م

الداني ، **أبو عمرو عثمان بن سعيد** ، التيسير في القراءات السبع ، إستانبول ، مطبعة الدولة ، ١٩٣٠

الداودي ، **الحافظ شمس الدين محمد بن علي** ، طبقات المفسرين ، ط ١ ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٣٩٢هـ/١٩٨٢

الرازي ، **أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي** ، التفسير الكبير ، ط ١ ، القاهرة ، المطبعة البهية المصرية ، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م

الزرقاني ، **الشيخ محمد عبد العظيم** ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ط ٢ ، القاهرة ، عيسى البابي الحلبي ، ١٣٦١هـ .

الزركشي ، **بدر الدين محمد بن عبد الله** ، البرهان في علوم القرآن ، ط ٣ ، بيروت ، دار المعرفة تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

الزمخشري ، **أبو القاسم جار الله محمود بن عمر** ، الكشاف ، بيروت ، دار المعرفة ، د ت

السيوطي ، **جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر** ، طبقات الحفاظ ، ط ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

السيوطي ، **جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر** ، الإتقان في علوم القرآن ، بيروت ، دار المعرفة ، د ت

الصابوني ، **الشيخ محمد علي** ، صفوة التفاسير ، ط ٦ ، بيروت ، دار القرآن الكريم ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

الطبرسي ، **أبو الفضل بن الحسن** ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦١م

الفارسي ، **أبو علي الحسن بن أحمد** ، الحجة في علل القراءات ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٣/١٩٨٣م

الفراء ، **أبو زكريا يحي بن زياد** ، معاني القرآن ، ط ٣ ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

القاضي ، **عبد الفتاح عبد الغني** ، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ، ط ٣ ، المدينة المنورة ، مكتبة الدار ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م

القاضي ، **عبد الفتاح عبد الغني** ، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ، دار إحياء الكتب ، عيسى البابي الحلبي ، د ت

القرطبي ، **أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري** ، الجامع لأحكام القرآن ، ط ٣ ، القاهرة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٣٨٧/١٩٦٧م

القسطلاني ، **شهاب الدين** ، لطائف الإشارات لفنون القراءات ، القاهرة ، إحياء التراث الاسلامي ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م

الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد ، فوات الوفيات ، مصر ، مطبعة السعادة ، أغسطس ١٩٥١م

محيسن ، محمد سالم ، التذكرة في القراءات الثلاث المتواترة وتوجيهها من طريق الدرة ، مكتبة القاهرة ، د ت

محيسن ، محمد سالم ، الإشارات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية ، مكتبة الكلية الأزهرية ، ١٣٨٩/١٩٦٩م .

مكرم ، عبد العال سالم و أحمد مختار محمد ، معجم القراءات القرآنية ، ج ١ ، الطبعة الأولى ، الكويت ، مطبوعات جامعة الكويت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ، إعراب القرآن ، بغداد ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، د ت

Shedding Light on some Ways of Reciting Al-Fatiha

MAHGOUB EL-HASSAN MOHAMED
Assistant Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

ABSTRACT. Al-Fatiha is a Qurānic verse which Muslims recite in their daily prayers. Specialists in the science of vocalization of Qurānic texts maintain that there are different ways of reading the same Qurānic verse. Some of these styles of recitation are more accurate and consequently more acceptable than others. This paper synthesizes what specialists have said about the various styles of reading al-Fatiha. The objective is to come up with a description of the main features of the acceptable styles of reading al-Fatiha.

General

• A periodical issued by KAU in the fields of Arts and Humanities and annually published by the KAU Scientific Publishing Centre. Original works are published in this periodical, review articles, letters to editor and book reviews. Materials to be sent to:

Editor-in-chief, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University,
P.O. Box 9032, Jeddah 21413, Saudi Arabia.

• All materials are submitted to referees.

• Materials submitted should represent original works not previously published, not being considered for publication elsewhere, and if accepted not to be published in the same form in any language without written consent of the editor-in- chief.

Typescript

• TS should be submitted in triplicate, double spaced, on only one side of A4 size paper.

• Leave one inch margins on all sides.

• Consecutively number TS including tables and figures.

• Abstracts, footnotes, tables, captions and references should be submitted in separate sheets.

Writing

• Paper should include:

1) Title: Concise and expressive.

2) Authors(s) name(s).

3) Affiliation of author(s) as a mailing address.

4) Abstract.

5) Text: to be divided to main sections each with its own heading, according to the method used (*e.g.*, Introduction, Results, Discussion, Conclusion, References), taking into consideration the levels of sub- and sub-sub-headings.

• Two Abstracts, one in English, the other in Arabic, each not exceeding 200 words should be submitted. An Abstract should summarize the main facts and conclusions of the work. International rules for Abstract writing should be followed. Abstract should be self-contained and understandable in isolation.

• The metric system and standard abbreviations following (SI), avoiding full stops after abbreviations, should be used.

• Footnotes: These should be consecutively numbered through the text. Any source cited for the first time should be given a full reference. When cited later, use the proper cross-reference terms (op. cit., loc. cit., ibid., id.). An alphabetically list of references is mandatory. Some authors are entitled to use Name/Date/Page system. Rules of the usage of this system should be thoroughly followed.

• References: The list of references should be alphabetically arranged according to author(s) surnames. References to the same author(s) should be chronologically arranged. All the bibliographic elements of a reference should be complete, following the standard rules of writing and arrangement. Never use *et al.* in the list. Make sure that all the sources cited in text are listed. References other than those cited in the text should not be listed.

Tables

• Tables should be consecutively numbered, each having a short self-explanatory title above. Indicate the position of each in pencil in the margin. Avoid unnecessary or too detailed data.

Illustrations

• Original illustrations should be submitted flat in protective envelopes and not folded.

• Indicate, in pencil, the position of each in the margin of the text, and stick a copy of each in the right position of the text.

• Line drawings should be drawn in Indian ink on calc paper, not exceeding 12 × 18 cm or half or double that size.

• Photographs, black & white, should be of high quality glossy original prints of maximum size 13 × 18 cm or half or double that size.

• Coloured figures are not acceptable, unless colours have a scientific indications.

Proofs

• Two sets of proofs, one galley and one page proof, have to be checked by the corresponding author, in 72 hours at maximum.

• No alteration is allowed, especially on the page proofs.

Reprints

• 50 free reprints per paper will be supplied.

• Additional reprints could be ordered on returning page proofs, according to the rates of the Publishing Centre.



IN THE NAME OF ALLĀH,
THE MERCIFUL,
THE MERCY-GIVING

Annual Subscription

- Local : SR 5
- External : $ 5 (including postage)

Subscription

Scientific Publishing Centre, King Abdulaziz University
P.O. Box 1540, Jeddah 21441, Saudi Arabia.

Exchange

Deanship of Library Affairs, King Abdulaziz University
P.O. Box 3711, Jeddah 21481, Saudi Arabia.

King Abdulaziz University Press

English Section

J.K.A.U.: Arts and Humanities, **Vol. 6**, pp. 3-16 (1413 A.H./1993 A.D.)

Contextualizing Arabs' Image in America: A Beyond Content Exploration

ZAMEL A. ABUZINADA
Mass Communication Department, King Abdulaziz University
Jeddah – Saudi Arabia

ABSTRACT. In this study four dimensions of the Arab image in America have been proposed and measured relative to media reliance. The results lend additional support for the propositions of the dependency theory of media impact.

It also support most research conclusions about the Arab image in America. Nomad, wealthy, violent and sex hungry were found major components constituting the Arabs' image in America. Such elements were found related to one's dependency on media as well as to his previous encounters with Arabs.

Introduction

The quality of social, economic and political cooperation among people and nations has long been determined by the measure of gross cultural understanding of the achievements and characteristics of groups and nations. Today however, in our world of instantaneous communications, our understanding of other cultures is very much enhanced or deminshed, and our relationships with other people and nations are often directed and shaped by the mass media. Besides making a big world look small, one of the main functions of the mass media is the creation of image about nations and ethnic groups. Images about cultures, good or bad, true or false, are propagated by the mass media on a frequent basis.

Several factors have motivated the American mass media to consider the Middle East as a newsworthy region, including: 1) the Arab-Israeli conflict, 2) the conflicts between diverse Arab states, 3) the U.S. interest in the Middle East, 4) the 1973 oil embargo, 5) the world's largest oil resources in the region, and 6) the Gulf war. These factors, as well as many others relating to social, religious, and cultural differences, have given rise to an era of frequent coverage of the region.

In the context of such coverage and reports, a unique culture has been misrepresented to the American public. Outdated and misinformed themes and characteristics about Arabs are still existing in the content of a variety of mass media channels. During my period of study in the United States – (1980-1988) I have been an eye witness to some of the best and worst informed mass mediated messages projected by the American mass media about Arabs. For the most part, however, mass mediated messages in diverse media outlets have generally misrepresented the Arabs, their culture and characteristics to the American public. Such misrepresentation has taken the form of image-making and stereotyping of the Arabs. The Arab has been portrayed on various mass media channels as: nomads, Bedouins, Moslems, fanatics, camel riders, oil sheiks, lavish spenders, back stabber, sex hungry, dumpy, dirty, foolish, insensitive, backward, barbaric, harem maintainers, terrorists and individuals who have no respects for time[1]. These are but a few of the themes and characteristics which have been attributed to Arabs by the American mass media.

Purpose of The Study

The purpose of this study is to assess and test the image of Arabs in America, it also aims to investigate the impact of the mass media in shaping the Arabs' image in America, in so doing the study will provide answers for the following research questions:

1) What are the major characteristics which have been closely associated with the term "Arabs" in the minds of Americans.

2) What is the role of the mass media in constructing these characteristics.

3) What if any are the differences, in the image held about Arabs by Americans, based on their demographics.

Importance of The Study

The role and impact of the mass media in shaping and altering public opinion about a particular group or issue of concern has been heavily investigated. However, despite the large amount of literature devoted to these investigations, there seems to be an existing agreement among most researchers that "questions about the effect of the mass media cannot be answered in broad generalities"[2]. In dealing with such an issue, many scholars have learned to investigate different types of effects on different types of people at different levels of society and under different circumstances and conditions[3]. The issue of the impact of the mass media, thus, remains a disputed one.

Generally, studying any related issue or variable to media impact is important. This is because such studies help us to reach more specific and precise conclusions

which are needed for guiding policy construction, policies that may one day protect us, our youngsters, and generations to come from our own invented tools and practices. Specifically, conclusions about the impact of the mass media in creating a foreign nations' image is of special importance, not only to the communication scholar or political scientist, but also to the world community in which the strive for peace is of primary concern. The recognition of an existing misconception or misunderstanding of one culture toward another might be the most important first step toward world peace, an achievement which seems to be contingent upon improved understanding of others and their points of view as well as upon mutual cooperation.

Review of Literature

There are a large amount of research conclusions about the Arabs' image in America. Various scholars have studied this topic with various tools and orientations.

In three different studies, Terry described the content of three newspapers, *The New York Times, The Washington Post,* and the *Detroit Free Press*. All of the studies spanned the period from 1948 to 1974. Her analysis focused on identifying the contents of these papers as being pro and anti-Israel or Arab. In her first study, she found that coverage of the Middle East in 1948 was overwhelmingly pro-Israel and that the coverage of "unreasonable hostility" characterized the reports dealing with the Arab nations(4). Similarly, in her second study dealing with the publicity of the 1974 oil embargo, the author concluded that on such an issue the Arabs were usually described as the "bad guys" in clearly unfavorable caricatures(5). In addition, the author found that the oil issue was linked to the Arab-Israeli conflict and that there was an emphasis on the Arab "blackmail" The majority of reports exhibited open hostility toward Arab oil policies or stressed the primary of U.S. oil interests implying that U.S. support for Israel could not be dropped or weakened by Arab oil threats(6).

In her third study, Terry found a marked drop in pro-Israel anti-Arab editorials(7). She points out that although the texture of the coverage is pro-Israel, it became more balanced than previous years, when pro-Arab features had been almost totally absent before 1973(8). She points out that there were some pro-Arab anti-Israel editorials, although these were outnumbered by pro-Israel editorials by a four to one margin. Editorials also stressed a certain sympathy for the Palestinian refugees who were generally depicted as victims(9).

In one of his studies, Suleiman found similar evidence to the first two studies conducted by Terry(10). He observed that during coverage of the June 1967 Israeli-Arab confrontation, a new image of Arabs had emerged. He described it as follows:

> "The old romantic stereotype of an Arab as a wandering desert dweller has given way to a dark, shifty-eyed schemer and coward. It is a stereotype", he says, "that is reinforced by television and the movies"(11).

In a later study of the 1973 war, Suleiman concluded that:

"A slight turnaway from such stereotypes came as the Arabs emerged as less bent on baiting Israel or seeking its destruction. Furthermore, the press displayed greater awareness of the Arab viewpoint by mentioning relatively frequently the Arabs' desire for peace and security and by generally justifying their actions"(12).

Jack Shaheen makes a comprehensive review of diverse television programs that have portrayed negative images of Arabs. Television series such as "Vegas", "Whodunnit", "The American Girls", "Sweepstakes", "McCloud", "The Johnny Carson Show", "One Day at a Time", and many others. In one episode of "Whodunnit" the author observed the following theme:

"Shayk Khalim, ruler of Mamoonia has difficulty deciding which of his four harem wives to spend the night with. He is in a hurry, as the chosen one must be prepared and bathed. While planning to buy Palm Springs, Khalim purchased five jets, four white ones for his wives and a blue one for his brother"(13).

The author reveals that other shows have portrayed images of Arabs such as:

- Arabs are buying the nation (One Day at a Time)
- Arabs abducting young girls (McCloud)
- Arabs are dressed in bed sheets (Johnny Carson Show)
- Arabs live in a desert, use donkeys and camels as transportation and kill their women when they commit adultery
- Arabs are terrorists (Evening in Byzantium)(14).

Further analysis of how television programs functioned to perpetuate stereotypical images of Arabs has been made by Ghareeb. The author reviews the television program, "Card Sharks" That program printed a questionnaire for distribution to men and women in the Middle East. Some of the items on the questionnaire included:

For men:

- Do you have a pet camel?
- Would you respect a girl who let you peek under her veil on the first date?
- Do you ride to work on a camel?
- Was your wedding night the first time you saw your wife without a veil?

For women:

- Can a woman who shows her face in public ever be a good wife?
- Do veils make it easier for homely women to get husbands?
- Have you ever disobeyed your husband?(15).

Arabs' image has not only been portrayed negatively in television entertainment programs, but also during televised news and reports.

In a televised interview with Michigan Governor William Mililken regarding the state of the American economy, the Governor among many other things, com-

mented to the American public that "if you're looking for a scape-goat, I point to those damn Arabs"[16].

Printed reports and cartoons have also had their share of presenting a negative image of Arabs to the Americans. According to Ghareeb, an article published in the *Chicago Tribune* on December 6, 1981, entitled "Violence, the Islamic Curse", was accompanied by a cartoon showing four bearded figures wearing robes and stabbing each other in the back with daggers[17]. This as well as countless other examples could be cited here to demonstrate the misrepresentation of Arabs to the American public. The above-mentioned themes and stereotypes are not restricted to a specific medium; rather all media including cinema, comic strips, comic books, college and other school textbooks, novels as well as conventional media channels such as TV and the press[18]. Radio has not received any mention in any of the studies I reviewed.

My eye witness accounts and assessments of mediated messages about the Arabs, their nations, and political activities could be summarized as follows:

First, reporters are getting more informed about the region and its problems, although at times such information is put superficial in nature.

Second, reporters and program producers have grown accustomed to lumping Arabs together to identify an Arab nation or a conflict in which some group of Arabs are involved. Ideally, such groups are formally identifiable by the name of that particular nation such as Saudi Arabian, Jordanian, PLO members, etc. Reporters, however, seem to favor speaking of Arabs as a whole in labels such as "Arab Shiites", and "Arab terrorists". This practice is not limited to reporters; it is also noted among the so called "Middle East experts" .

Third, movise have shown greater interest in displaying Arabs in themes that are consistent with the earlier projected ones.

Theoretical Framework

A necessary condition for scientific progress in a given field is the subjection of a model or theory for testing. This research was guided by the assumptions of two different approaches: 1) image theory and 2) Dependency theory. These two approaches are integrally linked in that the first (*i.e.* image) is an output of the second (*i.e.* dependency on media outlets). The assumptions and propositions of these two approaches are presented hereafter.

In his famous book, *The Image,* Boulding defines the image as a subjective knowledge or picture of reality that is not representative of reality[19] He speculates that our behavior is dependent on our images of such stimuli or objects. Boulding argues that the messages received by an individual and the feedback that may follow, account for changes in image[20]. Consequently, personal reality depends on one's image of events and objects, which in turn is subject to the flow of messages from the surrounding environment.

Kelman defines image as "the organized representation of an object in an individual cognitive system"(21). With this definition, the author views image as broadly representative of the whole family of attitudinal dimensions. Such an approach, he suggests, could be more helpful to the study of foreign nations than explicating individuals' attitudes towards those nations. Nimo offers a distinction between the definitions of attitudes and images. Attitudes, he postulates, are "predispositions, or tendencies, of people to act in response to specific ways under specific conditions", while images are "predispositions to a particular type of activity – *i.e.*, perceiving and interpreting stimuli"(22).

Kelman's preference to the use of image in studying other nations is due to the inevitability of the term image in characterizing concepts of other nations. This view enables one to assess "the individual's definition of the object – the way it is seen, the properties with which it is endowed – as the starting point of analysis"(23).

The image of a foreign nation, in Scott's veiw, is one which "constitutes the totality of attributes that a person recognizes when she contemplates that nation"(24). Such an image, he argues, consists of three components: the cognitive, or understanding the object intellectually on a variety of attributes; the affective, or the liking/disliking aspects; and the action or behavioral component, which manifests itself in the responses, the actions and reactions, to the object(25). The author observes that considerable evidence confirms the existence of association between affective and cognitive attributes of images. Accordingly, people tend to "attribute favorable characteristics to nations they like and unfavorable characteristics to those they dislike"(26).

Several scholars have offered explanations of diverse types of images. Willis distinguishes between an ethnic and a national image. An ethnic image, in his view, is one "held about people", such as blacks, women, Arabs, Americans, Russians. A national image is one "held about a nation", such as USA, USSR and others. He suggests that both of these images are "closely interrelated, and a change in one would be expected to be accompanied by a change in the other"(27).

Other scholars, however, point out that images of other nations or groups can be divided into two types, the open image and the rigid image. An open image is believed to allow for addition of new attributes to it. On the other hand, a fixed image is believed to have fixed qualities and is much like a stereotype. Unlike the latter, the former allows a person to react to a nation or a group as it might become(28).

A fixed image, usually in the form of stereotype, is treated as a simplified generalization about a group or a nation assuming truth. When an image takes such a format it reaches the level of a "belief or an attitude ... oversimplified in content in which the unique attributes of the object are not observed and which is resistant to change"(29).

Walter Lippmann introduced the term as a communication concept, projecting that culture is the maker of stereotypes. He says:

"For the most part, we do not see, and then define, we define first and then see. In the great blooming, buzzing confusion of the outer world, we pick out what our culture has already defined for us, and we tend to perceive that which we have picked out in the form stereotyped for us by the culture"[(30)].

Lippmann views the reality of our world as too big, too complex and ambiguous to be understood and managed by an individual. Our world, he says, is one that is "out of reach, out of sight, out of mind. It has to be explored and imagined"[(31)]. Consequently, our picture or subjective knowledge of it is mostly ambiguous. To him, the media are a chief mean of contact between the individual and the unseen environment. In light of the complexity and ambiguity of our world, we reconstruct our environment on a simple model. Such a reconstruction he calls "pseudo-environment" which is án "insertion between man and his environment", to which our behavior is a response[(32)].

Boorstin projects a similar claim to that of Lippmann's and Boulding's. He argues that images and stereotypes are disseminated largely through the popular culture of the mass media; books, art and literature, to which an individual is exposed are main sources of messages which feed our cognitive system, reflecting new or reinforcing existing stereotypes[(33)].

Based on the proposition off the dependency theory of media impact, Becker and Whitney, as well as many others, have compiled research evidence that individuals who are dependent on the broadcast media for news and information were repeatedly found less well informed on a variety of issues than were those dependent on the printed media[(34)]. Scholars argue that several reasons and factors relating to the differences in style and format of the two types of media may be responsible for their varying effects. Factors such as spacial constraints, video-centricism, exposure repetition, timing, human sensory perceptions and the like.

Analyzing the style and nature of televised news and information, these scholars argue that television is a medium suited for image making rather than for substantively informing its audience[(35)]. In being guided by the above theoretical framework, as well as those reviewed earlier, research relative to the portrayal of Arabs in the American mass media, I formulated the following hypotheses these are:

1) Nomad, wealthy, violent and sex hungry (referred to hereafter as image dimensions) will be major components of the Arab image in the minds of most Americans.

2) Individuals who rely heavily on the printed media will score more on image dimensions than those who rely primarily on the broadcast media. In other words, respondents who report heavy reliance on the broadcast media will attribute the four dimensions to Arabs more so than those who rely heavily on the print media.

3) Respondents who have travelled, or who personally knew an Arab, will score lower on the image items than those who did not.

Methodology

Instrument

The instrument devised for this project was a questionnaire composed of three short sections.

Section # 1. This section consists of twenty-four items intended to assess the characteristics or dimensions of the Arab image in America. The order of item assignments was arrived at randomly. The items were written to cluster on four different dimensions; these are: Nomad, Wealthy, Violent and Sex Hungry. Each of the four dimensions were measured by six five-point Likert scale, ranging from strongly agree to strongly disagree with an undecided category. Three out of every six items measuring a dimension were phrased negatively and were later recorded. These were 3, 5, 6, 7, 8, 10, 11, 13, 15, 16, 20 and 21. The selection of the four dimensions was based on the previous research conclusions revealed in the process of conducting the literature review.

Section # 2. This section was comprised of six close-ended questions by which I intended to assess respondents' media consumption patterns. Each of the first four questions were followed by four choices. These were chosen to be mutually exclusive as well as exhaustive. The four categories for each of the first four items in this section were divided into two groups, by using the recode command. This was done for two reasons: Firstly, to reduce the high differences in responses between some of categories relative to others. Secondly, to be able to compare meaningfully subjects, especially since a high degree of homogeneity among sample members was observed. The fifth question in this section was treated as five different variables. The first three response categories for each medium were recorded to create a low consumption group, while the latter two created a high consumption group, or high dependency group, for each medium. This was done for the same reasons as those listed above. The last item in this section was dismissed and not used in any analysis procedures.

Section # 3. This section was comprised of three demographic variables. These are travel, personal encounters with Arabs, and gender. Due to the fact that only two of the sample members traveled to the Middle East, it was felt that geographic areas to which subjects traveled was not relevant for analysis. Personal encounters with Arabs was recorded into two groups; those who did not know any Arab, and those that knew one or more. This was done for the same reasons outlined earlier.

Procedure

One hundred fifty copies of the instrument were distributed. One hundred thirty-two forms were returned, fourteen of which were discarded due to incomplete data sets. The remaining one hundred eighteen forms were coded and entered utilizing the SPSSx program. The data was subjected to various statistical procedures.

The items in the first section of the instrument was subjected to a principal-components analysis and rotated obliquely, the delta value was .0. The criterion for factor

extraction and rotation was set at an eigenvalue of 1.0 or greater. The items in the second and third sections were treated as independent variables and were used, in conjunction with the obtained factors scores, in several t-test comparisons.

Subjects

The findings of the study are based on the responses of 118 Americans students enrolled in three communication courses in the Department of Communication at the Ohio State University in the fall of 1989. These courses were Comm. 220, Comm. 411 and Comm. 326. Fifty-one of the respondents were males sixty-seven were females. The sample of this study was not based on randomized probability procedures of sampling, but instead it took the form of convenience sampling based on subject availability and willingness to participate in the study. Forty-nine percent of the sample members consisted of students who have traveled somewhere outside of the United States, two of which had traveled to the Middle East. The remaining fifty-one percent consisted of students who have never visited any foreign country. Eighty-two participants did not personally know any Arabs, while thirty-six knew at least one.

Results

The principal component analysis produced four factors. The first three of these were with an eigenvalue of 1.0 or greater (see Table 1). An examination of items' loading with these factors revealed that the first three of the four proposed factors were loading as expected. This is seen as an indication of the instrument's validity. Such a result also means that the first three factors (*i.e.* nomad, wealth, violent) were major components of the Arabs' image in the minds of the sample members of American students. *i.e.* The results in Table 1 support the first hypothesis of this study.

TABLE 1. Rotated Factor Pattern Matrix, N = 118.

Items	Nomad	Wealth	Violent	Sex Hungry
1) Arabs attack people who hold views other than their own. (V)	−.02	.03	.35	.02
2) Arabs in general are religious fanatics. (V)	.15	−.11	.32	−.30
3) Arabs are wandering shepherds. (N)	.53	−.02	.05	−.17
4) Arab women cover their faces and hair when outside the home. (S)	−.25	−.08	−.25	−.01
5) Arabs like to terrorize people. (V)	.13	−.08	.55	−.25
6) Arabs are pre-occupied with materialistic things such as perfumes, big cars, diamond rings, etc. (W)	.34	.31	.09	−.26
7) Most Arabs are oil owners and producers. (W)	.24	.51	−.04	−.28
8) Arabs are sex perverts. (S)	.17	.06	.02	−.56
9) Arabs live in fancy palaces. (W)	−.01	.06	.12	.02
10) Arabs are buying-up most of America's farm land. (W)	.31	.48	−.15	.06
11) Arabs like to move from one place to another. (N)	.56	.06	.17	−.13
12) Arabs exert control over the stockholdings of American companies. (W)	−.12	.56	.03	.21
13) Arabs enjoy buying sex in Western societies. (S)	.09	.02	.01	−.63
14) Most Arabs are extremely wealthy. (W)	−.08	.68	.04	−.11
15) Camel riding is the primary means of transportation for most Arabs. (N)	.40	.01	.01	−.30
16) Arabs kill their wives if they commit adultery. (S)	.02	.09	.30	−.19
17) Arabs oppose pre-marital relationships and sex. (S)	−.04	.31	.18	−.22
18) Arabs want to make peace with other nations. (V)	−.01	.01	.72	.13
19) Arabs live in tents. (N)	.19	.01	.08	.34
20) Arabs are a group of people whose primary means of solving conflict is with violence. (V)	.23	.10	.51	−.12
21) Arabs like urban living. (N)	.55	−.02	−.03	.19
22) Most Arabs do not have more than one wife. (S)	−.24	.31	.52	−.13
23) Arabs are civilized people. (N)	.06	−.06	.63	.11
24) Harems are common practice of Arabs. (S)	.00	.02	.54	.02
— Eigenvalue	4.44	1.63	1.45	.88
— Percent of Variance	18.5	6.8	6.0	3.7
— Reliability (Alpha)	.57	.68	.72	.72

Note : The numbers in this table and all subsequent tables have been rounded.

The view of Arabs as a nomadic people explained the most variance. This despite the fact that only four of the six items intended to measure this dimension loaded on this factor. Five out of the six items designed to measure the wealth component loaded as expected, all the items measuring the violent component loaded as expected. The reliability coefficients for each group of items are reported in (Table 1). These reliability coefficient scores for each factors, though not extremely high, are within reasonable limits, especially when one considers the small number of items.

There are low correlations between factors (Table 2).

TABLE 2. The Correlation Between the Four Factors.

Variable	Factor 1	Factor 2	Factor 3	Factor 4
1) Nomad	1.0	.21	.23	− .18
2) Wealthy		1.0	.20	− .16
3) Violent			1.0	− .21
4) Sex Hungry				1.0

The results lend partial support to the second hypothesis of this research. The results in Table 3 show that those who reported heavy reliance on magazines for their diet of news and information differed significantly in their view of Arabs as nomads when compared with those sample members who reported low reliance on such a medium *i.e.* the higher the reliance on magazines the lower the probability of viewing Arabs as nomads. The results of the analysis of the other image dimensions in relation to subjects' reliance and various other media did not show any significant differences.

TABLE 3. Results of Magazine Reliance T-Test.

Factor	Reliance	Mmean	One-Tail Prob.
Nomad	low	.09	.02
	high	− .34	

Moreover, the results lend partial support to the third hypothesis. Respondents who have traveled outside the U.S. differed significantly in their view of Arabs as being wealthy when compared with those who have not. Those who traveled viewed Arabs as wealthy more so than those who did not. This is perhaps due in part to the fact that these individuals, while vacationing, may have seen Arabs outside of their homeland. Frequency evaluations revealed that only two of the subjects had ever personally traveled to the Middle East: Arabs vacationing outside of their homeland are, more often than not, buying many items and goods unavailable in their own countries. Often their vacations are characterized by continuous buying thereby furnishing the observer with a distorted picture of Arab behavior.

Discussion

As has been shown above, the results lend partial support for the research hypotheses. I believe one of the reasons most responsible for this is the homogeneity of the sample population. During the period of coding the responses and reviewing the questionnaire forms I observed a strong tendency, among a majority of respondents, to select similar responses. This observation applied to all sections of the instrument.

My review of the frequency tables confirmed this observation. Also, I observed a high rate of undecidedness among the sample members regarding some of the items in the first section. The highest rate of undecidedness took effect in responses to the items measuring the sex dimension of the image. In my construction of the instrument, I underestimated Americans students' sensitivity to labeling other humans. This is seen as a major deficiency of the instrument. Future revision of the instrument should consider the modification of the items which received such high rates of undecidedness.

The image of Arabs in America is therefore, is composed of four major components these are 1) nomad 2) wealth 3) violent 4) sex hungry. Such components are related to one's dependency on media as well as to his previous encounters with Arabs.

Notes

(1) **Jack Shaheen,** "American Television: Arabs in Dehumanizing Roles", *in:* **Michael Hudson** and **Ronald Wolfe,** Ed., *The American Media and the Arabs,* Center for Contemporary Arab Studies, Georgetown University, Washington, D.C., 1980, p. 40.

(2) **Dennis McQail,** "The Influence and Effects of Mass Media". *in:* **Doris Gruber,** *Media Power in Politics,* 1984, p. 16.

(3) *Ibid.* p. 16.

(4) **Janice Terry,** "A Content Analysis of American Newspapers", *in:* **Abdeen Jabara** and **Janice Terry,** Eds., *The Arab World from Nationalism to Revolution,* The Medina University Press, Int., Ill., 1971, pp. 96-97.

(5) **Janice Terry** and **Gordon Mendenhall,** "1973 U.S. Press Coverage of the Middle East", *Journal of Palestine Studies,* **4,** Autumn 1974, p. 123.

(6) *Ibid.,* p. 125.

(7) **Janice Terry,** "The Western Press and the October War – A Content Analysis", *in:* **Baha Abu-Laban** and **Faith Zeady,** *Arabs in America,* the Medina University Press, Int., 1975, p. 6.

(8) *Ibid.,* p. 6.

(9) *Ibid.,* p. 8.

(10) **Michael Suleiman,** "An Evaluation of Middle East Coverage in Seven American News Magazines, July-December 1956", *Middle East Forum,* **41,** Autumn 1956, p. 29.

(11) ———— "American Mass Media and the June Conflict", *in:* **Ibrahim Abu-Lughaad,** Ed., *The Arab Israeli Confrontation of June 1967; An Arab Perspective,* Notherwestern University Press, Ill., 1970, pp. 141-142.

(12) ———— "National Stereotypes as Weapons in the Arab-Israeli Conflict", *Journal of Palestine Studies,* **3,** Spring 1974, pp. 116-117.

(13) **Jack Shaheen,** *in: "The American Media and the Arabs", op. cit.,* p. 41.

(14) *Ibid.,* pp. 41-43.

(15) **Edmund Ghareeb,** *in: Split Vision: The Portrayal of Arabs in the American Mass Media,* American-Arabs Affairs Council, Washington D.C., 1983, pp. 158-159.

(16) *Ibid.,* p. 160.

(17) *Ibid.,* p. 161.

(18) **Jack Shaheen,** *in: Split Vision, op. cit.,* p. 328.

(19) **Kenneth Boulding,** *The Image,* University of Michigan Press, Ann Arbor, 1961, pp. 5-6.

(20) *Ibid.,* p. 6.

(21) **Herbert Kelman,** "Social-Psychological Approaches to the Study of International Relations", *in:* **Herbert Kelman,** Ed., *International Behavior,* Holt Rinehart and Winston, NY, 1956, p. 24.

(22) **Dan Nimmo,** *Popular Images of Politics,* Prentice-Hall, Inc., New Jersey, 1974, p. 8.
(23) **Kelman,** *op. cit.*, p. 26.
(24) **William Scott,** "Psychological and Social Correlates of Internatinal Images", *in:* **Herbert Kelman,** Ed., *op. cit.*, p. 72.
(25) *Ibid.*, p. 72.
(26) *Ibid.*, p. 82.
(27) **Richard Willis,** "Ethnic and National Images: People vs. Nations", *Public Opinion Quarterly,* **32,** 1968, p. 187.
(28) **Scott,** *op. cit.*, p. 81.
(29) **David Krench** and **R.S. Crutchfield,** *Elements of Psychology,* Knopf, NY, 1958, p. 179.
(30) **Walter Lippmann,** *Public Opinion,* Harcourt, Brace and Company, NY, 1922, p. 81.
(31) *Ibid.*, p. 29.
(32) *Ibid.*, p. 320.
(33) **Daniel Boorstin,** *The image: A guide to psuedo-Events in America,* Atheneum, NY, 1977, pp. 13-14.
(34) **Lee Backer** and **D. Charles Whitney,** "Effects of Media Dependency", *Communication Research,* **7,** Winter 1980, p. 116.
(35) **Mark Miller** and **Stephen Reese,** "Media Dependency as Internation", *Communication Research,* **8,** Spring 1982, pp. 228-229.

References

Becker, Lee and **Whitney, D. Charles,** "Effects of Media Dependency", *Communication Research,* **7,** Winter 1980.

Boorstin, Daniel, *The image: A guide to psuedo-Events in America,* Atheneum, NY, 1977.

Boulding, Kenneth, *The Image,* University of Michigan Press, Ann Arbor, 1961.

Ghareeb, Edmund, *Split Vision: The Portrayal of Arabs in the American Mass Media,* American-Arabs Affairs Council, Washington D.C., 1983.

Kelman, Herbert, "Social-Psychological Approaches to the Study of International Relations", *in:* **Herbert Kelman,** Ed., *International Behavior,* Holt, Rinehart and Winston, NY, 1956.

Krench, David and **Crutchfield, R.S.** *Elements of Psychology,* Knopf, NY, 1958.

Lippmann, Walter, *Public Opinion,* Harcourt, Brace and Company, NY, 1922.

McQail, Dennis, "The Influence and Effects of Mass Media". *in:* **Doris Gruber,** *Media Power in Politics,* 1984.

Miller, Mark and **Reese, Stephen,** "Media Dependency as Internation", *Communication Research,* **8,** Spring 1982.

Nimmo, Dan, *Popular Images of Politics,* Prentice-Hall, Inc., New Jersey, 1974.

Shaheen, Jack, "American Television: Arabs in Dehumanizing Roles", *in:* **Michael Hudson** and **Ronald Wolfe,** Ed., *The American Media and the Arabs,* Center for Contemporary Arab Studies, Georgetown University, Washington, D.C., 1980.

Suleiman, Michael, "An Evaluation of Middle East Coverage in Seven American News Magazines, July-December 1956", *Middle East Forum,* **41,** Autumn 1956.

Suleiman, Michael, "American Mass Media and the June Conflict", *in:* **Ibrahim Abu-Lughaad,** Ed., *The Arab Israeli Confrontation of June 1967; An Arab Perspective,* Notherwestern University Press, Ill., 1970.

Suleiman, Michael, "National Stereotypes as Weapons in the Arab-Israeli Conflict", *Journal of Palestine Studies,* **3,** Spring 1974.

Terry, Janice, "A Content Analysis of American Newspapers", *in:* **Abdeen Jabara** and **Janice Terry** Eds., *The Arab World from Nationalism to Revolution,* the Medina University Press, Int., Ill., 1971.

Terry, Janice, "The Western Press and the October War – A Content Analysis", *in:* **Baha Abu-Laban** and **Faith Zeady,** *Arabs in America,* the Medina University Press, Int., 1975.

Terry, Janice and **Mendenhall, Gordon,** "1973 U.S. Press Coverage of the Middle East", *Journal of Palestine Studies,* **4,** Autumn 1974.

Willis, Richard, "Ethnic and National Images: People vs. Nations", *Public Opinion Quarterly,* **32,** 1968.

صورة العرب في الولايات المتحدة الأمريكية
دراسة مابعد المضمون

زامل عباس أبو زنادة
قسم الإعلام – جامعة الملك عبد العزيز
جدة – المملكة العربية السعودية

المستخلص : تقيس هذه الدراسة أربعة محاور أساسية تشكل تركيبة صورة العربي في أمريكا ، والمتحصلة من جراء التعرض لمضامين وسائل الإعلام الأمريكية وقدمت نتائج الدراسة نتائج مدعمة لنظرية الاعتمادية في تأثير وسائل الإعلام .

وتأتي نتائج هذه الدراسة مدعمة لنتائج معظم الدراسات السابقة في هذا المضمار ، حيث اتضح إن البداوة والثراء ، والعنف والعطش الجنسي ، هي أربع ركائز أساسية يدور في فلكها تكوين صورة العربي لدى الطلاب الأمريكيين .

ولقد أكدت نتائج هذه الدراسة أن هذه المحاور مرتبطة إلى حد كبير باستخدامات الأفراد ، واعتمادهم على وسائل الإعلام ، وبخبراتهم الشخصية السابقة مع العرب .

J.K.A.U. : Arts and Humanities, Vol. 6, pp. 17-26 (1413 A.H./1993 A.D.)

Elaborate Courtesy in West Arabia

NASIR M. AL-JEHANI
Assistant Professor, English Language Department, Faculty of Social Sciences
Ummal-Qura University, Mecca – Saudi Arabia

ABSTRACT. The elaborate verbal expression of courtesy in West Arabia is a potentially problematic communicative behavior in cross-cultural communication. In an effort to contribute to the elimination of such problems in such a context, an explanation of this behavior from within the culture was provided. The culture of West Arabia being characterized as a collective, contact, and polychronic-time culture; placing an extensive value on people and their relationships was found to provide the underlying pattern for this communicative behavior. Elaborate verbal courtesy in West Arabia was found to be only a reflection of the rules, norms, and values of the West Arabian culture.

1. Introduction

The expansion of worldwide communication networks and the development of sophisticated means of transportation came as a result of and contributed to the ever increasing interdependence between the different political, economic, and social entities in the world today. This interdependence has led people with different cultural backgrounds to be in constant contact with each other. The inevitable result of this cross-cultural contact is cross-cultural communication; and whenever this type of communication takes place, there is always the potential for problems to occur.

> Intercultural communication occurs when two or more individuals with different cultural backgrounds interact. This process is rarely smooth and problem free.
> (Andersen 1988: 272)

Cross-cultural communication problems arise from differences in the social values, logic patterns, attitudes, and approaches to life; in short, cultures, of the participants in the communication process. The reduction of these problems, and, consequently, the ability to communicate effectively, can be only achieved via an understanding, appreciation, and acceptance of these differences (Gudykunst and Kim 1984). Only then can we develop interpersonal relationships and carry on successful political negotiations, diplomatic tasks, and business deals.

Arabs as a cultural group, have their own cultural patterns; and these patterns are in many respects different from the patterns of other cultural groups. As such, communication between Arabs and people from other cultures is potentially problematic.

> The difference between Western and Arab logic patterns suggests that there is a significant potential for major intercultural communication problems to occur.
>
> (Lustig 1988: 103)

Communication patterns are not equally problematic. The more a pattern is culture specific, the more problematic it comes to be in cross-cultural communication. Peculiar to Arabs is their extreme consciousness of 'manners' and 'politeness' (Yousef 1974; Omar 1975). Compared to Westerners, Arabs extremely elaborate on their expressions of courtesy. Greetings, requests, thanks, and other courtesy expressions are so much elaborated on. About the introduction ritual in Saudi Arabia, Lustig (1988: 103) says:

> A communication pattern that frequently occurs in Saudi Arabia interactions is the elaborate and extended introduction ritual that is characterized by excessive politeness and attention to social etiquette. Handshakes often extend for several minutes, and a very stylized exchange of polite questions and blessings can continue almost indefinitely.

It is this aspect of the interpersonal deminsion; namely, the elaboration of courtesy expressions, that we intend to examine in this paper. To be specific, it is elaboration of verbal courtesy. Our objective is to highlight this aspect, describe it, and most importantly, provide an explanation for it within a cultural framework; relying on both personal observation and collected data.

The locale of the research is confined to West Arabia, the area called Hijaz in Saudi Arabia. Observation and collected data were basically from the four major cities in West Arabia, namely, the two holy cities of Mecca and Medina, and the cities of Jedda and Taif. Variations in the expression of courtesy within and between the four cities are not ruled out, but are rather, maintained to exist. However, the pattern is a prevailing one, and generally holding. It is from this perspective that we will consider the issue. We also believe that although the issue and the discussion of it is confined to West Arabia, the pattern is, more or less, the same throughout Saudi Arabia, in particular, and the Arab world, in general.

This study has a number of contributions: First, it will contribute to the recognition of the fundamental peculiarities and universalities of communication in the different cultures, and consequently to the theory of communication. Second, the study will highlight assumptions about similar behavior in other cultures for communication specialists and anthropological linguists. Third, and most importantly, the study will explain to people from other cultures how we express ourselves and interpret the

world the way we do and why. Our behavior, then, will be less confusing and more interpretable to others.

> Understanding about intercultural differences ... is bound to reduce ethnocentrism and make strangers from other cultures seem less threatening. Fear is often based on ignorance and misunderstanding. The fact of intercultural diversity should produce joy and optimism about the number of possible ways to be human.
>
> (Andersen 1988: 280)

2. Verbal Courtesy in West Arabia

Amiable or benevolent treatment is among the rudiments of social life in all cultures. Courtesy is expressed, in one way or another, in each and every society in the world (Ferguson 1976). The constituency and intensity of courtesy expressions vary according to a number of social factors such as the relative social status of the participants in the communication process; solidarity of the relationship; and the time elapsed since their last encounter. This is the same in all cultures (ibid.). What is not the same is that in the same social situation, the constituency and intensity of courtesy expressions are different in different cultures; in some they are more elaborate than in the others.

Our observation and examination of the collected data show that the expression of courtesy in the interactions of West Arabians, compared to Westerners, is extremely elaborate. Greetings are characterized by the use of so many courtesy expressions: "Peace be on you", "Good morning", "How are you?", "What are the news?", "Hope you are all right?", "Welcome", "May God greet you", "May God bless you", "How are the kids?", "God willing they are all right?", "May God welcome you", "All of you are O.K.?", "How is the father and the mother?", "How are the brothers?". Some of these expressions may be repeated over and over again. Repetition might be of the same expression or a variable of it: "How are the kids?" ... "The kids are all right?". Moreover, people sometimes greet, indulge in talk about something, and then greet again:

A – (Greeting)
B – (Greeting)
A – How is X ?
B – He is fine.
a – Is he still in Jedda ?
b – No, he moved to Dhahran.
a – Why ?
b – ...
a – ...
b – ...
A – May God greet you.
B – May God give you a long life.
A – Welcome.
B – ...
A – ...

Courtesy expressions are also elaborate in requests. People are not normally satisfied with "Please" or "If you please" only. You start the request with some courtesy expressions, and, after it is approved by the requested, you state some more of these expressions, or repeat some of those you stated at the beginning. These are such as "Is it possible" "It you please", "If you permit", "Hopefully", "Can you do me a favor?", "A favor, not an order", "May God keep you", "May God not put you down", "We want to burden you", "We want to trouble you" and "Long live you"

Fulfilling requests and doing favors are normally appreciated. Appreciation is expressed by thanks; and these, too, are elaborately expressed in West Arabia. A mere "Thank you" is considered not polite enough. It leaves the doer of the favor with the impression that he/she had to do that 'favor' for you. Elaboration of thanks in the form of stating more of the expressions of thanking and appreciation is normally due if one wants to show true appreciation of the favor; the more you appreciate, the more you thank. Phrases of thanking and appreciation include: "Thank you", "May you be safe", 'Favor doer", "We have burdened you", "We have troubled you", "We are unable to thank you", "May God honor you", "May God bless you", "May God make you last", "May God make you succeed", "May God make it easy for you", "May God increase your goodness", "May God not deprive us of you".

Unlike greetings; requests and thanks are in a disproportional relationship with the degree of intimacy and closeness between the ones involved. The more you are close and intimate to the other, the less the extent to which you express your requests and thanks; and the vice versa.

The extent to which verbal courtesy expressions are elaborate in West Arabia is not only observed in specific social situations, but is also evident throughout speech. There are so many things that when mentioned one needs to provide a specific courtesy expression before or after they are mentioned. The number of such contexts is enormous. In mentioning shoes, toilets, animals, and the like, one is supposed to say "No offense" or "May God honor you" When one supposes something bad to happen, one is supposed to say "God forbid", "May God not permit it" or ",[May it be] Outside and distant" And when a bad incident that happened in the past is mentioned, one is supposed to say "May God forbid evil back" When one says that something broke, fell, thrown, destroyed, ... etc., or when someone bad is mentioned, or that something bad happened to someone, the speaker is supposed to say "(The) Far and away". Addressing a specific person by name among a group requires you to indicate that you are not ignoring the others by saying, "Talk is (addressed) to all" or "The others are not to be put down" To inform someone that the information he/she has about something is not correct and that the truth of the matter is so and so, one is supposed to introduce his statements with "(And) You are true" To show that you are not envious to your addressee or addresser and that you like good for him when you see or hear or talk about something good that belongs or happens to him, you are supposed to say, "In the name of God", "What God wills" or "God bless" or you can say them all together. To mention someone who is away or traveling, one

says, "May God have him remembered with goodness", and to mention a dead person, one says, "May God have mercy on him"

Other courtesy contexts do exist; and the repertoire of West Arabians include so many other verbal expressions of courtesy. The material cited, however, seems to be sufficient to illustrate how elaborate the verbal expression of courtesy is in the interaction of West Arabians.

3. West Arabians Elaborate Expression of Courtesy and the West Arabian Culture

Communication and culture are so closely interwined to the extent that some scholars have equated culture with communication (Andersen 1988). It is through communication that culture is learned, maintained, developed, and transmitted from one generation to the other. As well, our communication patterns are shaped by the rules and norms of our culture.

> ... we communicate the way we do because we are raised in a particular culture and learn its language, rules and norms.
>
> (Gudykunst and Kim 1984: 4)

As such, elaboration on the verbal expression of courtesy in West Arabia must be a product of the West Arabian culture. It must be the culture, that is, that dictates on the people of West Arabia to be elaborate on their verbal expresion of courtesy.

Several dimensions of cultural variation are argued to produce differences in a culture's communication patterns (Andersen 1988). The cultural characteristics of West Arabia categorize it, among other things, as a collective culture. Collective cultures – as opposed to individualistic cultures – are those characterized by the interdependence of its people. In collective cultures people rely on each other and have a strong sense of the group. They place a great value on family devotion, group harmony, community allegiance, and social cohesion. Personal interests are suppressed if they contradict those of the group. Group norms are sacred; and relationships are deep, respected, and extensively developed (Andersen 1988).

People in West Arabia are very much interdependent and group-oriented. Conservatism, family devotion, group harmony, other-orientedness, and traditionalism are among the most relevant cultural values of Saudi Arabians (Lustig 1988). People do care for and rely on each other. You are never alone; consequently, you must always care for others, consider their needs, emotions, attitudes, happiness, and satisfaction; and suppress personal interests in favor of those of the group. Individual needs are in the most part subordinated to those of the family and close relatives (Lustig 1988). Group norms are so much respected that one would not dare violate them.

The cultural characteristics of West Arabia also classify it as a contact culture. Contact cultures – as opposed to low-contact cultures – are those characterized by

immediacy behaviors. These are:

> ... actions that simultaneously communicate warmth, closeness, and availability for communication; they signal approach rather than avoidance and closeness rather than distance.
>
> (Andersen 1988: 274)

Examples of immediacy behaviors include smiling, touching, eye contact, and close distance. In contact cultures, people smile more often, touch more often, have longer eye contacts, and stand closer to each other; in short, show considerable interpersonal closeness than people in low-contact cultures (Hall 1981).

People in West Arabia act in a way that reflects 'warmth', 'closeness', 'availability for communication' and 'approach'.

> In social conversations, Saudi Arabians stand slightly closer to one another than Americans do. They gesture frequently and often touch one another while talking. Both the speaker and the listener engage in mutual eye gaze almost continuously.
>
> (Lustig 1988: 103).

West Arabians sit, stand, walk, and talk in close proximity to each other. They touch each other very frequently while talking, and some hold each other's hands in walking in the streets and malls. In West Arabia facing your interlocutor and looking at him while talking to you are among the requirements of polite listening that people normally adhere to.

West Arabia is also culturally characterized as a polychronic-time culture. Polychronic-time cultures – as opposed to monochronic-time cultures – are those in which time is less tangible and the notion of being 'on time' is comparatively loose. In such cultures, people are involved in several things at once; schedules do not form an integral part of their system; appointments are not seriously taken and, consequently, are normally broken; interruptions are routines and delays represent the norm rather than the exception (Hall 1984).

Polychronic-time cultures are people-oriented. Relationships with people in these cultures are extremely important. People are so much involved in others that this involvement comes to be "... the very core of their existence" (Hall 1984: 50). They are in constant contact with each other, having so many relations and simultaneous interactions that they cannot keep up with schedules and appointments. People and relationships are so important that they take precedence over schedules and appointments.

> If you value people, you must hear them out and can not cut them off simply because of a schedule.
>
> (Hall 1984: 53).

Compared to that of the Western world, West Arabians consideration of time is extremely loose. An exact hour, not an approximation, for an appointment is only occasionally given, and only very few people stick to their appointments. Excuses for being late, if given, are normally not good ones; and people are normally annoyed if you question their impromptness. The large majority of people are not used to plans and schedules; and paperwork, bureaucratic procedures, and transactions are much slower than they normally are in the Western world.

As a polychronic-time culture, West Arabians are very much people-oriented. People are extremely important in this culture that one, in one way or another, is always involved with others. To West Arabians, nothing has a value if people are not involved; and life becomes worthless if no one is around. A very popular saying in West Arabia reads, "A paradise without people is not stepped into". Hall (1982: 158) says;

> ... Arabs are deeply involved with each other. Their personalities are intermingled and take nourishment from each other like the roots and soil. If one is not with people and involved in some way, one is deprived of life.

The culture of West Arabia, then, is a culture that highly values mutual solidarity, and harmony and cohesion between people; a culture that highly emphasizes closeness, approach, and availability to people; and a culture that highly stresses involvement and constant being with people. These rules, norms, and values of the culture govern and shape the social behavior of West Arabians. As a form of social behavior, the communicative behavior of West Arabians is also shaped by these cultural rules, norms, and values. People are instructed by the culture to be elaborately courteous in every aspect of their behavior, including communicative behavior. The communicative pattern of expressing courtesy elaborately, then, is a pattern dictated by the culture. A culture that values people and their relationships extensively requires courtesy to be expressed elaborately.

The elaborate verbal expression of courtesy in West Arabia, therefore, is a reflection of the values of the culture. It springs from within the culture, as a reflection of its values, and in conjunction with its norms. It is a culture-shaped verbal behavior; structured and governed by the rules of the culture.

Conclusion

Elaboration on the verbal expression of courtesy in West Arabia is the theme of this paper. It is a potentially-problematic communicative pattern in cross-cultural communication as it is different from the patterns of verbal courtesy expression in many cultures; especially Western ones. We tried in this paper to provide an explanation for this pattern from a cultural perspective in an effort to contribute to the elimination of potential misunderstanding and consequent problems that might arise in cross-cultural communication. A pattern 'admirable' in a culture, might be 'a minefield' for people from another culture "... not familiar with the insecurities un-

derlying it and the diverse circumstances in which it can be invoked" (Murray 1988: 99).

Elaboration on the verbal expression of courtesy in West Arabia was found to be a reflection of the extensive value placed on people and their relationships in the culture of West Arabia. The verbal expression of courtesy was found to be patterned and governed by the norms and values of the culture.

A word of caution, however, is due here. Our observation and data indicate that the pattern of verbal expression of courtesy in West Arabia is changing. We noticed systematic variation between old and young generations; with the old being much more elaborate in their expression of courtesy than the young. This observation is supported by a number of indicators that direct our thought towards this conclusion; for example, the increase in space between new structures, e.g. houses, streets, compared to old ones; and the decrease in the amount of time people spend with each other and their contact and involvememt with each other, compared to that of the past. Lustig (1988: 103) says:

> One must be cautious in accepting any firm conclusions about Saudi Arabia, however, as rapid societal changes and economic forces are having a major influence in the country ... Nevertheless, despite the Saudis' exposure to modern political and social trends, social customs continue to be tempered by traditional Saudi Arabian values.

Finally, attention must be drawn to the fact that there are many other aspects in the communication patterns of West Arabians that are culture-specific and, consequently, problematic in cross-cultural interaction. As well, since culture is a whole and since there are many other views and approaches, analyses are almost always short from complete.

> The identification of common problem areas in communication across cultures is always incomplete; there are always other interpretations and, since culture is a whole, the selection of 'factors' or 'themes' is never completely shown in its entire context. Nevertheless, a common effort to appreciate differences across cultures is essential.
> (Condon 1988: 115)

References

Andersen, Peter (1988) Explaining Intercultural Differences in Nonverbal Communication. *In:* **Larry Samovar** and **Richard Porter** (ed.), *Intercultural Communication: A Reader*. Wadsworth.

Bird, Charles and **Shopen, Timothy** (1979) Maninka. *In:* **Timothy Shopen** (ed.), *Languages and their Speakers*. Winthrop.

Condon, John (1988) '... So Near the United States': Notes on Communication between Mexicans and North Americans. *In:* **Larry Samovar** and **Richard Porter** (ed.), *Intercultural Communication: A Reader*. Wadsworth

De Silva, M. (1976) Verbal Aspects of Politeness Expression in Sinhalese with Reference to Asking, Telling, Requesting and Ordering. *Anthropological Linguistics*. Vol. **18**, 8: 360-370.

Ferguson, Charles (1976) The Structure and Use of Politeness Formulas. *Language in Society*. Vol. **5**, 2: 137-151.

Gudykunst, William and **Kim Young** (1984) *Communicating with Strangers: An Approach to Intercultural Communication*. Newbery Award Records.

Hall, Edward (1981a) *Beyond Culture*. Anchor Press.

——— (1981b) *The Silent Language*. Anchor Press.

——— (1982) *The Hidden Dimension*. Anchor Press.

——— (1984) *The Dance of Life: The Other Dimension of Time*. Anchor Press.

Lustig, Myron (1988) Cultural and Communication Patterns of Saudi Arabia. *In:* **Larry Samovar** and **Richard Porter** (ed.), *Intercultural Communication: A Reader*. Wadsworth.

Murray, Douglas (1988) Face-to-Face: American and Chinese Interactions. *In:* **Larry Samovar** and **Richard Porter** (ed.), *Intercultural Communication: A Reader*. Wadsworth.

Omar, Margaret (1975) *Saudi Arabic: Urban Hijazi Dialect*. Foreign Service Institute, Department of State, Washington, D.C.

Smith, Elise and **Fiber Luce, Louise** (ed.) (1979) *Toward Internationalism: Readings in Cross-Cultural Communication*. Newbury House Publishers.

Yousef, Fathi (1974) Cross-Cultural Communication: Aspects of Contrastive Social Values Between North Americans and Middle Easterners. *Human Organization*. Vol. **33**, 4: 383-387.

المجاملة المسهبة في غرب الجزيرة العربية

ناصر محمد الجهني
أستاذ مساعد ، قسم اللغة الإنجليزية ، كلية العلوم الاجتماعية
جامعة أم القرى – مكة – المملكة العربية السعودية

المستخلص : تتسبب الخصوصيات التخاطبية التي تتميز بها بعض الأمم أو الحضارات في اشكاليات تقع أحيانا عند تخاطب أبناء تلك الأمم أو الحضارات مع أناس آخرين . ومن الخصوصيات التخاطبية لأبناء غرب الجزيرة العربية – منطقة الحجاز – والتي قد تسبب اشكاليات عند التخاطب عبر الحضارات هي الإسهاب في المجاملة الكلامية – التحية ، الشكر ، الطلب . . . الخ . وفي محاولة للإسهام في إزالة الاشكاليات المحتملة لهذا التصرف التخاطبي الذي تتسم به هذه الحضارة ، فقد قدمنا تفسيرا لذلك التصرف من واقع الحضارة نفسها .

تتسم حضارة غرب الجزيرة العربية بأنها حضارة جماعية ، تواصلية ، تعددية الزمن – أي إن الزمن والمواعيد في هذه الحضارة تحتل المرتبة الثانية من حيث الأهمية ، وذلك بعد العلاقات الاجتماعية ، بعكس الحضارة الغربية والتي تتصف بأنها فردية ، أقل تواصلية ، أحادية الزمن . وهذه السمات الأنثروبولوجية لحضارة غرب الجزيرة العربية تعني أنها حضارة تضع أهمية كبيرة للعلاقات الاجتماعية ، بالتالي فإن الإسهاب في المجاملة ماهو إلا تصرف تخاطبي يعكس تلك الأهمية للعلاقات الاجتماعية في هذه الحضارة . أي إن الإسهاب في المجاملة ليس إلا انعكاس لقوانين وأعراف وقيم حضارة غرب الجزيرة العربية .

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م٦ ، ص ص ١-٢٠٢ بالعربية ، ص ص ١-٢٦ بالإنجليزية (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)   ردمد ٠٩٨٩-١٣١٩

رقم الايداع ١٤/٠٢٩٤

مجلة
جامعة الملك عبد العزيز
الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ٦

١٤١٣هـ

١٩٩٣م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
ص ب ١٥٤٠ - جدة ٢١٤٤١
المملكة العربية السعودية

JKAU: Arts and Humanities, **vol. 6**, pp. 1-26 Eng., pp. 1-202 Arabic (1413 A.H. / 1993 A.D.) ISSN 1319-0989

Journal of

KING ABDULAZIZ UNIVERSITY

Arts and Humanities

Volume 6

1413 A.H.
1993 A.D.

Scientific Publishing Centre
King Abdulaziz University
P.O. Box 1540, Jeddah 21441
Saudi Arabia.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م٦ ، ص ص ١ - ٢٠٢ بالعربية ، ١ - ٢٦ بالإنجليزية (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) .

المحتويات

القسم العربي

القسم الإنجليزي

JKAU : Arts and Humanities, **Vol. 6**, pp. 1-26 Eng., pp. 1-202 Arab. (1413 A.H./1993 A.D.)

Contents

English Section

Arabic Section